جامعة القدس المفتوحة

كليّة الدراسات العليا والبحث العلميّ

مواجهة تهويد القدس في الرواية العربيّة

إعداد:

محمّد عبد الفتاح عرفات أبو الفيلات

جامعة القدس المفتوحة (فلسطين)

نيسان 2020

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة الموسومة بـــ

مواجهة تهويد القدس في الرواية العربيّة

أقرّ بأنّ مضمون الرسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء الاقتباسات والإشارات الواردة في الحواشي، وأن الرسالة لم تقدم من قبل للحصول على درجـــة علميّة أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليميّة أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: محمد عبد الفتاح عرفات أبو الفيلات

التوقيع: .....

التاريخ: 2020/4/19

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (مواجهة تهويد القدس في الرواية العربية) وأجيزت بتاريخ

١٩ - ٤ - ٢٠٢٠م

أعضاء لجنة المناقشة

١- د. عمر عتيق (رئيساً). التوقيع ... ٢٠٢٠/٤/٢٧

٢- د. زاهر محمد حنني (مناقشاً داخلياً). التوقيع ... ٢٠٢٠/٤/٢٧

٣- د. حسام التميمي (مناقشاً خارجياً). التوقيع ... 2020.4.27

(تفويض)

أنا محمّد عبد الفتاح عرفات أبو الفيلات، أفوّض جامعة القدس المفتوحة بتزويد المكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص بنسخ من رسالتي عند طلبها، بما يتفق وتعليمات الجامعة.

اسم الطالب: محمد عبد الفتاح عرفات أبو الفيلات

التوقيع: .....

التاريخ: 2020/4/19

الإهداء

إلى الثابتين في القدس ومقاومي التهويد بأشكاله كافة.

إلى عائلتي الصغيرة الجميلة التي كانت الداعم الأوّل لي في مسيرتي التعليميّة.

إلى أصدقائي الذين لا تزال أصواتهم المحفّزة على إنجاز هذه الدراسة تسمع في أذني.

شكر وتقدير

جسّد الأستاذ الدكتور عمر عتيق منارة تدلّني على الطريق الصحيح لأنّهاء هذه الدراسة، فكان يرشدني ويقوّم أدائي البحثي كلما زللت أو أخفقت في لحظة ما، فإنجاز هذه الدراسة لم يكن بالأمر السهل الميسّر، فاستحق مني كل الشكر والتقدير على كل ما قدمه لي.

إلى أساتذتي الّذين لم يقصروا يوما في مساعدتي على الارتقاء بالعلم، ولم يبخلوا عليّ بوقتهم وعلمهم الزاخر، وإلى جامعة القدس المفتوحة التي أتاحت لنا فضاء تعليميّاً مريحاً ومفعماَ بالعلم وإلى الأساتذة الممتحنين الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة.

يسعدني أنّ أتقدم بفائق الشكر والتقدير على جهودكم العظيمة التي لولاها لما كنت قد وصلت إلى هذه المرحلة المهمة في حياتي التعليميّة.

مواجهة تهويد القدس في الرواية العربيّة

إعداد الطالب: محمّد عبد الفتاح عرفات أبو الفيلات

إشراف أ.د عمر عتيق

ملخص (Abstract)

تهدف الدراسة إلى الكشف عن دور الروايات العربيّة في مواجهة تهويد القدس، وتعزيز المقاومة في فلسطين. وجاءت في أربعة فصول، وتوزع الفصل الأوّل المعنون بـ إجراءات تهويد مدينة القدس على ستّة مباحث، الأوّل: المجازر الجماعيّة والقتل الفردي، والثّاني: هدم حارة المغاربة، والثّالث، بناء المستوطنات، والرّابع: الأبعاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن القدس، والخامس: السياحة في القدس بين التهويد والتسييس، والسادس: بناء البيت المقدسيّ بين المنع والهدم، أما الفصل الثّاني فجاء موسوماً بـ هوية المكان والإنسان في القدس، موزعا على خمسة مباحث: الأوّل تهويد أملاك المقدسيين، الثّاني تهويد أسماء القرى والشوارع، الثّالث: تهويد المقدسات الإسلاميّة، الرّابع: نزع الهويّة الفلسطينيّة من المقدسيّ، الخامس: محاولة تهويد الإنسان، وجاء الفصل الثّالث المعنون بـ أساليب الرواية العربيّة في مواجهة تهويد القدس موزعاً على خمسة مباحث، الأوّل: الدعوة إلى الثبات في القدس، الثّاني: الدعوة إلى مقاومة الاحتلال، الثّالث: تفنيد رواية الاحتلال، الرّابع: تأصيل ذاكرة المكان وهويّته العربيّة، الخامس: رفض تهويد الإنسان الفلسطيني، السادس: أسلوب المقاربة، وجاء الفصل الرّابع المعنون بـ تأثير البناء اللّغوي الروائيّ في مواجهة تهويد القدس، موزعاً على مبحثين، الأوّل: الفضاء اللّغويّ المقاوم، الثّاني: التصوير الفنيّ في سياق مواجهة التهويد. وخرجت الدراسة بمجموعة نتائج أهمّها: رصدت الروايات مخططات الاحتلال اليهوديّ في تنفيذ

المجازر الجماعيّة، وطرق القتل الفردي، ونبهت على خطورة التزوير اللّغوي التوراتيّ لأسماء القرى والشوارع ووظفت الروايات فضاء لغوياً وفنياً في سياق مواجهة التهويد، وعززت الروايات الثبات والرباط، والتحريض على المقاومة بأشكالها كافة.

كلمات مفتاحيّة : تهويد، القدس، الهويّة، المقاومة، الفضاء اللّغوي

Facing the Judaization of Jerusalem in the Arabic Novels

Prepared by: Muhammad Abdel-Fattah Arafat Abu Al-Filat

Supervised by Prof. Omar Ateq

Abstract

The study aims to reveal the role of Arabic novels in facing the Judaization of Jerusalem, and to strengthen resistance in Palestine. It came in four chapters. The first chapter, entitled "Procedures to Judaize the City of Jerusalem," was divided into six sections. The first: Mass Killings and Individual Killings, the second: The Demolition of the Moroccan Quarter, the third, Building of Settlements, and the fourth: The Economic and Social Dimensions of the Barriers and Separating Sacred Villages Apart from Jerusalem, and the fifth: Tourism in Jerusalem between Judaization and Politicization, and the sixth: Building the Jerusalem House between Prevention and Demolition. As for the second chapter, it is marked as, "The identity of the Place and Human in Jerusalem. It is distributed into five topics: 1) Judaizing the property of Jerusalemites, 2) Judaizing the names of villages and streets, 3) Judaizing Islamic Sanctities, 4) The removal of the Palestinian identity in Jerusalem, 5) The attempt to Judaize the human being. The third chapter, entitled Methods of the Arabic Novel in the face of the Judaization of Jerusalem, came in six sections. 1) The call for stability in Jerusalem, 2) Advocacy to Occupation Resistance, 3) Refutation the Novel of Occupation, 4) Rooting the memory of the place and its Arab identity, 5) Rejection of the Judaization of the Palestinian Citizen, 6) the Approach Method. The fourth chapter, entitled The Effect of Narrative Linguistic Structure in Facing the Judaization of Jerusalem,

is distributed among two topics, the first: the linguistic resistance space, the second: Imagery and symbolism in the context of facing Judaization. The study came out with a set of results, the most important of which are: the novels monitored the plans of the Zionist occupation in carrying out mass massacres and individual killing methods, alerted to the danger of biblical language forgery of the names of villages and streets, and the novels used a linguistic and technical space in the context of confronting Judaization, and the novels strengthened stability and bonding, and incited resistance in all its forms.

Key words: Judaization, Jerusalem, identity, resistance, space linguistics.

مقدّمـــــة

أهميّة الدراسة

تكمن أهميّة الدراسة في رصد إجراءات الاحتلال في تهويد مدينة القدس في الروايات العربيّة التي يُقبل عليها القراء أكثر من إقبالهم على قراءة الكتب التاريخيّة والعلميّة. وتكشف الدراسة عن أساليب الرواية الأدبيّة العربيّة في مواجهة تهويد القدس، وهي القضية الجوهرية للبحث، ويرى الباحث أن موضوع الدراسة غير مسبوق، لذا فإن الفضاء الكلي للدراسة سيفتح آفاقاً جديدة أمام الباحثين؛ لأن سياسة تهويد القدس مستمرة، وتحتاج إلى متابعة الدارسين للنصوص الروائيّة ذات العلاقة بالقدس.

مسوغات اختيار موضوع الدراسة

تشكل القدس فضاء عقائديّاً وسياسيّاً مثقلا بالصراع الفلسطيني اليهوديّ، الذي يمثل تحديات تقافيّة تتصل بالهويّة العربيّة للقدس، التي تتعرض منذ الاحتلال للتهويد. وما دام هذا الصراع المستمر يمس الثوابت العقائديّة والوطنيّة والتقافيّة عامة، فإن وظيفة الأدب ينبغي أن تعبر عن هذه القضية المركزيّة. وحظيت القدس قديما وحديثا باهتمام الشعر العربيّ، ولكن اهتمام الرواية بالقدس ما يزال – برأي الباحث– أقل مما يجب أن يتحقق؛ ولهذا اختار الباحث دراسة دور الرواية في مواجهة تهويد القدس؛ لبيان الدور المهم للرواية العربيّة، وتشجيع الكتاب على الكتابة عن القدس ولها وخاصة عن ما تتعرض له من تهويد في الوقت الراهن.

الدراسات السابقة

لم يجد الباحث دراسات نقديّة روائيّة متخصّصة بمواجهة تهويد القدس. ويرى الباحث أنّ أقرب دراسة اهتمّت جزئيّاً بمواجهة تهويد القدس دراسة موسومة بـ " القدس الواقع والتاريخ في الرواية العربيّة"، للدكتور حسن عليّان تطرقت إلى ثلاث روايات – برج اللقلق، وأشباح القدس، ومصابيح أورشاليم– وردت في دراسة الباحث، علماً أنّ عدد الروايات التي عالجها الباحث عشرون رواية لم ترد دراسة عليّان، كما أنّ منهجيّة تحليل الروايات الثلاث، لديه تختلف عن طريقة التحليل في دراسة الباحث.

وتناولت دراسة موسومة بـ " رواية القدس في الأدب العربيّ في القرن الواحد والعشرين" للأستاذ محمد الطحل موضوع القدس في الرواية العربيّة، لكنها تختلف عن دراستي؛ لأنّها تعتمد في تحليلها على المنهج السيميائي، وتركز على غلف الروايات وعتباتها النّصيّة، وتصوير الروائيين للقدس. ومن الدراسات السابقة دراسة موسومة بـ " القدس في الرواية الفلسطينيّة بعد عام 67 دراسة في الدال والمدلول"، وتدرس الدال والمدلول من ناحية نظريّة، ورمزيّة المكان ودوال المكان، وتختلف عن دراستي من حيث المنهجيّة والموضوعات.

الصعوبات التي واجهها الباحث

بذل الباحث جهداً في قراءة أكثر من عشرين رواية ذات علاقة بدور الرواية في مواجهة تهويد القدس. ولم يكن الحصول على بعض الروايات أمراً يسيراً. وشكلت قلة المراجع النقديّة الروائيّة ذات الصلة بدور الرواية في مواجهة تهويد القدس تحدياً للباحث.

منهج الدراسة

اختار الباحث المنهج الوصفيّ التحليليّ، وهو المنهج الأكثر تناسباً من المناهج الأخرى بسبب موضوع الدراسة الذي يقتضي معاينة قضيّة تهويد القدس، والكشف عن دلالاتها بوساطة تحليل النّصوص الروائيّة، وأفاد الباحث من المنهج الاجتماعيّ الذي يتيح للباحث رصد صدى الوقائع في النّصّ الروائيّ تحقيقاً للعلاقة بين البيئة والأدب. وحدد الباحث إطاراً زمنياً لقضيّة التهويد التي تناولها في بحثه بحسب الروايات؛ إذ بدأ منذ الاحتلال البريطانيّ إلى عام 2020م ، وحدد الباحث عيّنة الروايات التي أجرى عليها هذه الدراسة وفق مضمونها، إذ تناولت جميعها القدس فضاء مكانيّاً لأحداثها، وكانت مواجهة التهويد حاضرة فيها، وحصر عيّنة الدراسة بالروايات التي صدرت بين عامي 2005م – 2020م.

أسئلة الدراسة

- هل وثّقت الروايات العربيّة المجازر اليهوديّة في القدس؟
- هل وثّقت الروايات العربيّة هدم القرى وتغيير أسمائها وأسماء الشوارع في القدس؟
- هل رصدت الروايات العربيّة نتائج فصل القدس عن محيطها الفلسطينيّ؟
- هل تنبهت الروايات العربيّة إلى تهويد المقدسات الإسلاميّة والمسيحيّة في القدس؟
- هل نجح الاحتلال بتهويد الإنسان الفلسطينيّ؟
- هل وظفت الروايات العربيّة اللّغة في سياق مواجهة تهويد القدس؟

مضمون فصول الرسالة

جاءت الدراسة في أربعة فصول ومقدّمة وخاتمة، فعمدت في التمهيد إلى إبراز دور الروايات العربيّة في رفع الوعي الثقافيّ والوطنيّ لدى قرائها، وبيان سبب اختيار الكتّاب العرب الرواية لمواجهة تهويد مدينة القدس.

وتوزّع الفصل الأوّل المعنون بـ (إجراءات تهويد مدينة القدس) على ستّة مباحث، المبحث الأوّل: المجازر الجماعيّة والقتل الفردي، فصورت الروايات الجرائم التي قام بها الاحتلال ضد الفلسطينيين بهدف إفراغ مدينة القدس وتهويدها، والمبحث الثّاني: هدم حارة المغاربة وتشريد أهلها بهدف تحويلها لمعبد للمستوطنين. والمبحث الثّالث: بناء المستوطنات لزيادة عدد المستوطنين في القدس ولجعلها طوقا أمنيا يحمي المواقع الاستراتيجيّة للاحتلال في المدينة. والمبحث الرّابع: الأبعاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن القدس، إذ منع غالبية الفلسطينيين من التواصل مع مدينة القدس بسبب الحواجز العسكرية وجدار الفصل العنصري، فقطع تواصل الفلسطينيين مع إخوانهم المقدسيين، مما أثر سلباً على اقتصاد المدينة. والمبحث الخامس: السياحة في القدس بين التهويد والتسييس، إذ تحرص سلطات الاحتلال من خلال المؤسسات السياحيّة على منع السّائحين الأجانب من الشراء من التجار المقدسيين، وتُعرّف السّائح على معالم القدس بأسماء عبريّة توراتيّة. والمبحث السادس: بناء البيت المقدسي بين المنع والهدم، إذ وصفت الروايات منع الاحتلال للمقدسيين من البناء في القدس وهدم بيوتهم، لدفعهم إلى الهجرة ليحققوا التفوق الديموغرافي لليهود.

وبينت الدراسة في الفصل الثّاني (هوية المكان والإنسان في القدس)، الطرق التي اتبعها الاحتلال لتهويد المكان والإنسان الفلسطيني. وتوزع الفصل الثّاني على خمسة مباحث، فعرض

المبحث الأوّل تهويد الاحتلال لأملاك المقدسيين، وسن قوانين عنصرية تمنعهم من استعادة أملاكهم. وفي المبحث الثّاني عالجت الروايات تهويد الاحتلال لأسماء القرى والشوارع من خلال تسميتها بأسماء يهوديّة توراتيّة، وفي المبحث الثّالث تهويد المقدسات الإسلاميّة وخاصة المسجد الأقصى الذي يتعرض للاقتحام المستمر. وتحويل حائط البراق إلى مصلى لليهود، وحفر الأنفاق. وتهويد مقبرة ماميلا بهدم قبورها وتحويلها إلى حديقة ومتحف. وعرض المبحث الرّابع نزع الاحتلال الهويّة الفلسطينيّة عن المقدسيين بإخراجهم من مناطق سكنهم داخل حدود ما يسمى بلديّة القدس، أو سحب بطاقاتهم المقدسيّة، بهدف تفريغ المدينة من الفلسطينيين. ووقف المبحث الخامس على محاولة تهويد الإنسان، وإغراء الاحتلال لبعض الفلسطينيين بالمال والسلطة مقابل خيانتهم لوطنهم وشعبهم.

وعرضت الدراسة في الفصل الثّالث المعنون بـ (أساليب الرواية العربيّة في مواجهة تهويد القدس) دور الرواية في مواجهة تهويد القدس وجاء في ستّة مباحث، المبحث الأوّل: دعوة الفلسطينيين إلى الثبات في القدس وتحمل مشقات الحياة في سبيل الحفاظ عليها؛ لأن وجود الفلسطيني في القدس يشكل العقبة الأوّلى في وجه تهويد القدس. والمبحث الثّاني: الدعوة إلى مقاومة الاحتلال سواء كانت مسلحة أم غير ذلك؛ لأن مقاومته هي السبيل الأقصر للحد من سياساته ودحره عن أرض الوطن. والمبحث الثّالث: تفنيد رواية الاحتلال عن طريق كشف تزويره للحقيقة والتاريخ، وبيان الحق الفلسطيني في القدس. واعتنى المبحث الرّابع بتأصيل ذاكرة المكان وهويّته العربيّة ردا على ادعاءات الاحتلال في الحق التاريخي والعقائدي الفلسطيني في القدس. وعرض المبحث الخامس رفض الرواية العربيّة لتهويد الإنسان الفلسطيني، وبينت الصورة السيئة للمتعاون مع الاحتلال، وعرض المبحث السادس أسلوب المقاربة الذي وظّفته الروايات العربيّة للمقاربة بين المجازر اليهوديّة والهولوكوست، وبين الاحتلال البريطانيّ والاحتلال اليهوديّ.

واختص الفصل الرّابع بالبناء اللّغوي الروائيّ في مواجهة تهويد القدس، وجاء في مبحثين، الأوّل: الفضاء اللغوي المقاوم في سياق المقاومة ومواجهة تهويد القدس. والمبحث الثّاني: التصوير الفنيّ في سياق مواجهة تهويد القدس، الذي تناول الصور الفنيّة التي وظفتها الروايات العربيّة في سياق مواجهة تهويد القدس.

تمهيد: دور الرواية العربيّة في نشر الثقافة الوطنيّة

تبنت معظم الروايات العربيّة، التي اتخذت مدينة القدس فضاء لأحداثها، قضيّة الدفاع عن القدس وعروبتها، حرصاً على تعزيز الثقافة الوطنيّة الفلسطينيّة، ومواجهة الافتراءات اليهوديّة التوراتيّة، وسياسة التهويد.

انطلقت الرواية العربيّة من مبادئ الثقافة الوطنيّة المتمثّلة في " مجموعة من القيم الأساسيّة، والمتطوّرة في نفس الوقت، المرتكزة جوهرياً على مبادئ الحقّ والعدالة والحريّة والكرامة، إنْ على المستوى العالميّ، أو على مستوى كل بلد، أي الوطنيّ، بما في ذلك مقاومة الظلم أياً كان مصدره، والدفاع عن الأرض والكرامة الوطنيّة تجاه أية قوة خارجيّة غازية، وهي تعبير عن الحقّ في الوطن والحريّة، ومسؤولية في الدفاع عن الوطن والحريّة"[1]، واستئناساً بمقتضيات الثقافة الوطنيّة نستطيع أن نقر أنّ الروايات العربيّة وظفت قيم الثقافة الوطنيّة ورسختها، من خلال إثبات الحقّ الفلسطينيّ في الأرض والمكان، وتكذيب رواية الاحتلال، والتنويه بالدور الريادي البطولي للمقاومين، وتشجيعهم على الدفاع عن الوطن وشعبه.

تحقّق الروايات العربيّة باتباعها مبادئ الثقافة الوطنيّة ورفضها للاستسلام والتبعيّة للاحتلال نصراً فلسطينياً وهزيمة للاحتلال، فأي نصر تحققه الآلة العسكرية اليهوديّة "يبقى مؤقتاً وقابلاً للإلغاء والتجاوز؛ لأنّه غير مصحوب بهزيمة فكريّة كاملة ونهائيّة"[2]، إذ تحفّز الروايات

([1]) منيف، عبد الرحمن: بين الثقافة والسياسة. المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربيّ للنشر والتوزيع، لبنان، د.ت، ص 32

([2]) المرجع نفسه. ص 24

العربيّة الذاكرة الفلسطينيّة على عدم نسيان حقها، باستحضار تاريخي واع وربطه بالواقع الفلسطيني السياسيّ والاجتماعيّ.

لم يكن اختيار الكتّاب العرب الرواية عفوياً لمواجهة تهويد القدس، إذ وعوا أهميتها في نقد ادعاءات الاحتلال كما جاء على لسان الكاتب أيمن المقدسي صاحب مشروع كتابة رواية عن إدوارد سعيد في رواية (مصابيح أورشاليم) عندما قال: " إنّ إسرائيل نشأت من أسطورة أدبيّة.. من فكرة رومانتيكيّة.. نشأت من رواية.. وبالتالي يجب إعادة كتابتها عن طريق الأدب أيضاً.. يجب تكذيبها عن طريق الرواية.. الرواية هي أفضل حرب.. طالما كل الحروب قد خسرت وفشلت لماذا لا نجرب الرواية... كل واقعة تخضع إلى سرد مختلف من قبل مستخدميها، يوم النكبة للفلسطينيين هو يوم تأسيس إسرائيل، وهو عذاب وضياع وتشرد للفلسطينيين وهو يوم وجود كيان للإسرائيليين.. هذه رواية وتلك رواية أخرى.. هكذا سأجعل من سعيد البطل الذي يكذّب الرواية الإسرائيليّة"[1].

تسهم الرواية العربيّة في مواجهة سياسة الاحتلال القائمة على فرض ثقافة المجتمع الواحد، وتهميش أو إلغاء الثقافة الوطنيّة الفلسطينيّة، ونشر روايته المبنية على الأساطير والافتراءات، وذلك من خلال اهتمام الرواية العربيّة بتوثيق عروبة المكان، ورد أسماء الأماكن والقرى الفلسطينيّة التي هودها الاحتلال إلى أصلها العربيّ الفلسطيني، وتحفيز مقاومة الاحتلال.

ويلجأ بعض الكتّاب العرب إلى كتابة الرواية، تعويضاً عن مشاركته الشخصيّة في مقاومة الاحتلال ومواجهة تهويد القدس، حينما يكون الكاتب غير قادر على مقاومة الاحتلال مباشرة، فيختار الاختباء خلف شخصيّات روايته التي يعطيها صفات القوة والشجاعة لمواجهة المحتل،

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2009م، ص 13

وذلك على النحو الذي لجأت إليه الكاتبة سعاد العامري التي استولى الاحتلال على بيتها، فاختارت شخصيّات لروايتها كانت قد مرت بالتجربة نفسها مع الاحتلال، إذ صودرت بيوتها بالطريقة نفسها التي صودر بها بيت الكاتبة، فاختارت العامري الكتابة للتعبير بوساطة الشخصيّات عن ضرورة مواجهة الاحتلال، فتقول عن هدى الإمام إحدى شخصيّات الرواية – التي استولى المستوطنون عل بيتها في حي الطالبية (غربي القدس)، والمهندس أنضوني برامكي الذي حول الاحتلال منزله في حي المصرارة (شمال غرب القدس) إلى متحف تهويدي: " رغم تشابه خساراتنا وآلامنا، إلا أن كل واحد منّا تعامل مع آلامه بطريقة مختلفة. فبينما تعاملت هدى مع خسارتها وآلامها بأسلوب المواجهة المباشر، توجّه المعماري أنضوني للمحاكم الإسرائيلية، أما أنا فتظاهرت بالهرب من الموضوع، أو بالأحرى، اختبأت خلف شخصيّات كتابي وقصصهم. وقصدت اختيار شخصيّات تعاملت مع خسارتها بصور مختلفة"[1]، يؤكد النّص الروائي للكاتبة سعاد العامري أن الثقافة السردية مقاومة، وأن الشخصيّات (الحقيقية والمتخيلة) تعبر – أحيانا – عن رغبة الروائي نفسه، وتجسد إرادته الوطنيّة. وأن الرواية لم تعد منجزاً أدبياً فنياً، وإنما منجز ثوري يتخذ من البناء الروائي سلاحاً للمقاومة.

وعطفاً على ما تقدم فإن دور الكاتب الروائي المثقف هو نشر الوعي السياسيّ والوقوف في وجه الاحتلال؛ لأن الكاتب المثقف ملتصق بواقعه الاجتماعيّ والسياسيّ والاقتصادي، " فالمثقفون الحقيقيون لا يكونون أبداً في أفضل حالاتهم النفسيّة إلا عندما تحركهم عاطفة ميتافيزيقيّة ومبادئ الحق والعدل النزيهة، فيشجبون الفساد، ويدافعون عن الضعيف، ويتحدّون السلطة المعيوبة أو القمعيّة"[2]، فالكاتبة سعاد العامري لن تكون في أفضل حالاتها النفسيّة إذا

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ترجمة أيمن حداد، مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، 2015م، ص 11

([2]) سعيد، إدوارد: صور المثقف: ترجمة غسان غصن، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، 1996م، ص 23

بقيت متجاهلة واقعها، ولم تكتب عنه، فسيبقى موضوع مصادرة بيتها يقض مضجعها إن لم تكتب عنه، فهي تؤمن أنّ مواجهة الاحتلال بأشكالها كافة هي الحل، وليس السكوت على إجراءاته التهويدية، ولهذا اختارت كغيرها من الكتّاب العرب الرواية لتواجه سياسة الاحتلال في القدس.

وتناول غير كاتب من الفلسطينيين والعرب مدينة القدس في رواياتهم، بهدف نشر التوعية بقضيّتها العادلة، ومواجهة تهويدها المستمر؛ لأنهم يدركون أهمية الرواية في تعزيز الفكر التنويري، ونشر الوعي. وينبغي التنبيه إلى أنّ ما ورد في كتاب (القدس الواقع والتاريخ في الرواية العربيّة) لمؤلفه د. حسن عليّان – محكوم بزمن نشر الكتاب (2012) – ليس دقيقاً إذ يقول المؤلف: "إنّ مما يؤخذ على الكتّاب العرب هذا الإنتاج القليل أو الضئيل في الساحة الأدبيّة حول مدينة القدس، على الرغم من عدالة قضيّتهم الفلسطينيّة، وقداسة مدينتهم – القدس– وذلك بالمقارنة بين عشرات الروايات التي كتبها الأدباء الصهاينة؛ ترسيخاً وتأكيداً لمزاعمهم بأن مدينة القدس توراتيّة، وبأنها العاصمة الأبديّة"[1]. وستثبت الدراسة أن قضيّة القدس سجلت حضوراً مائزاً في عشرات الروايات العربيّة، وأن عدد الروايات الخاصة بالقدس في دراسة الباحث ثلاث وعشرون رواية.

لا ينفصل الأدب – غالباً – عن المجتمع، بل يكون ملتصقاً به؛ لأنّه يولد فيه، ويتأثر منه ويؤثر فيه إما ايجاباً أي متفقاً مع المجتمع، أو سلباً أي ناقداً ناقماً داعياً إلى التغيير. وقد يصل الأدب أحياناً إلى الممارسة السياسيّة، فيصبح الأديب رجل سياسة، ولكن بطريقته وأدواته الخاصة، دون المساس بالقيم الجماليَّة والفنيَّة للرواية، فالسياسة حاضرة في الأدب نتيجة تأثير

([1]) عليّان، حسن: القدس الواقع والتاريخ في الرواية العربيّة. ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م، ص 15

الواقع السياسيّ إذ يصبح الأدب الروائيّ أداة لمقاومة استبداد السلطة بالحيلة تارة، وعنوة تارة أخرى، فهو أحد العناصر الرئيسة التي تكوّن وجدان الأمم، ويسهم مع غيره من أدوات التشكيل الثقافيّ في صياغة شخصيتها القوميّة وبلورة هويّتها الحضاريّة[1].

ويبدو الدور السياسيّ الذي تعبر عنه الروايات العربيّة واضحا في مواجهة تهويد القدس، إذ تكشف الروايات العربيّة للعالم الجرائم التي ارتكبتها العصابات اليهوديّة ضد الفلسطينيين، وتفند رواية الاحتلال الكاذبة حول حق تاريخي في فلسطين، وتؤكد الروايات العربيّة أنّ الفلسطينيين يملكون الحق اليبوسي والكنعاني في فلسطين منذ آلاف السنين، إذ تثبت الروايات عروبة أرض فلسطين وتنفي نسبتها إلى اليهود، وبهذا تكون الرواية قد أكدت الحق العربيّ الكنعانيّ في الأرض إذ إنّ العرب هم أول من استوطن في فلسطين " ويحدّثنا التاريخ أن الكنعانيين جاءوا إلى هذه المنطقة حوالي سنة 2500 ق.م وقد أسماها التاريخ أرض كنعان كمثل ما ورد في التوراة، لقد أقام الكنعانيون فيها وأنشأوا حضارة مزدهرة شأنهم في ذلك شأن الموجات العربيّة المتتالية التي وفدت إلى وادي الرافدين وإلى سوريا"[2]، ولم يكن الوجود الكنعاني في الأرض طارئاً أو مؤقتاً، بل إنّهم أقاموا حضارة شهد لها العالم، " هذا الشعب الكنعاني بهر العالم في النتاج الحضاري الذي قدمه في سواحل فينيقية وسهول كنعان وجبالها. فلم يقتصر نشاط الكنعانيين على الزراعة وتربية المواشي، بل اندفعوا في مجال الصناعة، وضربوا بسهم وافر في التعدين وصناعة النحاس والبرونز وصنع الفولاذ. واهتموا بالبحث عن أنواع المعادن

([1]) ينظر: حسن، عمار: الأدب والسياسة علاقة خاصة جدا. موقع صحيفة الاتحاد، 3/1/2014
https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/76684/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8-

([2]) عامر، عبد المنعم: تاريخ الاستعمار الاستيطاني اليهوديّ في فلسطين. ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2002م، ص 13

لمزجها واستعملوا الأواني الفضية كما برعوا في الصياغة"[1]، واستئناسا بالنّص السابق نرى أن العرب الكنعانيين سكنوا فلسطين وأنشأوا حضارة قائمة على الصناعة والزراعة اللّتين تحتاجان إلى ثبات واستقرار في الأرض، ولهذا تنسب كتب التاريخ أرض فلسطين إلى الكنعانيين العرب.

وعالجت الروايات العربيّة محنة المقدسيين الذين نزحوا عن القدس بسبب المجازر اليهوديّة، وصوّرت إصرارهم على العودة للقدس، ومواجهتهم لما يسمى قانون العودة الذي أصدرته الكنيست العبرية عام 1950م، وينص على أن لكل يهوديّ حول العالم الحق في أن يحصل على جنسية الاحتلال في اللحظة التي يهاجر فيها إلى أرض فلسطين المحتلة. [2]

ويعطي هذا القانون الحق لليهود بالهجرة من أي مكان في العالم إلى دولة الاحتلال، بينما يمنع كل فلسطيني هاجر أو هُجر من فلسطين، ولم يثبت وجوده في البلاد بتاريخ الأوّل من أيلول/ 1948م، بالعودة إلى دياره، وحتى من منحهم الاحتلال هويّة الإقامة فيها من المقدسيين الذين احتلت أراضيهم عام 1967م، وأُثبت أنّهم يسكنون خارج حدود القدس، فيحق للاحتلال سحب إقامتهم في القدس ومنعهم من العودة إليها، وهذا يعني أن وجود الفلسطيني في المدينة ليس مشروطاً بأحقيته التاريخيّة وإثباتات ممتلكاته، بل بقرار من سلطة الاحتلال الذي يحتم على المقدسي البقاء في المدينة وعدم مغادرتها وهو ما يعد سجناً له.

وحفلت الروايات العربيّة الواردة في هذه الدراسة بمشاهد ترويع الفلسطينيين التي صورت اقتحام البيوت وتجميع المقدسيين في الساحات العامة. وتجسّد رواية (ليس وداعاً يا قدس) أيام

([1]) عامر، عبد المنعم: تاريخ الاستعمار الاستيطاني اليهوديّ في فلسطين. ص15

([2]) ينظر: نص قانون العودة. موقع عدالة
https://www.adalah.org/uploads/oldfiles/Public/files/Discriminatory-Laws-Database/Hebrew/36-Law-of-Return-1950.pdf

حرب 1967م التي عاشها المقدسيون " ليّلة ليّلاء أمضاها سليم في المخزن والقذائف المدفعيّة تحلّق فوق منزله جيئة وذهاباً في مسار ثابت يحتزّ أعصابه. الغرفة تحولت إلى إنارة كاملة بفعل قذائف الإضاءة، وشعر للحظة بأنّ قذيفة أصابت سقف المنزل، وفي لحظة أخرى سمع أصوات دراجات ناريّة بمحاذاة البيت. توقّع دخول جنود، لكنّ توقعاته لم تتحقق لحسن الحظ"[1]، يشير النّص الروائي السابق إلى أن الهدف المباشر لجيش الاحتلال لم يكن المقدسيين الذين بقوا في بيوتهم، بل كان هدفه السيطرة على المناطق التي لم يتمكن منها في حرب عام 1948م، لتوسيع مساحة كيانه بعد حصوله على اعتراف دولي بوجوده، ولهذا كان حريصا على تجميل صورته الدمويّة في مرآة الرأي العام العالمي، فتوقف عن المجازر أو القتل المباشر للمقدسيين. وتحولت أساليب التهجير من اقتراف المجازر إلى التضييق على المقدسيين في تفاصيل الحياة اليوميّة، لإجبارهم على الرحيل، ويعد هذا الأسلوب تهجيراً هادئاً لا يثير وسائل الإعلام.

يطلب جيش الاحتلال من المقدسيين الاستسلام له كي لا يقتلهم في رواية (ليس وداعاً يا قدس) " يقرأ المذيع بعد دقائق بيانا: إلى سكّان المناطق التي يتقدّم نحوها الجيش الإسرائيلي: ارفعوا الرايات البيضاء، الزموا منازلكم، ضعوا الأسلحة التي بحوزتكم أمام بيوتكم"[2] ويوازن السارد بين سياسة القتل المباشر للمقدسيين، وسياسة الدعوة للاستسلام في حرب 1967م، إذ كانت العصابات اليهوديّة في حرب 48 تأمر المقدسيين بالاستسلام وعندما يذعنون لهم يقتلونهم أو يهجّرونهم كما توثق رواية (مصابيح أورشاليم) على لسان لاجئ عجوز يستذكر هو وزوجته أيام تهجيرهم من قريتهم في القدس " قال زوجها الجالس على مقربة منها: بتذكري بعد يومين دخلوا القرية، وأقاموا فيها مقرا للقيادة على البيادر، ودارت مجموعة في شوارع القرية تنادي: يا

([1]) عبد الله، محمد شاكر: ليس وداعاً يا قدس. ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، 2015م، ص22

([2]) المصدر نفسه. ص 23

عالم! يا ناس! كل واحد يسلم ويطلع على البيادر... وكشف له المختار أن الناس خافت من القواس فهربت في انصاص الليالي. وطلب من الضابط، بحق الجيرة، والمعرفة القديمة، والخبز والملح أن لا يُهجّر من بقي بالقرية، لكن الضابط ملعون بده يزيح الناس، فقال له: لا أستطيع أن أبقيك، لأني لا أحمل الأوامر بأن أبقيك هنا... بعد دقائق سمعنا طلقات رصاص عن مسافة كيلومتر ثم دخلت فرقة، وين ما شافوا واحد، قوّسوه، قتلوا أربعة، واحد أجوا عليه وهو نايم في الفرشة واللحاف، قوّسوه متزوج وعنده أولاد"[1].

يشكل النّصّ الروائيّ السابق وثيقة تاريخيّة دمويّة، ويستدعي مشاهد إنسانيّة ترتقي إلى الأفلام الوثائقيّة. ويجسّد النّصّ الرواية الشفويّة التي ينبغي تدوينها، إذ إن المأساة الإنسانيّة الفلسطينيّة بين النكبة والنكسة وما بعدهما ما زالت بحاجة إلى تدوين الرواية الشفويّة في أثناء النكبة، بوساطة شهود العصر الذين ما زالوا على قيد الحياة. ومن المرجح أنّ أحداثاً عدة لم ترد في كتب التاريخ؛ لأن المؤرخين لم يقابلوا الذين عاشوا أحداث النكبة جمعياً، ولديهم ذاكرة مثقلة بمشاهد التهجير والقتل.

حرص الاحتلال بعد هزيمة 1967 على استعراض مظاهر القوة والغلبة في الشطر الشرقي من القدس؛ لبثّ الرعب في قلوب المقدسيين، وتفريغ روح المقاومة، فعمد إلى اقتحام البيوت، وتجميع المقدسيين في الساحات العامة – وما يزال الاحتلال يقترف هذه الجرائم الإنسانيّة في غير مكان في فلسطين – ونهضت رواية (ليس وداعاً يا قدس) بوظيفة عين الكاميرا في تصوير مشاهد التنكيل بالمقدسيين، كما يصور السارد: " نظرت هدى حولها ورأت جموعاً من الناس محتشدين في الشارع، رجالاً ونساء وأطفالاً. رأت العجائز والأطفال الرضع، وما بين هذا

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 306-307

وذاك خلق كثير... ارتعشت عندما رأت خندقا عميقا وطويلا جدا ومتعرجا وسط الرصيف... وتساءلت متى وجد الإسرائيليون وقتا لحفر الخندق. لابد أنهم حفروه في الساعات الأوّلى من الحرب... وفي غضون ذلك، اقتاد الجنود الأربعة هدى ووالديها إلى جوار الخندق العميق، ثم عادوا بهم على امتداد الرصيف نفسه، ثم على امتداد خندق الموت الطويل. الخندق الذي امتلأ ولم يعد يتسع لشخص آخر. بدا أن الخطط العسكرية الإسرائيلية أساءت تقدير عدد سكّان القدس العرب الذين احتلوا أرضهم صباح اليوم. فقد تخلصوا من العرب في القدس الغربيّة ليجدوهم من جديد في القدس الشرقيّة. ولمّا ضاق الجنود الإسرائيليون بالعبء البشري أطلقوا سراح فريد وباكزة وهدى"[(1)].

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ترجمة أيمن حداد، مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، 2015م، ص 141-143

الفصل الأوّل: إجراءات تهويد مدينة القدس

المبحث الأوّل: المجازر الجماعيّة والقتل الفردي

المبحث الثّاني: هدم حارة المغاربة

المبحث الثّالث: بناء المستوطنات

المبحث الرّابع: الأبعاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن القدس

المبحث الخامس: السياحة في القدس بين التهويد والتسييس

المبحث السادس: بناء البيت المقدسي بين المنع والهدم

المبحث الأوّل: المجازر الجماعيّة والقتل الفرديّ

ارتكبت العصابات اليهوديّة عام 1948م مجازر عدة، خلفت مئات الشهداء من الفلسطينيين و" أدّت إلى تشريد تسعين بالمئة من السكّان العرب في فلسطين وتجريدهم من ممتلكاتهم"[1]، وكانت مجزرة دير ياسين من أشهر المواقع الجغرافية التي تجسد الحقد العرقي الذي مارسته العصابات اليهوديّة ضد الفلسطينيين، وهذا ما أشارت إليه رواية كافر سبت على لسان بطل الرواية نبيه: " وذهبت إلى مخزن الجرائد في دير ياسين، حيث ارتكبت العصابات اليهوديّة أبشع مجزرة ضد الفلسطينيين عام 1948م"[2] وفي حاشية الصفحة يقول الكاتب عن دير ياسين " قرية فلسطينيّة تقع غربي القدس دخلها اليهود يوم 9 إبريل سنة 1948 وأقاموا فيها مذبحة بشعة بقيادة مناحم بيجن الذي تقاسم مع السادات جائزة نوبل للسلام حيث ذبحوا من أهلها 93 شخصاً بين رجل وامرأة وشيخ وطفل ومثلوا بجثثهم بشكل بشع"[3].

وأدّت مجزرة دير ياسين إلى إثارة الرعب في قلوب سكّان القرى المجاورة لها، فنزحوا خوفاً من أن يتعرضوا لما تعرض له أهالي القرية، وأدّى هروبُ الفلسطينيين إلى إفراغ بعض القرى المقدسيّة التي قامت دولة الاحتلال على أنقاضها، إذ قال رئيس عصابة الإرجون اليهوديّ مناحيم بيجن: "لولاها لما قامت دولة إسرائيل"[4] ويقصد مذبحة دير ياسين. وانتشر خبر احتلال القرية كالنار في الهشيم. وصورت رواية برج اللقلق مصير القرية، إذ " كانت جميعها تسقط كأوراق الشجر في فصل الصّيف، مدينة تلو مدينة، وقرية بعد قرية أمام جحافل دبابات يهوديّة

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص10

([2]) الحسيني، عارف: كافر سبت.ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2012م، ص 138

([3]) المصدر نفسه. ص 138

([4]) جبارة، بليغ: دير ياسين جريمة النسيان والعدالة المعلقة. موقع العربيّ الجديد. 2017/4/24
https://www.alaraby.co.uk/specialpages/2017/4/24/%D8%AF%D9%8A%D8%B1-

وأسلحة حديثة وعصابات مدرّبة. إلى أن انطلقت صرخة مؤلمة دوت في جميع أنحاء العالم، انطلقت من شمال القدس من قرية دير ياسين... ذبح اليهود أهالي قرية دير ياسين، ونكّلوا بهم، وكانت مذبحة كأبشع ما تكون الجرائم"[1]، وترصد رواية (مصابيح أورشليم) صوراً مروّعة على لسان لاجئ عجوز " كنّا نسمع عن اليهود أنّهم بيقتلوا الأطفال وبيبعجوا المرأة الحبلى بالسّكّين"[2]، وكان لهذه الأخبار دور كبير في إثارة الرعب بين صفوف المقدسيين. ويصف إدوارد سعيد في رواية مصابيح أورشليم معالم النزوح والتشرد بقوله: "هجرة قسرية عاشها اللاجئون – كتب ادوارد سعيد في دفتره– فقد طلبت القوات العربيّة منهم مغادرة البلدة مؤقتا كي يتسنى لها طرد اليهود – كما قالوا لهم – وأنزلوهم وادي الليمون بثيابهم ولم يحملوا أي شيء، باستثناء رغيف خبز، وبقوا ثلاثة أيام بعدها صار اليهود يلقون عليهم قنابل مضيئة تنير الوادي كله، فغادروا باتجاه القرى العربيّة المجاورة، وفي إحدى القرى حملوهم بسيارات البقر إلى لبنان، وفي لبنان أيضاً ركبوا عربات قطار البقر إلى سوريّة"[3].

وكان مخطط العصابات اليهوديّة يرمي إلى تفريغ القرى المقدسيّة من أهلها، سواء بدفعهم إلى مغادرتها أو قتلهم، حتى يتسنّى لهم توطين المستوطنين اليهود مكانهم، فتكون لهم الغلبة الديموغرافيّة في القدس، فكانت خططهم غالبا تسير على السياق نفسه بترك خيار واحد للنجاة وهو الهرب، كما تصفه لاجئة عجوز في رواية (مصابيح أورشاليم): " وصلت فرقة مجهزة بكامل عتادها، وحاصرت البلدة على ثلاث جهات. وتركوا الجهة الشمالية للهجيج، وبلشوا سلخ رصاص، على اللي رايح وعلى اللي جاي، عن جنب وطرف، كنت تشوف رصاصهم يزخ علينا

([1]) السّمان، ديمة: برج اللقلق.ط1، مكتبة كل شيء، حيفا، 2016م، ص249

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 306

([3]) المصدر نفسه. ص 202

مثل المطر"[1]. وقد جندوا حافلات لتهجير المقدسيين. وقدمت رواية برد الصيف توثيقاً لهذا الحدث على لسان السارد، إذ "جهزّوا باصات (إيجد) الإسرائيلية لنقل من يريد المغادرة مجانا، وأعلنوا ذلك في الراديو عشرات المرّات يومياً، فهم يريدون الأرض بلا شعبها"[2].

ولم ينحصر قتل الفلسطينيين بالمجازر التي كانوا يرتكبونها في القرى المقدسيّة، إذ انتشر القناصة اليهود فوق الأماكن المرتفعة، وشرعوا بإطلاق النار على المقدسيين في غير مكان، كما تصوره رواية (برج اللقلق) " علا صوت عبد الجبار تهزه رعشة خوف: يا ولدي الناس في شدّة، الرعب يملأ القلوب، في كل يوم للقناصة اليهود ضحايا، بالأمس قتل رجل في رأس العامود، قتله قناصة حارة الشرف التي أصبحت حارة اليهود، كما قتلوا آخر في سلوان. أما أول أمس فقد قتلت سيدة في حارة باب السلسلة، واليوم يقول أبو طاهر إن رجلاً عجوزاً قتل أيضاً في باحة الصخرة المشرفة، وهذا الرجل الرّابع الذي يلقى حتفه وهو ذاهب يؤدي الصلاة في المسجد الأقصى"[3].

لا يخفى أن ضحايا العصابات اليهوديّة في النّصوص الواردة من المدنيين غير المقاتلين، إذ كانت العصابات اليهوديّة تجتاح قراهم وتقتلهم أو تهجّرهم، أو تصلهم رصاصاتها القاتلة التي يطلقونها من حصونهم على المقدسيين في المسجد الأقصى أو في محيط بيوتهم، لأنّ اليهوديّ يرى الفلسطينيين أعداء يجب الاقتصاص منهم، إذ يقول أفرايم سيدوم وهو أحد جنود العصابات اليهوديّة في رواية (مصابيح أورشليم): " ستنامون محطمي العظام في الحقول والطرقات، لا تسألوا لماذا، فإنه العقاب، والآن حان عقابكم، كل نساء فلسطين، كل الأمهات، كل الحوامل، كل

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 306

([2]) السلحوت، جميل: برد الصيف. ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2013م، ص 107

([3]) السّمان، ديمة: برج اللقلق. ص 350-351

المسنين وكل الأرامل، ها نحن قادمون لنعاقبكم لنقتصّ منكم"[1] . يجسد النّصّ الروائيّ السابق فكراً صهيونياً يرى الفلسطيني مذنباً يستحق القتل. ويتضح أن كراهية اليهوديّ للفلسطيني نابعة من كراهية السارق لصاحب المنزل عندما يتصدى له؛ ليمنعه من سرقة ممتلكاته، ومن وجهة نظر اليهوديّ فإن المجاهدين الفلسطينيين مذنبون؛ لأنهم يتصدون له ولمشروعه، أما المدنيون الفلسطينيون فهم مذنبون؛ لأنّهم يسكنون في فلسطين.

المبحث الثّاني: هدم حارة المغاربة

كانت حارة المغاربة استثناء في حرب 1967م، إذ أعادت قوات الاحتلال ما فعلته بالقرى الفلسطينيّة عند احتلال 1948م، فهدمت حارة المغاربة التي تقع داخل سور بلدة القدس القديمة ملاصقة للسور الغربي للمسجد الأقصى، وكانت تتكوّن من 135 منزلاً تسكنه 600 عائلة مقدسيّة[2]، ومن أشهر معالمها المدرسة الأفضليّة التي بناها الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي[3]، وحولها الاحتلال إلى ساحة للصلاة بعد أن سوّى مبانيها بالأرض.

تسجل رواية (باب العمود) بعضا من أحداث هدم حارة المغاربة على الرغم من أن عدد البيوت المهدومة المذكور في الرواية ليس دقيقاً – إذ هدمت قوات الاحتلال "135 منزلاً في حارة المغاربة التي كان يقطنها 600 مواطناً عربيّاً"[4] – كما جاء على لسان بطلة الرواية بهية مخاطبة حبيبها ماهر " تراقب الحارة وهي تهدم، تراقب 34 داراً تنسف في ليلة العاشر من

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 191

([2]) ينظر: القدس بين الاعتداءات اليومية والتهويد (1967–2014). منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، 2015م، عمان، ص25

([3]) ينظر: حارة المغاربة في القدس. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة، http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9592

([4]) القدس بين الاعتداءات اليومية والتهويد (1967–2014). ص25

حزيران 1967م من قبل جرافات الاحتلال، تطل المقبرة الجماعيّة من تحت السور (سور ساحة المبكى) مقبرة جماعيّة لفلسطينيين قتلوا وكل ذنبهم أنّهم رفضوا المغادرة خلال مهلة الربع ساعة المعطاة لهم من قبل جيش الاحتلال! تنصت لوقع أقدام اليهود واهتزاز أجسادهم في الأسفل، تسمع استغاثات مكتومة للأحجار والأشجار، وتكويك الحجارة والمآذن وهي تتهاوى!"[1]

كان هدف هدم حارة المغاربة وقتل سكّانها وتهجيرهم، مختلفاً عن هدم غيرها من القرى والبلدات، إذ كان هدف قوات الاحتلال من هدمها تخصيص مكان ديني لليهود يربطهم بالمسجد الأقصى، الذي يعتقدون أنّه أقيم في المكان الذي بني فيه ما يسمى بهيكل سليمان والذي لم تثبت حفريات الاحتلال وجوده، ومن قبلها الحفريات البريطانية. " وحولت هذه الحارة إلى ساحة مكشوفة أمام حائط البراق، أو حائط المبكى كما يسميه اليهود"[2]، وجعلت هذه الساحة امتداداً لحارة اليهود التي كانوا يسكنون فيها زمن الدولة العثمانية والاحتلال البريطاني، وأجبرت غالبيّة العائلات المقدسيّة التي تسكن بجوار بيوت اليهود سواء في حارة الشرف أو في حارة اليهود نفسها على إخلاء بيوتها. وتؤكد على ذلك رواية (سوق العطارين) " قامت السلطات بإفراغ سكّان حارة الشرف من سكّانها العرب، وأسكنت يهوداً بدلاً منهم لتوسيع حارة اليهود في البلدة القديمة"[3]، وقد بنى المقدسيون الذين هُجّروا من حارة المغاربة وحارة الشرف والبيوت الملاصقة لحارة اليهود بيوتاً متواضعة من الصفيح والقماش في منطقة وادي الجوز شمال شرق بلدة القدس القديمة، وأصبح تجمعهم يسمى مخيم الصمود. وقررت سلطات الاحتلال محو كل شيء يبرز مجزرتها، إذ " هدمت مخيّم الصمود الذي تطور من خيام إلى بيوت إضافية من صفائح

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ط1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، 2017م، ص55

([2]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ط1، عزام أبو السعود، القدس، 2009، ص 18

([3]) المصدر نفسه. ص 18

الزينكو"[1]، وبهذا تمكن الاحتلال من إفراغ منطقة غرب حائط البراق من المقدسيين باستثناء بضع أفراد منهم، وتوطين أكثر من 2500 مستوطن يهوديّ مكانهم، أي أكثر من نصف عدد اليهود الذين يسكنون في بلدة القدس القديمة إذ يصل عددهم الإجمالي إلى 4000 مستوطن[2].

المبحث الثّالث: بناء المستوطنات

سعى الاحتلال الإنجليزي والعصابات اليهوديّة، إلى توطين أكبر عدد من يهود العالم في القدس؛ بهدف الوصول إلى التفوق السكّاني اليهوديّ على الفلسطيني؛ ليحظى الاحتلال اليهوديّ بنصيب أكبر من الأرض الفلسطينيّة بقرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة عام 1947، إذ إن الغالبيّة السكّانيّة كانت عرباً، لكن علم المنظمة اليهوديّة بنية الأمم المتحدة وضع قرار لتقسيم فلسطين، جعلها تعمل جاهدة على زيادة نسبة اليهود في القدس، حتى وصلت إلى " 60% عن طريق زيادة عدد المهاجرين اليهود إليها والتهجير الإجباري للفلسطينيين من المدينة"[3]، وذلك بين عامي 1946-1948، واستمرت نسبة اليهود بالتزايد إلى زمن كتابة هذا البحث.

لم يكتف الاحتلال بما نهبه وسلبه في حرب 1948 وما بعدها، إلا أنه قرر عام 1967م احتلال الأراضي الفلسطينيّة التي لم يتمكن منها – الضفة الغربيّة وقطاع غزة – وبما فيها شرقي القدس التي كانت خاضعة للحكم الأردني آنذاك، فوسع مساحة القدس إذ ضم إليها أراضي

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 98

([2]) ينظر: أرقام وحقائق عن البلدة القديمة بالقدس، موقع الجزيرة نت، 2017/3/11م، https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions

([3]) ماجوابر، كيت: تهويد القدس الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس. ط1، دار الافاق الجيدة ومركز الدراسات العربيّة. بيروت، 1981م، ص 16

بمساحة " 65 كيلومتر مربع من ثمانية وعشرين تجمعاً سكّانياً فلسطينياً حول المدينة، الذي أصبح جزؤها الشرقي بمساحة 71 كيلومتر مربع بعد أن كان قبل الاحتلال الإسرائيلي 6.5 كيلومتر مربع" [1].

أنشأ الاحتلال اليهوديّ عدداً من المستوطنات حول مدينة القدس؛ بهدف حصار المقدسيين داخلها، وتضييق مساحات السكن عليهم، وتفتيت تواصلهم الجغرافي مع الفلسطينيين الذين يسكنون خارج حدود مدينة القدس، بالإضافة إلى استخدام هذه المستوطنات طوقاً أمنياً يحمي المدينة من أي "عدوان". ويكشف الطوق الاستيطانيّ حول مدينة القدس عن الجذور التاريخيّة للعقل اليهوديّ الذي يعتقد أنّ الحصون والأسوار تحميه من الآخرين. ومن اليسير على الباحثين أن يرصدوا ديمومة التفكير اليهوديّ في هذا الأمر من حصون خيبر في المدينة المنورة إلى جدار الفصل العنصري في الزمن الحاضر.

ووصل عدد المستوطنات حول مدينة القدس إلى "24 مستوطنة"[2]، تضم عشرات الآلاف من الوحدات السكنيّة للمستوطنين. كما قامت سلطات الاحتلال بزرع بؤر استيطانيّة في المناطق المحيطة ببلدة القدس القديمة، كالطور، ورأس العامود، وسلوان، والثوري، وجبل المكبر [3]، بهدف منع قيام كيان عربيّ متصل، وزيادة التفوق الديموغرافي اليهوديّ على الوجود الفلسطيني، فكأنهم يقولون إن اليهود في كل مكان من القدس فكيف تدعون أن القدس عربيّة؟

([1])الاستيطان الإسرائيلي الاستعماري في القدس. دائرة شؤون القدس منظمة التحرير الفلسطينيّة، 18 كانون الثّاني/2012م، القدس، ص 18-19

([2]) القدس بين الاعتداءات اليومية والتهويد (1967-2014).ص 35-36

([3]) الاستيطان الإسرائيلي الاستعماري في القدس. ص78-80

لم يكن بناء بؤر استيطانيّة لليهود أمراً جديداً، إذ تطوّر عن مشاريع الكنتونات السكنية التي أقامها اليهود على أراضي الفلسطينيين بحماية الاحتلال البريطاني، بعد هجرتهم إلى فلسطين بتحفيز من الحركة اليهوديّة، التي لم تتوقف عن مطالبة اليهود بالهجرة إلى فلسطين بعد الاعتراف بهم دولة في الأمم المتحدة، إذ تقول رواية (عاشق على أسوار القدس): " اليهوديّ القادم من بلاد الروس، مثلا يجد حكومة تساعده، فتقدم له سكناً ومدارس مجانية للأولاد وبرامج خاصة للقادمين الجدد، وتساعده في إيجاد عمل.. الخ"[1].

وبعد قيام دولة الاحتلال سكن المستوطنون في منازل المقدسيين، وقامت ببناء مستوطنات جديدة على أراضي المقدسيين التي استولت عليها في أثناء وبعد حرب 1948م، واستمرت سلطات الاحتلال بسياسة بناء المستوطنات بعد إحكام قبضتها على كامل مدينة القدس عام 1967م، وتخبرنا بذلك رواية (عاشق على أسوار القدس) إذ تقول:

" إسرائيل تطبخ القدس على نار هادئة منذ احتلالها عام 1967م. لقد أحكمت القبض عليها من كل الاتجاهات. مستوطنات حول القدس شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، ومستوطنات داخل المنطقة العربيّة نفسها، وتغيير الشوارع، وفتح أنفاق لربط المستوطنات بعضها ببعض، حتى بريد القدس أصبح مركزاً لقوة دائمة من الشرطة والجيش"[2]. يكشف النّص الروائي السابق عن استراتيجية الربط المكاني بين المستوطنات والقدس، إذ تعمد سلطات الاحتلال إلى توفير البنية التحتية بين المستوطنات والمفاصل الرئيسة في القدس.

([1]) سالم، عادل: عاشق على اسوار القدس. ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2012م، ص 32

([2]) المصدر نفسه. ص 190

يقترب أسلوب رواية (كافر سبت) من السخرية المريرة والكوميديا السوداء في وصف طريقة تقسيم القدس بعد ما يسمى الهدنة التي أعقبت حرب 1948، وسواء كان توصيف الرواية لتقسيم القدس إلى شرقيّة وغربيّة حقيقة تاريخيّة أو وصفاً روائياً مشبعاً بالسخرية والمرارة، فإن تقسيم القدس أضحى أمراً سياسيّاً قائماً. يقول السارد في رواية (كافر سبت): " أما حدود القدس التي بقيت عربيّة بعد نكبة عام 1948م، فقد رسمها الضابط الأردني مع نظيره الإسرائيلي في أحد أيام الهدنة، حين أخذوا الخارطة وبحثوا عن قلم ليقسّموا المناطق فلم يجدوا إلا قلم رصاص أخضر، فخطّوا الأرض والعباد بقلمهم، " هذه لنا وتلك لكم" حسب مرجعية قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الأمم المتحدة عام 1947م، والذي لم نقبل به بخاطرنا فقبلناه بالحرب، بعد هزيمة الجيوش العربيّة، التي دخلت فلسطين لتحررها بالرغم من قرار قادتها المسبق بإعطاء اليهود ما يريدون، وبقيت تلك الخارطة مرجعاً، وعرف ذلك الخط الرصاصيّ الأخضر لاحقاً بالخط الأخضر، – أي حدود دولة إسرائيل الشرقيّة – أما ما محي من الخط بسبب استعمال الخريطة الدائم، أو لم يكن واضحاً أصلاً، فبقي يسمى منطقة الحرام، بين القدس الغربيّة والشرقيّة، حتى احتلال المدينة بالكامل في حرب الأيام الستّة عام 1967م"[1]، يقترب النّصّ السابق من خطاب الفانتازيا حينما يصور تقسيم القدس العريقة تاريخاً وحضارة وعقيدة من خلال اجتماع ضابطين أردني ويهوديّ احتلالي يبحثان عن قلم لتحديد الخط الفاصل بين غرب القدس وشرقها. ويُضمر النّص الروائي السابق أن الجغرافيا السياسيّة يتحكم بها أشخاص قادمون من فضاء الحرب، فيقررون مصائر الشعوب والأمم بوساطة قلم يرسم خطوطاً مستقيمة ومنحية وأشكالاً هندسيّة عدّة ترسم حدود دول ومصائر الشعوب كما هي الحال في نتائج اتفاقيّة سايكس –بيكو التي

([1]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 21

حولت الوطن العربيّ إلى جغرافية سياسيّة بأشكال هندسية تغلبت على عوامل الوحدة الجغرافيّة للوطن العربيّ كله .

تثبت الروايات العربيّة أنّ دولة الاحتلال أنشأت مستوطناتها في القدس كاملة، وشقت الشوارع لوصل هذه المستوطنات، كما في رواية (كافر سبت): " وكان هذا العامل الفلسطيني المقدسي البسيط – والذي[1] فرض عليه العمل كعتال[2] في سوق " محني يهودا"، أحد أسواق الخضار الإسرائيلية – عائدا من عمله مستقلا باص رقم 25، المتوجه من مركز القدس الغربيّة إلى مستوطنة " النبي يعقوب"، والتي أقيمت على أراضي بلدة بيت حنينا الفلسطينيّة، والتي أصبحت ملاصقة "ضاحيّة البريد" الفلسطينيّة، شمال القدس، حيث كان والد صاحبي يبقى في الباص حتى يصل المحطة الأخيرة في المستوطنة، وبعدها يسير عدّة دقائق ليصل سياج المستوطنة التي أحدث فيه بعض العمال فتحة مخفية فيتسلل منها، حتى يصبح أمام بيته في الضاحيّة"[3].

يحمل الاقتباس السابق دلالات عدّة تظهر تهويد الاحتلال للقدس، نحو إقامة سوق كبيرة تسمّى (محني يهودا) غربي القدس، ومستوطنة في شمال القدس على أراضي قرية بيت حنينا، والربط بين السوق الاستيطانيّة والمستوطنات، نحو مستوطنة (النبي يعقوب) بشبكة شوارع استيطانيّة، وفي المقابل الفصل بين هذه المستوطنات والقرى العربيّة التي أنشئت على أراضيها بحاجز شائك؛ لفصل سكن العرب عن سكن المستوطنين، كي يحكم الاحتلال سيطرته على القدس.

([1]) لا يعطف الاسم الموصول

([2]) يقصد عتالا، لا داعي لأداة تشبيه

([3]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 120

المبحث الرّابع: الأبعاد الاجتماعيّة والاقتصاديّة للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن مدينة القدس

أحاط الاحتلال مدينة القدس بخمسة عشر حاجزاً[1]، تطوق مدينة القدس، وتمنع تواصلها الجغرافي مع محيطها الفلسطيني في الضفة الغربيّة، وما احتل من مناطق في عام 1948م، ومن أشهر هذه الحواجز حاجز قلنديا الذي يفصل القدس عن مدن شمال الضفة الغربيّة، الذي أقيم على أراضي بلدة قلنديا المقدسيّة شمال القدس عام 2000م.

ويظهر حاجز قلنديا في رواية (حرام نسبي) فاصلاً بين القدس وقراها الشماليّة. ويعده الاحتلال معبراً حدودياً بين ما يسمى الضفة الغربيّة والقدس. وتوظف الرواية حدثاً مألوفاً للكشف عن قضية مصيريّة تشكل مساءلة سياسيّة وأخلاقية تتعلق بالمعيقات التي تعترض التواصل الاجتماعيّ، ونقل السلع البسيطة من مكان إلى مكان قريب لا يستغرق الوصول إليه سوى دقائق معدودات، كما جاء في رواية (حرام نسبي) " كان يجلس على كنبته، التي أعاد تنجيدها حديثا؛ لعدم قدرته على شراء طقم جديد من الكنب، أخذها وحدها من دون أخواتها إلى منجّد في بلدة الرام شمال القدس، والتي عزلها جدار الفصل العنصري عن المدينة، وأصبح هناك بوابات ومعابر وحواجز تقطع الطريق... واتفقنا أن يتولى المنجد إخراج الكنبة من القدس عبر حاجز قلنديا الشهير، الذي يبدو أن الإسرائيليين لا يتنازلون عن كونه منطقة حدودية، فمن بعد

([1]) ينظر: حواجز الاحتلال تطوّق القدس. موقع الجزيرة نت، 2017/10/19م. ملاحظة يذكر التقرير 13 حاجزا عسكريا حول القدس وقد أغفل ذكر حاجزين إضافيين أولهما حاجز الجيب والذي يفصل قرى غرب القدس عن مدينة القدس، وحاجز آخر يفصل بين القدس والمدن الغربيّة المقام بين القدس ومستوطنة موديعين بطريق ما يسمى (بيجن شمال).
https://www.aljazeera.net/news/alquds/2017/10/19/%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%

تدمير مطار القدس التّاريخي فيها بنوا حاجزاً وسموه معبراً، وضعوا لافتة مكتوب عليها (رافقتكم السلامة) ورسموا عليها باقة ورد بنفسجيّة تمنح التفاؤل، وأضافوا بعض الكلمات الإيجابيّة المبعثرة مثل (أزهار) (أمل) وغيرها من الكلمات، أصبح الحاجز كابوس المقدسيين اليومي، لكن بما أن الخروج من القدس عبر حاجز قلنديا ليس فيه تفتيش حتمي للسيارات والشاحنات، إنما دخول القدس هو المذلّة الكبرى، وافق المنجد أن يأخذ الكنبة على أن يتولى أبي مهمّة إعادة إدخالها لبيتنا بالشيخ جراح؛ لصعوبة المهمة مع جنود الحواجز الإسرائيليّة"[1].

تعمد الدول إلى تزيين مداخلها البرية ومطاراتها لتعطي السّائح فكرة جميلة عنها، ويقوم الاحتلال بفعل ذلك على الحواجز كما يظهر في الاقتباس السابق، إذ يزين الاحتلال حاجز قلنديا بكلمات تبدو سخيفة للمقدسيين؛ لأنّ الاحتلال الذي يحاصر (الأمل) لا يمكن أن يكون ناشره، فكيف يكون حاجز يفصل المقدسي عن أخيه الفلسطيني محطة أمل أو تفاؤل، وكيف سيأتي الأمل من حاجز يذيق المقدسيين والفلسطينيين العذاب حتى يستطيعوا الدخول إلى القدس؟ ويؤكد الاقتباس السابق أن الحاجز يعد كابوساً ومذلّة كبرى!

وتستفز لافتة (رافقتكم السلامة) المقدسيين خاصة، والفلسطينيين عامة إذ يعد حاجز قلنديا من أكثر الحواجز التي يفقد فيها الفلسطيني سلامته، فتبين رواية (عبور شائك) شعور الفلسطينيين وهم يقفون على حاجز قلنديا بانتظار فتحه على يد جنود الاحتلال كي يدخل الناس إلى القدس. وترصد رواية عبور شائك الفضاء النفسي للفلسطينيين المحتشدين أمام حاجز قلنديا انتظاراً لدخول القدس، وتصف مشاعر التوتر والاحتقان والقهر والكبت والاشمئزاز حينما " بدأت حركة ما تحدث بين الجموع حولهم. في داخل كل منهم كانت النار تشتعل. وكانت الأسئلة

([1]) الحسيني، عارف: حرام نسبي. ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2017م ص 114-115

تستعر في رؤوسهم كما النار، كأن الحاجز تحوّل إلى موقد. شعور ما بالقهر والعجز والقلق، وإدراك أنهم محتجزون... شيء ما في دواخلهم اختلط، ليشكل حالة لم يفهمها أيّ منهم: من أنا الآن؟ ماذا أريد؟ أين كنت؟ وإلى أين أتجه؟... حين خرج صوت الجندي من مكبر الصوت معلنا فتح الحاجز لعشرة دقائق فقط، اندفع كل منهم وحده ناسياً الآخرين، ومحاولاً تحصيل فرصة لذاته بالنفاذ من الحاجز أمام تدافع المتدافعين وهجوم الناس على البوابة. كان كل منهم يتنفس الصعداء حين وطئت قدماه أوّل الطريق خارج بوابة الحاجز، وكأن صخرة انزاحت عن قلبه. لكن دمعة كانت تتراقص في زاوية عيني كل منهم، ولم يجدوا في أنفسهم الشجاعة أو القدرة على الالتفات إلى الوراء"[1].

يصوّر لنا الاقتباس السابق أن الوقوف على حاجز قلنديا يتقارب كثيراً من مشهد يوم القيامة، إذ يقف الإنسان عليه غير مدرك لمصيره، متشككاً بنفسه وهويته، ولا يعرف إلى أي اتجاه سيذهب، فوجهته محددة بمزاج الجنود إما أن يسمحوا له بالعبور إلى القدس أو يرجعوه، فيضطر للبقاء على الحاجز أو للبحث عن منطقة أخرى يقضي فيها وقته حتى يسمح له بالرجوع إلى بيته في القدس، وكل واحد منهم خائف و(أناني) لا يفكر إلا بنفسه كيوم القيامة الذي يفر المرء فيه من أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، ولكل واحد من المنتظرين على المعبر شأنه الخاص الذي يشغله، فاجتياز الحاجز أمر صعب يترك في الذاكرة وشماً موجعهاً وفي الوجدان نزيفاً متجدداً.

وتحمل الحواجز التي يقيمها الاحتلال حول القدس رسائل عدة للفلسطينيين، بأن القدس ملكه هو فقط، فهو المتحكّم بحدودها، وبمن يستطيع دخولها والعيش فيها، ومن خلال هذه

([1]) التكروري، باسمة: عبور شائك. ط1، دار البيرق العربيّ للنشر والتوزيع، رام الله، 2009م، ص90-91

الحواجز يستطيع تحديد حدود مدينة القدس، وأن من لا يخضع لسياسته يمكن بسهولة إخراجه من القدس ومنعه من دخولها.

بنى الاحتلال اليهوديّ في عام 2002م جداراً حول الضفة الغربيّة بما فيها القدس، وأخرج سبعاً وعشرين قرية فلسطينيّة كانت تابعة للقدس خارج حدودها؛ ليحقق التفوق الديموغرافي اليهوديّ على الفلسطيني، ويمتد الجدار حول المدينة مساحة 133 كم، ومن خلال الجدار استطاع الاحتلال اليهوديّ ضم 250 ألف مستوطن إلى القدس، وعزل 120 ألف فلسطيني من سكّانها عن مركز حياتهم ومعيشتهم[1]. وبهذا يتبين أنّ ادعاءات الاحتلال الأمنيّة بشأن إقامة الجدار كاذبة، فالهدف الرئيس من إقامته هو الحد من عدد المقدسيين في القدس، وضم أكبر عدد من المستوطنات إليها، وكأنه إعادة لترسيم حدود المدينة.

أسفرت الحرب العربيّة اليهوديّة عام 1948م عن تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين، إذ "أجلي سكّان 38 قرية فلسطينيّة، من مجموع 40 قرية من قرى قضاء القدس وبقيت في يد الاحتلال الإسرائيلي بعد اتفاقيّة الهدنة عام 1949م" [2]، والإجلاء يختصر فترة عصيبة عاشها سكّان القرى المقدسيين من قتل ونهب وهدم للبيوت وأسر وتهجير، فالعصابات اليهوديّة لم تترك طريقة إلا واتبعتها بهدف الاستيلاء على القرى الفلسطينيّة؛ لإقامة دولة يهوديّة عليها.

([1]) ينظر: ممارسات وإجراءات الاحتلال الإسرائيلي منذ حزيران 1967-2009. دائرة شؤون القدس منظمة التحرير الفلسطينيّة، القدس، 2010م، ص29-31

([2]) تماري، سليم: القدس 1948 الأحياء العربيّة ومصيرها في حرب 1948. ط2، ترجمة خليفة أحمد وزملائه، مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة وبديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، القدس، 2003م، ص101

وتهدف إقامة الحواجز على حدود مدينة القدس إلى إخراج القرى المقدسيّة – التي تتبع للواء القدس تاريخياً ويسكنها الفلسطينيون – من حدود القدس؛ كي يتفوّق الاحتلال على الفلسطينيين بالميزان الديموغرافي، إذ فصل قرى شمال غرب القدس عن المدينة، بالإضافة إلى فصل بعض قرى شرق القدس وجنوبها عنها، ويظهر ذلك في رواية (عاشق على أسوار القدس)، في حوار بين المحامي سرحان وأحد المقدسيين الذي قابله في ما يسمى مكتب وزارة الداخليّة التابعة للاحتلال:

" – لماذا أنت هنا

- **لأسجّل الأوّلاد ببطاقة الهويّة.**
- **وهل طلبك جاهز؟**
- **تقصد النموذج؟ لا طبعاً، فأنا هنا للمراجعة لأستفسر، لأرى ما المطلوب، ما ردهم.**
- **لا تغلب نفسك فلن يوافقوا، فأنا أسكن في ضاحيّة البريد (من ضواحي القدس) وعدّوني خارج البلد، وألغوا بطاقتي.**
- **يا إلهي، أليست ضاحيّة البريد من حدود القدس؟**
- **كانت. الله يرحم ما كان. كانت ضاحيّة البريد حتى بيت آل صندوقة تابعة لبلديّة القدس حسب مفهومهم، حتى أن سيارة النفايات التابعة لبلديّة القدس كانت تجمع النفايات من هناك. لكن بعد عودة السلطة، وعندما ازداد عدد سكّانها العرب قاموا بتعديل الخريطة، ففصلوها عن حدود القدس، وعدوها تابعة لمنطقة رام الله، مع أن مستوطنة " النبي يعقوب" بجانبها تماماً، وأقيمت على حدودها وسلبت بعض أراضيها، وتوقفت البلديّة حتى عن جمع النفايات، وأسقطوا بطاقاتهم المقدسيّة.**

- **قريباً سيعدّون كل عربيّ بأنّه غير مقدسي أينما سكن.**
- **يريدون تهويد القدس بالقوة."[1]**

يعد الحوار الروائي السابق سجلاً تاريخياً مستمداً من حكايات المقدسيين الذين تجمعهم المعاناة في أثناء مراجعة الدوائر (الحكومية)، فالاحتلال يفصل القرى عن مدينة القدس، ويسحب صفة مقدسي عن سكّانها حسب مصلحته الديموغرافيّة.

يؤكد النّصّ الروائيّ السابق أنّ الاحتلال يفصل القرى عن مدينة القدس، ويسحب صفة مقدسيّ عن سكّانها وفق مصلحته الديموغرافيّة، ولهذا فصل منطقة ضاحيّة البريد عن القدس بسبب زيادة عدد الفلسطينيين فيها، على الرغم من أن مستوطنة (النبي يعقوب) التي يعدها الاحتلال ضمن حدود مدينة القدس أُقيمت على أراضيها، ولكن بسبب التفوق الديموغرافي لليهود لم تفصل عن حدود المدينة.

ولم تكن بلدة الضاحيّة الوحيدة التي فصلت عن مدينة القدس، إذ تؤكد رواية (كافر سبت) على سياسة فصل القرى عن المدينة، كما يتجلى في وصف السارد الذي وظف الحديث عن شؤون خاصة تبدو اعترافات شخصيّة لا تخلو من الصراحة والشفافيّة التي تكشف عن سمة الطرافة والعفويّة والواقعيّة في شخصيّة السارد، ثم ينتقل لوصف سياسيّ يقترب في لغته من الأسلوب الصحفي المباشر في قوله :

" وفي الفندق كانت المعادلة مشابهة، فقد عملت على الانضمام للحلف الذي يتآمر على المدراء والإدارة، وفي المقابل قبلت أن أحتسي الفودكا، وأن أذهب لاستئجار الأفلام الإباحية كي يشاهدها العمال في بهو الفندق بعد أن ينام الجميع؛ لأنّي كنت الوحيد منهم الذي يستطيع

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 59-60

التنقل في شوارع القدس بحريّة، فجميعهم كانوا ممنوعين – من سلطات الاحتلال – من التواجد في المدينة، وكانوا يأتون تهريباً، وينامون في الفندق بعيداً عن عائلاتهم ونسائهم، وفي أفضل الأحوال يجازفون بزيارة من لهم في القرية التي تبعد بضع كيلومترات شمال غرب القدس، ولكن الاحتلال قرر عزلها خارج حدود البلديّة رسموها بعد الاحتلال، وبنوا مستوطنة ضخمة لتفصل بين قرى تلك المنطقة والقدس، وشرعوا بعدها ببناء جدار الفصل والتوسع العنصري، الذي يفصل القدس عن باقي الضفة الغربيّة بحجّة الأمن"[1].

ولم يذكر اسم المستوطنة التي تقطع أواصر قرى شمال غرب القدس عن المدينة، وهي (جفعات زئيف)؛ لأن هذه المستوطنة ليست الوحيدة التي تقوم بتقطيع الروابط الجغرافية والاقتصاديّة والاجتماعيّة للقرى المقدسيّة التي تربطها بالمدينة، فمثل هذه المستوطنة موجود على حدود مدينة القدس، وداخل حدودها وبين قراها العربيّة، فالاحتلال يريد أن ينشئ كياناً متواصلاً ومترابطاً للمستوطنين، في الوقت نفسه يريد الحد من التوسع الفلسطيني في القدس، وقطع تواصل المناطق الفلسطينيّة التي تقع ضمن حدود مدينة القدس. كما أنّ هؤلاء العمّال الذين يعملون في فندق ملاصق لبلدة القدس القديمة، يشبهون عمالاً كثيرين من القرى المفصولة عن القدس الذين لا يسمح لهم الاحتلال بالعمل في القدس أو بدخولها، فيضطرون لدخولها (مُهربين) إما عن طريق مقاول، أو عن طريق القفز عن جدار العزل، فأهل قرى القدس المفصولة لا يرضون بالواقع الذي فرضه عليهم الاحتلال بالانعزال عن القدس، فيتمردون على قراراته بالمحافظة على مصدر لقمة عيشهم في القدس.

([1]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 116

لم يؤثّر فصل القدس عن محيطها الفلسطيني على ميزانها الديموغرافي وحسب، بل أثّر سلباً على اقتصادها كما تبين رواية (سوق العطارين) على لسان السارد " جلسة الساعة العاشرة هذه أمام الدكان، أصبحت تتمّ في غالب الأحيان منذ سنتين، ذلك لأنّ " السوق نايم" أي أنّ الحركة التجاريّة أصبحت ضعيفة منذ البدء بتطبيق اتفاقيات السلام، فقد زادت الحواجز الإسرائيلية على مداخل مدينة القدس، وأصبح من الصعب وصول سكّان باقي المدن الفلسطينيّة للتسوق منها، وكذلك تعذر وصول سكّان القرى الفلسطينيّة العربيّة المحيطة بالقدس إليها، والتي تعتبر مركزهم للتسوق، مما أضعف الوضع التجاري في المدينة، في حين أن الوضع السياحي فيها بات ضعيفاً. أمّا ما قبل اتفاقيّة أوسلو فقد كانت الأمور التجاريّة تلهي أبا العبد وأبا مصطفى عن الخروج من حوانيتهم، والاكتفاء بشرب القهوة أثناء العمل"[1].

تشير الرواية السابقة إلى أنّ جزءاً كبيراً من تهويد مدينة القدس تتحمله القيادات الفلسطينيّة التي اعترفت بالاحتلال وقبلت أن توقع معه على معاهدات لم تفعل شيئاً إلا ترسيخ وجود الاحتلال الذي سرق القدس.

تصف رواية (سوق العطارين) التأثير الاقتصادي السلبيّ للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن مدينة القدس كما يتجلى في قول السارد: " أثناء احتسائهم القهوة في اليوم التالي، في ذلك النّهار الربيعيّ من عام 1996، قال إبراهيم السندس: – اليوم قطعت السوق من باب العامود، ومشيت كل سوق خان الزيت، إلى أن وصلت مدخل سوق العطارين، في سبع دقائق، ما في ناس ماشية لا في باب العامود ولا في سوق خان الزيت، كانت هذه الطريق تأخذ مني أكثر من عشرين دقيقة في يوم عادي من " أيام زمان"، وأحيانا كانت تأخذني نصف ساعة لأصل عندكم.

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 11

- **أيام زمان راحت، لكن إن شاء الله تتجدد، اليوم كل اللي بعته بشويّة شواكل، بعت زبونين فقط"[1].**

يدلّ الاقتباس السابق على أنّ فصل القدس عن محيطها الفلسطينيّ أثّر على ديموغرافيّة المدينة إذ أصبح الوجود الفلسطينيّ فيها قليلا، فالسوق –عادة –هي من أكثر الأماكن التي يتجمع فيها سكّان المدينة وزوارها، وكذلك يدلّ الاقتباس السابق على ضعف اقتصاد المدينة فلم يعد سكّانها قادرين على الشراء كما كانت قدرتهم الشرائيّة من قبل، ففرغت الأسواق من المشترين، ممّا أثر سلباً على اقتصاد المدينة وتجارها الذين أصبحوا يتبادلون أطراف الحديث ويشربون القهوة أمام محلاتهم التجارية بدلاً من أن يبيعوا ويشتروا، فاضطر كثير منهم إلى إغلاق محلاتهم التجارية في بلدة القدس القديمة، والبحث عن عمل آخر خارجها، إذ بلغ عدد المحلات التجارية التي أغلقت أبوابها داخل البلدة القديمة في القدس 1400 محل تجاري تمثل 25% من عدد محلات البلدة. [2]

وجاء إغلاق محلات بلدة القدس القديمة لأسباب عدة مجتمعة، منبثقة عن سياسات الاحتلال، الذي يمنع الفلسطينيين الذين يسكنون الضفة الغربيّة من دخول القدس، ويفرض ضرائب باهظة على سكّان المدينة وتجارها، فيضطرون إلى إغلاق محلاتهم. ومن أشهر هذه الضرائب ضريبة الأرنونا التي تعني المسقوفات، فكل بناء مسقوف يتعين على صاحبه أن يدفع سنوياً مبلغاً معيناً لبلديّة الاحتلال في القدس. وتختلف القيمة المالية بناء على نوع المبنى، (سكنيّ أو تجاريّ أو غيرهما)، وبناء على المنطقة الجغرافيّة داخل القدس، وترجع رواية (باب

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 14

([2]) ينظر: 25% من محلات القدس القديمة أغلقت أبوابها. موقع الجزيرة نت، 2017/9/23م
https://www.aljazeera.net/news/alquds/2017/9/23/25-من-محلات-القدس-القديمة-أغلقت-أبوابها

العمود) السبب الرئيس لإغلاق محلات البلدة القديمة لضريبة الأرنونا إذ تقول: " ندخل السوق وكم أوجعك أن ترى أغلب الدكاكين مغلقة، فهي لا تفتح إلا أيام الجمعة والسبت والأحد! أذكر أنّك سألتني عن سبب إغلاق المحلات فأجبتك أنّ السبب هو ضريبة (الأرنونا) الباهظة التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي على أصحاب المحلات من أجل إجبارهم على ترك محلاتهم وترك القدس لاحقا، هذا عدا عن الجدار العازل الذي بنته (إسرائيل) وخنقت به القدس من ثلاث جهات والهدف طبعاً إجبار المقدسيين على الرحيل"[1].

قد يسأل سائل هل ضريبة الأرنونا مفروضة فقط على المقدسيين، ولهذا يضطر المقدسي لإغلاق محله التجاري، أم أنّها مفروضة على الفلسطينيين واليهود؟ من المعلوم أن الضريبة مفروضة على من يسكن دولة الاحتلال بفارق وحيد أنّ من يحدد قيمة هذه الضريبة هي بلديّة الاحتلال، ويمكن لها بكل بساطة أن تميّز في الأسعار بين الفلسطينيين واليهود، ثمّ إنّ أصحاب عقارات اليهود في البلدة القديمة غالبيتهم جمعيات يهوديّة كعطيرت كوهانيم وإلعاد اللّتين تهدفان إلى الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من عقارات الفلسطينيين في بلدة القدس القديمة وإعطائها للمستوطنين، فغالباً تقوم بدفع ضريبة الأرنونا لبلديّة الاحتلال، ولا تأخذ من المستوطنين مبلغاً مالياً مقابل السكن أو العمل في العقار الذي تملكه إحدى الجمعيتين، فمن يدفع في هذه الحالة ليس المستوطن الفرد بل جمعيات تملك ملايين الدولارات الموجهة نحو هدف واحد وهو تهويد القدس، على عكس المقدسي الذي يتكفّل بدفع ضريبة الأرنونا وأجرة عقاره بنفسه.

وليست ضريبة الأرنونا هي الضريبة الوحيدة التي يدفعها التاجر المقدسي، إذ إن هناك ضريبة أخرى تدعى ضريبة المبيعات وتمثل 17% من البيع، وتبيّن رواية (سوق العطارين) أنّ

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 43-44

التجار المقدسيين يتهربون من الضريبة؛ لأنّ سلطات الاحتلال دائماً تشكك بالكشوف التي يقدمها التجار، فتقوم بفرض مبالغ طائلة عليهم، أو مصادرة بضائعهم، كما جاء على لسان السارد في رواية (سوق العطارين) " لم يكد الثلاثة ينتهون من شرب القهوة، ولم يكد إبراهيم السندس يقف وقفته المعتادة داعياً أبا مصطفى للمنازلة في معركة طاولة الزهر ولعبة المحبوسة، حتى سمعت أصوات صفير متتالية في السوق، وخلال ثوان معدودة ومع استمرار الصفير كان جميع أصحاب المحلات يسرعون إلى إغلاق محلاتهم، ذلك أنّ تصفير الشباب باستعمال أصابعهم وألسنتهم يعني نوعاً من الإنذار المبكر بأن رجال الضريبة اليهود يجوبون شوارع البلدة القديمة، وأن هناك " كبسة" ضريبيّة متوقعة على محل أو أكثر في السوق... الحق يا أبو مصطفى، الشرطة وحرس الحدود والضريبة فتحوا الدكان وقاعدين بحملوا البضاعة من المحل"[1].

وتؤكد رواية سوق العطارين على سياسة التمييز بين التجار الفلسطينيين والمستوطنين، إذ إنها تتساهل مع التاجر المستوطن بينما تتشدد مع التاجر المقدسي وتكذّبه، ويقترب حديث السارد من مضمون التقرير الصحفي بقوله: " تجار القدس العربيّة لديهم مشاكل مع الضريبة، ذلك أن رجال الضرائب لا يثقون بدفاتر الحسابات التي يقدمها التجار العرب، وبالتالي فإنّ أي تاجر عربيّ في عرف الإسرائيليين هو كذّاب ومتهرب من دفع الضريبة، ولذلك فإنّ حساباتهم يتم رفضها من قبل رجال الضريبة، لأي سبب شكلي، أو مخالفة صغيرة، بينما التاجر اليهوديّ

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 36-39

مصدق دائماً وحساباته مقبولة، رغم أنّ التجار اليهود يتهربون من دفع الضريبة بصورة أكثر ومبالغ كبيرة جداً"[1].

ويرتبط سبب تساهل سلطات الاحتلال مع المستوطنين في دفع الضرائب بحرصها على بقائهم في القدس، وعدم اضطرارهم بسبب هذه الضريبة إلى المغادرة إلى دول أوربية وخاصة أن معظمهم يحمل جنسيّة الدولة التي هاجر منها إلى فلسطين.

وقد تسجن سلطات الاحتلال المقدسي بسبب تراكم ديون الضرائب عليه، ففي رواية (غولدا نامت هنا) سجنت سلطات الاحتلال مقدسيّة بسبب عدم قدرتها على دفع ما يسمى بضريبة التّلفاز، إذ يدفع المقدسي بحسب الرواية ضريبة على وجود تلفاز في بيته، وهي ضريبة رفاهية يدفعها المقدسي مقابل امتلاك تلفاز يشاهد من خلاله فيلماً أو مسلسلاً أو حتى نشرة أخبار. ويصف السارد حواراً مع مسؤول في الضريبة يكشف عن جشع محصلي الضرائب من جهة، ومعاناة المواطن المقدسي من جهة أخرى في قول سميرة نزيلة الزنزانة التي أمضت فيها المقدسيّة هدى فترة اعتقالها: " اسمعي ما فعله العرصات بي، واعذريني ست هدى على استخدام الكلمات النابية. بعد أسبوع واحد من التّوصّل إلى تسوية معهم حيث دفعت خمسة وثلاثين ألف شيكل لتسديد ضريبة أرنونا البيت، عادوا يطالبون بأرنونا التلفزيون عن السنوات الخمس الماضية. وأصرّوا أن أدفع عشرة آلاف شيكل أخرى! وذلك بعد أن دفعت آخر قرش أملكه وأكثر لتسديد أرنونا البيت المسخوطة. من أين آتي بالمال؟ أخبريني. وقلت للضابط، حتى لو حاولت أنّ تبيعني في سوق الروبابكيا لن تحصل على ألف شيكل"[2].

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 39

([2]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 170

ولا تنحصر محاربة سلطات الاحتلال الفلسطيني اقتصادياً على أصحاب المحلات التجارية، فتطال الفلاحين الذين يحملون ما أنتجته بساتينهم ليعرضوها على قارعة الطريق في منطقة باب العامود، إذ يمنع جنود الاحتلال الفلسطينيين من عرض بضائعهم هناك أو في أي مكان آخر كما توضح رواية (ضحى) " وفي باب العمود تجلس فلاحات يبعن دبساً خليلياً وزعتراً وزغدة نعنع تدوسها أقدام الجنود، ورجالات مصلحة الضرائب تدلق بقول الفلاحات العجائز"[1].

لا يريد الاحتلال بقاء معلم واحد يدل على عروبة مدينة القدس، فالفلاحات اللواتي يجلسن بزيهن الفلسطيني على قارعة الطريق يبحثن عن لقمة العيش يشكلن تحدياً لسلطات الاحتلال.

المبحث الخامس: السياحة في القدس بين التهويد والتسييس

عطفاً على التأثير السلبي للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن المدينة الأم، امتد الضرر الاقتصادي إلى قطاع السياحة كما توضح رواية (سوق العطارين)، فالأدلاء السياحيون اليهود يُنَفّرون السياح من الشراء من التاجر العربيّ عن طريق تشويه سمعته، ورسمت الرواية (سوق العطارين) صورة سلبية منفرة على لسان أبي مصطفى صاحب أحد المحلات التجاريّة في سوق العطارين " المشكلة مع أدلاء السياحة اليهود.. هدول بيطلبوا من (الجروبات) أي المجموعات السياحيّة إنها ما تشتري من المحلات العربيّة، بيقولولهم العرب حراميّة، وبينصحوهم يشتروا من سوق الكاردو اللي فتحوه اليهود جنبنا، والسواح بيصدقوهم، مع إنّه في بضايع في سوق الكاردو التجار اليهود اشتروها مني أنا، وبيبيعوها بأغلى كثير من أسعارنا"[2]. يثير النّصّ السابق قضيّة

([1]) ياسين، حسين: ضحى ثلاث نساء في القدس. ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، 2018م، ص 211

([2]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 116

خطيرة تتصل بصورة العربيّ لدى الغربيين، وقد عمدت الحركة اليهوديّة منذ إنشاء الكيان الاحتلال إلى تشويه صورة العربيّ، "وتناظر الدعاية اليهوديّة افتراءات بعض الرّحّالة حينما كتبوا عن رحلاتهم إلى المشرق العربيّ. وتُضمر المؤثرات التي تُفضي إلى تشكيل صورة العربيّ في الكتب المدرسية اليهوديّة آفاقاً فكرية تتمثل بالصورة السلبية التي جسدها الفكر الاستشراقيّ وخاصة ما كتبه بعض الرّحّالة المستشرقون الذين ربطوا العقل العربيّ بالدونيّة، والعقل الغربي بالتفوق والإبداع"[1]. وأجرى عدد من الباحثين دراسات حول صورة العربيّ في الكتب الدراسيّة اليهوديّة، وخلصت دراساتهم إلى تأثير الاستشراق في رسم معالم شخصيّة العرب الذين وصفوا بأنّهم رعاع سلبيين، يهدّدون ويعتدون ويدمّرون ويستأصلون ويحرقون بيّارات البرتقال والبساتين والغابات. وأن العرب ناكرون للجميل. وفي المقابل تزعم الكتب المدرسية أن اليهوديّة جلبت التقدم إلى المنطقة، وساعدت في تقدم العرب والتغلب على الخراب. [2]

يتعرض التاجر المقدسي لمنافسة غير شريفة من قبل المستوطنين التجار الذين فتحوا محلات تجارية ملاصقة لمحلات المقدسيين، فهم يعمدون وبالاتفاق مع الأدلاء السياحيين اليهود إلى خداع السّائح كي يشتري منهم لدعم السوق اليهوديّة، أما المقدسي فلا أحد يشتري منه إلا كما يقول عنه التجار السّائح "الفالت" أي الذي يأتي إلى القدس وحيداً وليس مع مجموعة سياحية مرتبطة مع أدلاء سياحيين " إسرائيليين".

تتضمن الرحلات السياحيّة التي تنظمها سلطات الاحتلال للسياح أماكن فلسطينيّة تم تهويدها، وتصف رواية (مصابيح أورشاليم) التزوير الجغرافي والتهويد اللّغوي لأسماء الأماكن

([1]) عتيق، عمر: نوافذ ثقافيّة. ط1، دار دجلة، عمان، الأردن، 2019م، ص 160

([2]) ينظر: أبو سعد، إسماعيل: التّعليم العربيّ في إسرائيل وسياسة السيطرة: واقع التّعليم في النّقب. ط1، منشورات جامعة بن غريون في النقب، م2011، ص 136 –141

الفلسطينيّة التي طالها التهويد في الجولة السياحيّة التي انضم إليها إدوارد سعيد وهو أحد شخصيّات الرواية عندما زار القدس، كما جاء في الرواية المذكورة على لسان السارد " مر من محطة القطار القديمة، تناول يائيل الميكريفون وقال للسياح: سنمر من منتزه هاز وبعد ذلك سنمر من عند كبريس، أنتم ترون الآن مجمع الكنيون أكبر المحال التجاريّة في القدس، وهناك حديقة الحيوان، وهذا الفندق هل تعرفونه؟ إنه فندق هوليلاند، ومن ثم سندخل نحو جبل هرتسل، ونمر من ياد فاشيم، ومن جسر روفين، ومن متحف العلوم. كان يائيل يشير للسياح بفرح للأماكن التي يصلون إليها... مرت الحافلة من متحف إسرائيل، وإدوارد يضع رأسه على حافة النافذة وهو يرقب المباني التي تمر أمام ناظريه: متحف بلاد الكتاب، كنيست إسرائيل، محكمة العدل العليا، المحطة المركزيّة.

- **هل وصلنا شموئيل هنفي؟ قالت إيستر**
- **نعم. قال يائيل وهو يشير للسياح، إلى كفعات هتحموشيت، إلى فندق الهياة[1]، إلى هر هتسوفيم.**
- **انظروا قال: هذا مستشفى هداسا.**
- **انظروا قال: هذا مستشفى أوغوستا فكتوريا، نحن نداوي به الفلسطينيين أيضاً، الفلسطينيون الذين نصوّب عليهم في المظاهرات"[2].**

يأخذنا النّصّ السابق بجولة سياحيّة مع مجموعة من السياح في القدس، ويبدو جلياً أن الأماكن التي زارتها هذه المجموعة السياحيّة لم يذكر فيها أي مكان يدلّ على وجود فلسطينيين،

([1]) استبدل الكاتب حرف الحاء بحرف الهاء ليقترب من نطق اللّغة العبريّة الغربيّة التي تنطق الحاء هاء.

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 198-199

ولم يُلمّح لوجودهم، إلا في المستشفى الذي يقول فيه المرشد السياحي إنهم يعالجون فيه الفلسطينيين الذين يصابون في المظاهرات، فالفكرة التي يأخذها السّائح الأجنبيّ أن الفلسطينيين مثيرون للشغب، ويربط اسمهم بأعمال العنف، ويحرص المرشد السياحي على عدم ذكر سبب المظاهرات التي ينظمها الفلسطينيون، فلو قال إنّهم يقومون بها رفضاً لاحتلال أرضهم ووطنهم لأثبت أن الأماكن التي زارتها المجموعة السياحيّة هي أماكن فلسطينيّة، ثم يزوّر اسم مستشفى أوغوستا فكتوريا محرفاً الحقيقة إذ إن هذا المستشفى بني في العهد التركي عام 1910م على يد القيصر الألمانيّ وليم الثّاني تكريماً لزوجته أوغستا فكتوريا[1]، وإن إدارته فلسطينيّة ولم تكن يوما يهوديّة. وبهذا يكون الاحتلال روج لنفسه على أنّه "إنسانيّ"، وأن هذه البلاد بتاريخها وأسمائها تعود لليهود فقط.

تتفق المسميات العبريّة في النّصّ الروائيّ السابق مع حزمة من المصطلحات الإعلاميّة التي تهدف إلى ترسيخ تهويد القدس، وإضفاء الصبغة اليهوديّة على المدينة المقدسة، نحو مصطلح (شرقي العاصمة) الذي ينطوي على دلالة سياسيّة مركّبة، فهو يزعم من جهة أنّ القدس عاصمة الاحتلال، وينفي من جهة أخرى الحالة السياسيّة لما يُعرف بالقدس الشرقيّة التي احتلت عام 1967، ويعدها جهة جغرافية تقع شرق العاصمة المزعومة لاغياً بهذه الدلالة البعد الديني للمقدسات الإسلاميّة والمسيحيّة. ومصطلح (بلديّة العاصمة) الذي يعني أنّ القدس مدينة يهوديّة تقوم على مؤسسات مدنية منظمة، والبلديّة واحدة من تلك المؤسسات. ولا يخفى أنّ هذا الوصف يطمس الحق التاريخيّ والدينيّ والسياسيّ والسياديّ للفلسطينيين في القدس.[2]

([1]) ينظر: مستشفى المطلع القدس. http://www.avh.org/arabic/date/date.html

([2]) ينظر: عتيق، عمر: في قضايا المصطلح النقدي والبلاغي والعروضي والإعلامي. ط1، دار جرير، عمّان، 2015م، ص166

ولا يتعرّف السّائح في مدينة القدس على الأماكن التي بنتها إسرائيل فوق أنقاض منازل وقرى المقدسيين وحسب، بل يتعرف على المنتجات اليهوديّة والفنانين اليهود؛ لتصله رسالة يسعى الاحتلال إلى توصيلها للمجتمع الدولي وهي أنهم "شعب" مبدع يستحقّ الحياة على أرض فلسطين.

وتقيم سلطات الاحتلال مهرجانات عدة على مدار العام هدفها تحفيز السياحة في المدينة، ونقل صورة مشرقة عن الاحتلال، ومنها مهرجان (حوتسوت هعير)، الذي تتحدث عنه رواية (مصابيح أورشاليم) والذي يعرض فيه الفنانون اليهود أعمالهم كما تصف الرواية: "سطوع رماديّ خلف البلدة العتيقة والسياح يسيرون مجموعات مجموعات، شيء خفي خلف الأسوار في الصباح، ورائحة اللّوز تنبعث بعمق من النوافذ المقورة لبيوت الفلسطينيين، شيء يرف على المسالك والشعب. – إنه الأسبوع الرّابع من مهرجان حوتسوت هاعير في أورشاليم هل نذهب له؟ قال يائيل ذلك، ونظر بعينين مقطّبتين كما لو كان ينظر في العتمة... طافت إيستر في المدينة في حوتسوت هاعير، طافت على الملابس النسائيّة، على أدوات الزينة، على مواد التجميل والمانيكرات، على محلات النظارات الشّمسيّة، وعلى مقربة من المسرح وقف مصممو الأزياء ومنتجو أدوات التّجميل.

- **هل تريدين تنوره من تصميم ميخال ازولاي يا عزيزتي؟**
- **هل تريدين فستانا من تصميم اوديلية مزراحي يا عزيزتي؟**
- **تعالي وقصي شعرك بالمجان من مصفف الشعر شوكي زيكري"[(1)].**

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم ص 163-164

يكشف النّصّ الروائيّ السابق أن صورة القدس لدى السّائح – كما خططت لها السّياسة السياحيّة – مدينة مفعمة بالحياة والترف، تمتلئ أسواقها بالكماليات والإكسسوارات، ومظاهر الموضة الغربيّة، ولا أثر لمظاهر الاحتلال، ولا صدى لمعاناة المقدسيين. ويأتي السّائح إلى القدس فيتعرف على كل شيء إلا القدس، فهو لا يتعرف إلا على ما أراد الاحتلال أن يوصله له، فيتعرف على تاريخ الاحتلال الذي وصل إلى 72 عاماً، بينما لا يتعرف على تاريخ المدينة الأصلي الذي يصل إلى آلاف السنوات. ولا يعرف السّائح – في الغالب – عن سكّانها الأصليين سوى أنّهم كاذبون وسارقون كما يخبره المرشدون السياحيون.

وتعني ترجمة اسم المهرجان (حوتسوت هاعير) ساحات المدينة، وهو يقام في نقطة التقاء شقّي المدينة الغربيّ والشرقيّ، وفي عنوان المهرجان رسالة واضحة مفادها أنّ شقّي المدينة يخضعان لسيطرة سلطات الاحتلال، وليس للفلسطينيّ أي سلطة في هذه المدينة، فمدينة القدس وحدة واحدة متواصلة بين الشرق والغرب وتخضع لسلطة واحدة وهي سلطة الاحتلال.

المبحث السادس : بناء البيت المقدسيّ بين المنع والهدم

حرص الاحتلال الإسرائيليّ على التفوق الديمغرافيّ لليهود، فقام بتخصيص "35% من أراضي القدس الشرقيّة لبناء المستوطنات، وقام بتعريف 22% من مساحة القدس على أنّها مناطق خضراء لا يمكن البناء فيها... وما يزال 30% من مساحة القدس اليوم خارج أية دائرة من دوائر التخطيط، على الأقل لن يسمح للفلسطينيين باستعمالها. أما ما تبقى للفلسطينيين فيبلغ 13% من مساحة القدس" [1]، وفي هذه المساحة الضيقة من القدس لا يعطي الاحتلال رخص بناء للمقدسيين بسهولة، فإجراءات استصدار رخص للبناء تستغرق سنوات كثيرة، وتكاليفها باهظة.

يمتنع الاحتلال عن السماح للمقدسيين بالبناء في أراضيهم في القدس، وذلك عن طريق عدم الموافقة على خرائط البناء التي يقدمونها، أو يؤجل الموافقة إلى تاريخ غير معلوم كي يضطر المقدسيون للسكن خارج القدس؛ بسبب عدم توافر السكن الكافي الذي يجب أنّ يتناسب طردياً مع الزيادة السكّانية الطبيعيّة.

ويعاقب الاحتلال من يبني بيتاً في القدس قبل حصوله على ترخيص من بلديّة الاحتلال بهدم منزله، إمّا عن طريق آلياتها أو إجبار صاحب البيت نفسه على هدمه. فهدمت سلطات الاحتلال من عام 1967م إلى 2019م ما يقارب 3800 بيت للمقدسيين[2] وتوثق رواية (باب العمود) قضيّة عدم السماح للمقدسيين بالبناء وهدم بيوتهم، كما جاء على لسان المقدسيّ جابر

([1]) الاستيطان الإسرائيلي الاستعماري في القدس. ص 19

([2]) القدس بين الاعتداءات اليومية والتهويد (1967–2014). ص 26، وينظر: هدم منازل في شرقي القدس منذ عام 2004 ولغاية 2019/7/31 وفق معطيات بتسلم. https://www.btselem.org/arabic/planning_and_building/east_jerusalem_statistics

الذي أخذ يروي لبهيّة بطلة الرواية عن قصة بيته الذي أجبره الاحتلال على هدمه " كلفني بناء البيت عشرين ألف دولار، وقد تقدمت عدّة مرات بطلب ترخيص ورفضوا ذلك! عشر سنوات وأنا أنتظر رخصة البناء. صارت عائلتي كبيرة، ولا أستطيع البقاء في غرفة في بيت أهلي فبنيت 80 متراً فقط. وعندما عرف الاحتلال حرروا مخالفة بقيمة 35 ألف دولار، وقمت بدفعها حتى لا يهدموا المنزل، إلا أن بلديّة الاحتلال ورغم تلقيها كامل المبلغ لم تصدر ترخيصاً وأمرت بالهدم. والآن حتى لا أدفع لبلديّة الاحتلال عشرين ألف دولار بدل أجرة جرافات ونفقات للبلديّة، قلت: أهدم بيتي بيدي!"[1].

يشكل النّصّ السابق مفارقة مذهلة؛ لأنّ قيمة المخالفة أكثر من قيمة البيت نفسه، وقيمة غرامة هدم البيت بجرافات الاحتلال تعادل قيمة البيت نفسه. ونلاحظ من الاقتباس السابق أنّ المقدسيّ انتظر عشر سنوات كي يوافق الاحتلال على طلبه بالبناء في أرضه، لكن دوائر الاحتلال المختصة أهملت طلبه، فلم ترد إيجاباً ولا رفضاً، فاضطر للبناء بسبب زيادة عدد أفراد عائلته، وبهذا يكون الاحتلال قد حارب المقدسي بعدم السماح له بالبناء، وحاربه نفسياً بانتظار الموافقة على طلبه، وحاربه نفسياً ومادياً مرة أخرى عندما أمره بهدم منزله بيده. وإجراءات بناء بيت في القدس لا يوجد لها مثيل في العالم كله، وخاصة حينما يجد المواطن المقدسي نفسه مضطرا على هدم بيته بيده. وعلى الروائيين العرب الانتباه أكثر إلى هذه القضيّة، وتصوير مشاهد هدم المقدسيين لبيوتهم بأيديهم، وما يرافق هدمها من مشاعر إنسانيّة، وما ينجم عن الهدم من تشريد لأفراد الأسرة الذين لا يجدون – في الغالب– بيتاً يأويهم، فينامون في العراء، أو تحت الصّفيح.

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 70

ولا يسمح الاحتلال للمقدسيّ بتوسيع منزله المقام، إذ يهدم التوسعة التي ينفذها المقدسيّ كما جاء على لسان نبيه بطل رواية (كافر سبت) في سياق حديثه عن بيت والد جده الذي لم تسمح لهم سلطات الاحتلال توسعته: " موسى بنى بيتاً له خارج أسوار البلدة القديمة في القدس. ومن شعوره بالعظمة طلب أنّ يدفن بجانب أساساته، وهذا ما حصل، ولذلك بقي بيتنا يسمى بيت القبر، لعشرات السنين، المحفورة عليه أمجاد العائلة لتبني مكانه برندة حديثة تضع فيها طقم صالون رخيص تستضيف عليه الزوار غير المرغوب بهم، خاف عمي أن يكسر كلمتها، وبعد بنائه البرندة فوق القبر جاءت بلديّة الاحتلال لتهدمها بحجة عدم الترخيص، كما يفعل الإسرائيليون لمعظم أهالي القدس (العرب فقط)، فهم يتعمدون مبدأ "صحيحاً لا تكسر ومكسوراً لا تأكل وكل حتى تشبع"، إذ لا يعطون المقدسيين "الرخص" اللازمة للبناء، حتى لو استوفوا كامل الأوراق، وأقدموا على رشوة الكبير والصغير في البلديّة. إنّهم لا يردون بكلمة "لا" على أي طلب نطلبه كمقدسيين، وفي ذات الوقت نادراً ما يقولون "نعم""[1].

يدل إهمال الدوائر المختصة بإصدار رخص البناء طلب المواطن المقدسيّ على أنّ ما يسمى بلديّة القدس تحرص على عدم حصول المواطن المقدسي على قرار رفض كيلا يقدم خطاب القرار إلى المحاكم، فالدوائر المختصّة تحرص على عدم دخولها في قضايا (قانونية) مع المواطن المقدسيّ كما يدل واقع الحال. ولم تقف الرواية العربيّة على بطلان ما يسمى قوانين بلديّة القدس؛ لأنّ الاحتلال لا يجوز أن يُشرّع قوانين وينفذها، فما يسمى ببلديّة القدس مؤسّسة غير شرعيّة؛ لأنّها تمثّل سلطة سياسيّة محتلة وفق الحقائق التاريخيّة والقوانين الدّوليّة. وما دام الاحتلال في القدس واقعاً سياسيّاً باطلاً، فإن ما يصدر عن مؤسّساته يعد باطلاً. ويشير

([1]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 36

النّصّ الروائيّ السابق إلى أنّ المواطن المقدسيّ مضطر للتعامل مع قوانين (بلديّة القدس)؛ لأنّه لا يملك خياراً آخر يضمن له بناء بيت يأويه، أو توسيع مساحة بيت تقتضيه أحوال أسرته. ويشير إلى سياقين زمنيين متناقضين، الأوّل: سياق تاريخيّ يجسد تمسّك المقدسيّ ببيته بعد وفاته كما أوصى الجد أن يدفن بجانب أساسات بيته. والثّاني: سياق سياسيّ معاصر يجسّد سياسة دوائر الاحتلال في منع المواطن المقدسيّ من توسيع مساحة بيته.

تعود بيوت مدينة القدس القديمة إلى حقب ضاربة في أعماق التاريخ، ويحتاج بعضها إلى ترميم كي تبقى صالحة للسكن بسبب العوامل الجوية والجيولوجيّة، لكن سلطات الاحتلال تمنع المقدسيين من ترميم منازلهم كي لا تعود صالحة للسكن، فيضطروا إلى هجرها. ويشير السارد في رواية (عاشق على أسوار القدس) إلى " المضايقات التي يتعرض لها أصحاب البيوت العرب في البلدة القديمة، حيث يُمنعون من ترميم بيوتهم الآيلة للسقوط، وجعلها بيوتاً تتوفر فيها شروط سكن صحيّة حديثة. هدفهم أن نهجرها ليسيطروا عليها ويعملوا هم على ترميمها لإحلال المستوطنين اليهود بها"[(1)]. وتتفق رواية (باب العمود) مع الرواية السابقة في تصوير هذه القضيّة فأمّ مروان" كان بيتها مليئاً بالحشرات المميتة ولا بد من ترميمه؛ لأنّه من المباني القديمة جداً التي تعود لأجداد زوجها قبل مئة سنة. عندما تقدمت بطلب إلى بلديّة الاحتلال رفضوا ذلك بالطبع"[(2)].

يحيل رفض الاحتلال ترميم بيوت المقدسيين إلى عام 1967م، عندما طرد اليهود سكّان حارة الشرف والمناطق المحيطة بها كما جاء في رواية (عاشق على أسوار القدس): "وطردوا

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 137

([2]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 152

سكّان المنطقة تحت قانون أقرّوه يجبر المواطن العربيّ للرحيل مقابل تعويض مالي حددوه لهم، ومن رفض أخرجوه بالقوة دون تعويض تحت مبرر تطوير المنطقة وإعادة إعمارها، والحقيقة هي إسكّان اليهود بها بعد ترميمها وهذا ما حصل"[1].

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 106-107

الفصل الثّاني: هويّة المكان والإنسان في القدس

المبحث الأوّل: تهويد أملاك المقدسيين

المبحث الثّاني: تهويد أسماء القرى والشوارع

المبحث الثّالث: تهويد المقدسات الإسلاميّة

المبحث الرّابع: نزع الهويّة الفلسطينيّة من المقدسيّ

المبحث الخامس: محاولة تهويد الإنسان

المبحث الأوّل: تهويد أملاك المقدسيين

سنّت سلطات الاحتلال اليهوديّ قوانين عدة من أجل الاستيلاء على عقارات المقدسيين في البلدة القديمة أو خارجها، ففي عام 1950م سنّت ما يسمى بقانون أملاك الغائبين الذي يمنح أحقيّة التصرف بأملاك كل شخص نزح أو هُجّر أو شرد من عقاره سواء أكان سكنياً أم تجاريا أم زراعيا أم غيرها، ولم يكن موجوداً ضمن حدود دولة الاحتلال بتاريخ 1 أيلول 1948م [1]، واستناداً على هذا القانون أعطت إسرائيل نفسها الحق بمصادرة عقارات المقدسيين الذين نزحوا من ديارهم، أو قتلوا في حرب 1948م، وكذلك النازحين إثر حرب حزيران 1967م، فصادرت على إثر هذا القانون 790 عقاراً في بلدة القدس القديمة [2].

لم يغادر معظم المقدسيين شرقيّ القدس عام 1967م، إذ إن جزءاً كبيراً منهم استطاع أنّ يحافظ على عقاراته، ولم يعجب ذلك الاحتلال. ولتحقيق مكاسب أكبر لصالح اليهود أصدر الاحتلال قوانين أخرى تمكّنه من الاستيلاء على عقارات المقدسيين منها قانون الاستملاك للمصلحة العامة، وقانون المصادرة لأسباب أمنيّة، فاستولى الاحتلال على المدرسة التنكزيّة الملاصقة للمسجد الأقصى؛ بسبب موقعها الحسّاس المطل على ساحة البراق، واستولى على منازل عائلة التّرهي بحجة مقتل مستوطن يهوديّ بالقرب من الموقع [3].

([1]) ينظر: نص قانون أملاك الغائبين. موقع مؤسسة عدالة،
https://www.adalah.org/uploads/oldfiles/Public/files/Discriminatory-Laws-Database/Hebrew/04-Absentees-Property-Law-1950.pdf

([2]) الاستيطان الإسرائيلي الاستعماري في القدس. ص95

([3]) المرجع نفسه. ص99-100

تتحدث الروايات العربيّة عن أبرز الأساليب التي يتبعها الاحتلال بهدف تهويد أملاك المقدسيين التي تقسم إلى قسمين: أملاك هُجّرَ منها أهلها في أثناء حرب عام 1948م، وأخرى يسكنها أهلها ولم يتركوها. ويتبع الاحتلال طرقاً مختلفة في سبيل الاستيلاء على كلا النوعين من الأملاك وفق الروايات العربيّة الواردة في الدراسة، وهي كالآتي:

أوّلاً: سرقة البيوت ونزع ملكية الفلسطينيين عنها

اضطر آلاف المقدسيين إلى الهجرة من بيوتهم بسبب ما ارتكبته عصابات الاحتلال اليهوديّة عام 1948م، تاركين وراءهم بيوتهم وأراضيهم وأملاكهم على أمل الرجوع إليها بعد الحرب، لكن الاحتلال قام بخطوة استباقيّة خوفاً من رجوع المقدسيين ومطالبتهم باسترجاع بيوتهم، فسنّ قانوناً عنصرياً يمنع كل فلسطينيّ من استرداد أملاكه، وأطلق عليه اسم قانون أملاك الغائبين، وبناء على هذا القانون لا يمكن لكل فلسطينيّ هُجّر من بيته أنّ يعود إليه، وعليه أصبحت سلطات الاحتلال هي المسؤولة الوحيدة عن هذه الأملاك، وأنشأت دائرة حكوميّة خاصّة تعنى بها، وتسربها للمستوطنين.

توثّق رواية (غولدا نامت هنا) دور هذه المؤسّسة التهويدية، وتصور البعد النفسي لشخصيّة "نهيل" حينما علمت بخبر بيع بيتها من قبل مؤسّسة " أميدار": " وسألت نفسي، ما هذه الطريقة الغريبة لتهدئة روع نهيل! إخبارها أنّ أميدار، الوكالة الحكوميّة الإسرائيليّة المكلّفة بإدارة أملاك العرب الغائبين، قررت بيع بيت عائلتها. أصيبت نهيل بصدمة كبيرة وتساءلت للبيع؟ ولطمت رأسها بيدها، وفغرت فاها من هول الفاجعة. ثم تهاوت على كرسي وحدقت في الفراغ

لفترة طويلة. ولمّا تمالكت نفسها، وسألت بصوت مكسور ومرتعش: وهل قامت أميدار ببيع منزلنا فعلا؟"[1].

فنهيل صاحبة البيت عادت إلى القدس وأحبت زيارة منزلها الذي يقع في حي الطالبيّة غربيّ القدس، وهي تعلم أنّ البيت أصبح تحت سيطرة دائرة أملاك الغائبين، لكنها لم تعلم مسبقاً أنّ بيتها سيباع لمستوطن قريباً، وصدمتها كانت متوقعة فكيف يمكن أنّ تكون صاحبة منزل في أرقى أحياء القدس وتعلم أنّه سيباع إلى مستوطن؟

وبيت نهيل واحد من مئات البيوت التي باعتها ما تسمّى بدائرة أملاك الغائبين إلى المستوطنين، إذ كانت توفر لكل مستوطن يهاجر إلى فلسطين منزلاً كما تصور رواية (برد الصيف) أنموذجاً من البيوت المقدسيّة التي استولى عليها الاحتلال، وانتقلت ملكيتها من المقدسيين إلى المستوطنين: " أوقفت جيئولا سيّارتها أمام بيتها في حيّ رحافيا الفاخرة بيوته، البيت من طابقين يعلوهما قرميد أحمر، حديقة مزينة بورود مختلفة، يحيط به سور ارتفاع واجهته الأماميّة سبعون سنتمتر، ومن الخلف يزيد على المتر، فوق مدخل البيت مكتوب باللّغة العربيّة (هذا من فضل ربّي، تم بناء هذا البيت عام 1789م لصاحبه محمد محمود جودة)، تحت البيت بئر ملأى بالمياه، تنهد أبو سالم وسأل: هل صاحبك عربيّ يا عليّان؟ فهذا بيت عربيّ. ضحك عليّان وقال: لا يا عمّاه إنه يهوديّ أصله من النّمسا. بينما قالت جبريئيل: أنا يهوديّة، ولدت في فينّا عندما قامت دولتنا كان عمري سنتين، وعدنا للبلاد وعمري خمسة

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص88

شهور[1]، الدولة أعطت هذا البيت لوالديّ كلّ شيء كان موجوداً فيه، الأثاث فاخر جداً لا يزال على حاله، ندفع أجرة للدولة ثلاث ليرات في الشهر، أنا مبسوطة كثير ولا أنوي تغييره"[2].

جيئولا في الاقتباس السابق هي نفسها جبريئيل، ولكنه يرفض هويّته الجنسيّة الذكوريّة، ولهذا يلبس هندام النساء ويتزين مثلهنّ، ويطلق على نفسه اسم جيئولا. واللافت أنّ هناك علاقة صداقة بين جيئولا وعليّان الفلسطينيّ، ولكن هذه العلاقة هي علاقة مصلحة. ونرى أنّ الاحتلال يؤمّن لكل يهوديّ يهاجر إلى فلسطين المحتلة بيتا وغالباً ما يكون مفروشاً، وهذا يدلّ على أنّ أرض فلسطين هي أرض لها أصحاب عمروها وسكنوها، ولم تكن يوماً أرضاً خالية من الشعب كما يصورها الاحتلال.

يثبت النّص السابق أنّ البيوت المقدسيّة التي استولى عليها الاحتلال ما يزال المعمار الهندسي لها عربيّاً، وما يزال بعضها يحتفظ بطابعه العربيّ نحو البيت الذي ورد في النّصّ السابق الذي كُتب في مدخله عبارة ((هذا من فضل ربّي، تم بناء هذا البيت عام 1789م لصاحبه محمد محمود جودة)). وتشكل هذه الظاهرة حافزاً للباحثين لإجراء دراسات ميدانيّة ترصد المعالم العربيّة للبيوت التي استولى عليها المستوطنون في القدس وغيرها من المدن الفلسطينيّة.

ويضمن قانون أملاك الغائبين للاحتلال الاحتفاظ بممتلكات المقدسيين، ولو قدموا له الأوراق الثبوتيّة التي تدلّ على ملكيتهم للبيت، فالسيّد أنضوني برامكي أحد شخصيّات رواية (غولدا نامت هنا)، توجّه لقضاء الاحتلال وقدم مستندات ملكيّته لفيلّاته في منطقة المصرارة غربيّ القدس، ولكن لم يسعفه ذلك باسترداد بيته، " نعم، سعادة القاضي، ها هو سند تسجيل

([1]) ربما هناك خطأ في الكتابة فقصد الكاتب خمسة سنين بدل خمسة شهور، أو أن عمرها كان سنتين وخمسة شهور، إذ لا يمكن أن يكون عمرها عند قيام دولة الاحتلال سنتين، وعندما هاجرت إليها كان عمرها 5 شهور.

([2]) السلحوت، جميل: برد الصيف. ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2013م، ص 22

الأرض وسند ملكية البيت الصادر في عام 1932 عندما أتممت بناء الفيلّا... وتفاجأ أنضوني إذ أظهر القاضي اهتماماً كبيراً بسند ملكية الأرض. وهذا جعل أنضوني يشعر بأنّ إثبات ملكيته حقق الغاية المرجوة أخيراً... وبعد صمت وجيز، قال القاضي: سيد برامكي، أهنئك على حفاظك على كل هذه الوثائق والصور والرسومات المشوّقة لبيتك التي احتفظت بها طوال هذه السنوات، وكذلك مفتاح البيت، لكن أخشى أنّ هناك حيثية صغيرة مهمّة قد غابت عنك كما يبدو، هي أنّك من الغائبين... من الغائبين؟ كيف من الغائبين وأنا ماثل هنا أمامك يا سعادة القاضي؟ ... أنت في نظر القانون الإسرائيلي مالك عقار من أملاك الغائبين"[1].

أقيمت هذه المحاكمة بعد احتلال الجزء الشرقيّ من القدس وضمّه إلى جزئها الغربيّ، إذ إنّ أنضوني وعائلته نزحوا إلى شرقيّ القدس بعد أنّ استهدفت العصابات اليهوديّة منزلهم، وبعد احتلال القدس كلها انتهز برامكي الفرصة لاسترداد بيته والعودة إليه، لكن الاحتلال كان قد ضمن بقوانينه العنصريّة صد أي عائد فلسطينيّ. ويثبت النّصّ الروائيّ سخافة المحاكم اليهوديّة، فالقاضي اعترف بلسانه أنّ هذا البيت هو لأنضوني برامكي إذ قال له (بيتك) في الحوار الذي دار بينهما، لكن ذلك الاعتراف لا يحقق شيئاً على أرض الواقع.

وحولت دائرة أملاك الغائبين فيلّا البرامكي إلى متحف أسمته متحف السلام "هذا المتحف، وهو الأوّل من نوعه في إسرائيل، مكرس للحوار والتفاهم والتعايش. وهو نقطة تلاق، ومكان لتوضيح ومناقشة تساؤلات بخصوص الحرب والسلام والنزاع والمصالحة"[2] ويتعرف زائر المتحف

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 62

([2]) المصدر نفسه. ص 76

على مؤسس الحركة الصهيونية ثيودور هرتزل، ويستمع إلى خطاب بن غوريون الذي أعلن فيه تأسيس كيان الاحتلال.

هناك مفارقة كبيرة بين اسم المتحف، والمكان الذي أقيم فيه، فكيف لمتحف السلام أنّ يكون قد بني على أرض مسروقة؟ وكيف يمكن التوفيق بين هدف التعايش و طرد سكّان البيت الأصليين ومنعهم من العودة إليه؟ لا ترى سلطات الاحتلال السلام سلاما ولا التعايش تعايشا إلا إذا كان موافقا لسياساتها العنصريّة والتهويديّة، فلو أراد الفلسطينيّ العودة إلى منزله لوصفته بالإرهابيّ ومعادي للساميّة، أما طردها للفلسطينيّ وقتله فهو من وجهة نظرها دفاع عن النفس.

يُعرّض المقدسيّ الذي يزور بيته الذي سُرق منه في عام 1948م نفسه للمساءلة القانونيّة، إذ لا يرغب غالبية المستوطنين برؤية من ينازعهم بملكية البيوت التي سرقوها، كما أنّهم لا يريدون أنّ يروا من يذكرهم بأنهم سارقون، وتصور رواية (غولدا نامت هنا) كراهية المستوطنين للمقدسيين الذين يأتون لرؤية بيوتهم المسروقة كما جاء على لسان هدى الإمام التي بقيت تزور منزلها في غربي القدس " في الماضي، كلما كان يراني أي فرد من أفراد أسرة بلومبيرغ التي تسكن بيتنا، وخصوصاً يوئاف، أقف في الحديقة أو حول البيت، كانوا يخرجون عن بكرة أبيهم من البيت ويصيحون عليّ. بدأ كل ذلك في عام 1997م، عندما اشتريت شركة أودي كابلان العقارية بيتنا من أميدار... والآن كلما رآني يوئاف أو رأى سيارتي، فإنه يتصل بالشرطة، ثم يسد الطريق أمامي حتى تصل الشرطة... يوئاف أصبح أكثر نجاعة، فهو يتصل بالشرطة قبل أنّ يخرج للشجار معي"[1]، وتتعرض هدى صاحبة المنزل للاعتقال؛ لأنّها اقتربت من منزلها الذي استولى عليه المستوطنون.

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 119-121

تعرض رواية (غولدا نامت هنا) لمفارقة سياسيّة أخلاقية، وتجسد مساءلة أخلاقيّة لما يسمى هيئة الأمم المتحدة، إذ إن " غولدا مائير سكنت فيلّا هارون الرشيد في خمسينات[1] القرن الماضي. وعندما أتى الأمين العام للأمم المتحدة، داغ هامرشلد، لزيارة (منزلها)، عمدت إلى مسح الكتابة العربيّة بالرمل، كي تخفي حقيقة أنّ رئيسة وزراء إسرائيل تسكن في بيت عربيّ"[2]، فالخط العربيّ يثبت وجود حياة سابقة للفلسطينيين في هذا المكان وهو ما لا يريده أي مستوطن على اختلاف مكانته في دولة الاحتلال سواء أكان رئيس وزراء أم في أدنى وظيفة في السلم الوظيفي، كلهم سواء في هذه المسألة.

سكنت غولدا مئير في أحد طوابق هذا البيت بينما سكن قاضي ما يسمى محكمة الاحتلال في الطابق الآخر. و" هذه الفيلّا بناها زنغيل من زناغيل القدس اسمه (حنا بشارات) بناها عام 1926، في الطابق الأوّل سكن قاضي محكمة العدل العليا الإسرائيلية وفي الطابق الثّاني سكنت غولدا مائير تخيلي! سكنوا على نفس الأثاث الذي اشتراه صاحب الفيلا"[3]، يمثل النّص الروائي إثارة لافتة للمتلقي؛ لأنّ ما يسمى " رئيس محكمة العدل العليا " ينبغي أنّ يكون أكثر الناس عدلاً، ولكنه استولى على بيت أحد الفلسطينيين، فكيف يمكن لهذا القاضي أنّ يحكم بالعدل بعد الآن؟ ولو حكم بالعدل فسيضطر إلى ترك المنزل الذي منحته إياه ما تسمى بدائرة أملاك الغائبين.

وإذا كان بيت المقدسيّ كبيراً، فلا تتوانى سلطات الاحتلال عن تحويله إلى فندق، كما يرد في رواية (غولدا نامت هنا): " سعاد أترين تلك البناية الجميلة ذات الأقواس الثلاثة؟ هذه تعود أيضاً لدار عويضة، أسرة نهيل. سيحولها الإسرائيليون إلى فندق خمس نجوم. وسمعت تنهّد

([1]) تقصد خمسينيات

([2]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 96

([3]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 65

نهيل. ونظرت إلى البناية الجميلة من شباك السيارة الخلفي، وكان سهلا عليّ أنّ أتخيلها فندقاً فاخراً"[1].

ثانياً: تزوير وثائق الملكيّة

لا يتورع الاحتلال عن تزوير أوراق ملكية البيوت ونسبتها إليه، فمن يسرق وطناً، ويقتل شعباً فمن اليسير عليه تزوير أوراق ملكية بيت. وتقف رواية (سوق العطارين) على مساومة اليهود وإغرائهم لأبي سامي ليبيع بيته، إذ "حاولت إحدى المجموعات اليهوديّة شراء البيت من أبي سامي، وعرضت عليه مبلغاً كبيراً من المال لكنه رفض بيعه لهم، فقاموا بزيادة المبلغ المعروض حتى وصل إلى نصف مليون دولار، وعندما رفض البيع، رفع أحد اليهود قضيّة في المحكمة يدعي فيها ملكيته للبيت، وأنّ البيت يملكه والده الذي اشتراه قبل عام 1948م، وقام هذا اليهوديّ بتقديم وثائق وأوراق، كان التزوير فيها واضحاً، وبالرغم من أنّ محامي أبي سامي قام بتوضيح التزوير للقاضي اليهوديّ الذي ينظر في الموضوع، إلا أنّ القاضي لم يقبل الطعن بالتزوير، وحكم في القضيّة لمصحة نقل الملكيّة إلى اليهوديّ، وقام أبو سامي باستئناف القرار لدى المحكمة المركزيّة، لكن المحكمة المركزيّة أيدت قرار المحكمة الأوّلى، وحكمت بملكيته لليهود، وقد اتفق أبو سامي مع المحامي في اليوم السابق على الذهاب إلى محكمة العدل العليا لاستئناف الحكم هناك، ولم يكن يدري بأنّ اليهود سيقومون بالاستيلاء على البيت بهذه السرعة، وقبل انتهاء مدة الطعن بالقرار لدى المحكمة العليا". [2]

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 93

([2]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 67

يتضح من الاقتباس أنّ مؤسّسات الاحتلال تُجمع على تهويد القدس بالاستيلاء على عقارات المقدسيين، واللافت أنّ المؤسّسات القضائيّة تسهم في تهويد بيوت المقدسيين. ومن اليسير الربط بين قاضي المحكمة الاحتلال العليا الذي يسكن في بيت فلسطينيّ- كما تبين سابقاً- والجهاز القضائيّ في النّصّ الروائيّ السابق. فالهدف واحد، وهو الاستيلاء على عقارات المقدسيين. ويرينا الاقتباس أنّ المستوطنين يحاولون بشتى الطرق تخليص المقدسيّ من عقاره، سواء بإغرائه بالأموال الطائلة، أو بالتزوير.

ويثير تزوير الوثائق الرعب في قلوب المقدسيين حتما، إذ تبين أن لا شيء يصعب على سلطات تتخذ من القوانين والقضاة العنصريين وسيلة لتحقيق مآربها، إذ إن كل شيء يصبح بهذه الطريقة سهلا.

والتزوير "ثقافة متأصلة" في الفكر اليهوديّ الذي عمد إلى تزوير جغرافيا فلسطين كلها، و" ما زالت الخرائط الجغرافية في الكتب المدرسيّة والموسوعات تشير إلى الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، وتظهر فيها التجمعات السكّانيّة اليهوديّة في زمن الهجرة اليهوديّة، والمستوطنات الجديدة، وتتجاهل تلك الخرائط أسماء المدن والقرى العربيّة بهدف إظهار فلسطين قبل هجرة اليهود إليها خالية من الوجود الفلسطينيّ، وأنّ فلسطين كانت أرضاً مقفرة، وهذا الافتراء يعيد إلى الأذهان المقولة اليهوديّة (هجرة شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب).[1]

وطرد المقدسيين من بيوتهم بدعوى ملكيتها لليهود ليس أمراً مستحدثاً كما يتجلى في رواية (غولدا نامت هنا) من خلال التساؤلات التي تثيرها شخصيّة سميرة زميلة الزنزانة التي

(1) عتيق، عمر: نوافذ ثقافيّة. ص 202 . وينظر: شلحت، أنطوان: منهاج التعليم الإسرائيلي: ما زال "السلام" خارج المدرسة. مجلة قضايا إسرائيلية، العدد 3، يوليو 2001م ، ص 87

قضت فيها هدى الإمام فترة اعتقالها، " ألم يطردوا عائلتيّ الغاوي وحنّون من بيوتهم في حيّ الشيخ جراح، الحيّ الذي تقطنين فيه؟ أليس هذا الحي الذي تعيشين فيه؟ وطردوا أيضاً عائلة الكرد من بيتهم في وادي الجوز. المسكين أبو كامل، لم يتحمل أنّ يُطرد من بيته فأصيب بنوبة قلبيّة قضت عليه وهم ينفذون عمليّة الطرد. انظري إلى زوجته المسكينة، أم كامل: أقامت خيمة بجانب منزلها؟ ثم ماذا حدث؟ بعد ستّة أشهر، الله فقط يعلم وين اقتادوها. المسكينة انتهى أمرها دون زوج ودون بيت. اسمعيني يا هدى، لن يرتاحوا حتى يتخلصوا من كل العرب في القدس الشرقيّة"[1].

لا يفوّت اليهود فرصة الاستيلاء على نصف بنصف في القدس القديمة حينما يتمكّنون من تزوير مستنداته والاستيلاء عليه، كما تبيّن رواية (باب العمود) بذكرها قصة المقدسيّة أم مروان، " في يوم جاء يدق بابها رجل سمى نفسه عزرا عرّف على نفسه بأنّه موظف البلديّة وأخذ معلومات كاملة عن البيت والأوّلاد، وبعدها بأسبوع فوجئت باستدعاء من المحكمة ووجدت عزرا نفسه يقف أمامها ويدعي أنّ له الأحقية في ملكية نصف البيت!...ورجعت إلى منزلها وما هي إلا أيام حتى أغلق الاحتلال قسماً من البيت الذي ادّعى عزرا أنّه له بدعوى أنّ هذا القسم متنازع عليه، وتحفظوا على مفاتيحه، مع أنّ كل الأوراق الثبوتيّة تثبت أنّ هذا المنزل هو ملك لأم مروان وزوجها وأولادها"[2].

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 16

([2]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 153-154

ثالثاً: إغراء المقدسيين بالأموال الطائلة لبيع بيوتهم

من الطرق التي يستولي فيها المستوطنون على بيوت المقدسيين إغراء المقدسيين بالمال كي يبيعوا بيوتهم، وتعرض رواية (باب العامود) أساليب اليهود في جمع المعلومات عن البيوت التي يخططون لشرائها إذ إن " اليهود لا يتكلمون كثيراً! إنهم يدفعون للمؤسسات اليهوديّة العالميّة التي تقوم بشراء الأراضي والمنازل عندما تصعب المصادرة، يتفقدون البيوت العربيّة بيتاً بيتاً. يعرفون من فيها ومن هو خارجها! من مات ومن هو باق على قيد الحياة من الورثة! من الموجود منهم في الخارج! يزورون الوثائق كما زوروا التاريخ، يشوهون ويسرقون!"[1]، ويعرض الاحتلال على المقدسيين مبالغ طائلة مقابل بيع بيوتهم. وتصور رواية (سوق العطارين) حجم الإغراءات المالية كي يبيع المقدسيون بيوتهم، فحينما " عرض اليهود على إبراهيم، بصفته متولياً لوقف عائلة السندس مبلغاً كبيراً من المال، وصل إلى مليون دولار، كتعويض عن أملاكه، لكنه رفض قبول هذا التعويض، وجرت محاولات عديدة لاحقة لإقناعه بالبيع، وتم إغراؤه برفع مبلغ العرض حتى وصل المبلغ المعروض إلى مليوني دولار"[2].

وهذه الأموال الطائلة هي أكثر بكثير مما يستحقه البيت، إذ إن غالبية بيوت القدس القديمة صغيرة وقديمة وتحتاج إلى ترميم، وهذه الأموال تدفعها الجمعيات الاستيطانيّة من التبرعات التي تجمعها من يهود العالم مقابل تهويد القدس.

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 50-51

([2]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 47

رابعاً: إزعاج المقدسيين ليضطروا للهجرة من بيوتهم

يسعى المستوطنون إلى التضييق على المقدسي كي يترك منزله، ومن ثم الاستيلاء عليه، كما جاء في رواية (باب العمود) على لسان جارة بهية بطلة الرواية: " شرفة بيتنا تطل على حائط البراق وبيتنا يقع بجانب الكنيس، في ساعات الليل يقفز المستوطنون من الكنيس إلى داخل الشرفة ليكملوا سهرتهم عندنا! وعلى عربدة وسُكر وصراخ وكلام مبتذل وسخ وغناء، وعندما نستدعي لهم شرطة الاحتلال لنشكوهم، نتفاجأ بردهم وهو أنّ يبقى المستوطنون في الشرفة يعبثون ويفعلون ما يريدون طالما لم يعتدوا علينا! وفي النهار، وعندما أريد أنّ أنشر الغسيل على الشرفة، تأتي القوات الخاصة الإسرائيليّة المكلّفة بحمايتهم وحماية الكنيس وتطلب مني أنّ آتي بإذن من الشرطة حتى يسمح لي بنشر الغسيل! [1].

يستطيع المستوطن أنّ يتصرف بأريحيّة داخل بلدة القدس القديمة، ويستطيع أنّ يستبيح أجزاء من بيوت المقدسيين دون محاسبة من شرطة الاحتلال، بينما المقدسي لا يستطيع أنّ يقوم بأبسط حقوقه في بيته إذا كان ملاصقاً لأحد البيوت التي استولى عليها المستوطنون. وتهدف هذه الممارسات الاستفزازيّة إلى الضغط على المقدسي كي يهجر بيته في القدس، وتكشف رواية (باب العمود) عن البعد النفسيّ المثقل بالقلق على لسان جارة بهية بطلة الرواية " في كثير من الأحيان أشعر بالانهيار وأني سأترك المكان، بخاصة عندما يأتي زعران اليهود ويخلعون ملابسهم ويرقصون وهم عراة"[2]، فالسكن في القدس القديمة يقتضي تضحية كبيرة، يكابد المقدسي ألمها للمحافظة على عروبة القدس.

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 49

([2]) المصدر نفسه. ص 50

وتصف رواية (عاشق على أسوار القدس) تدني المستوى الأخلاقيّ للمستوطنين الذين استولوا على بيوت مجاورة لبيوت مقدسيين، كما يصف السارد: " في الطريق بعد عدّة أمتار كان علم إسرائيل يتدلى إلى اليمين على الحائط من الشّبّاك في الطابق الثّالث. أشار الحاج علي بعكازه إلى العلم وقال: إنّه يتدلى من الشقة التي سيطروا عليها. يأتون إليها بالمستوطنين الشباب الأكثر حقداً على العرب والمسلمين. وظيفتهم إزعاج المارة بأصواتهم وحركاتهم ليجبروا الآخرين على الرحيل، وحتى عندما فرضوا أنفسهم علينا كجيران لم يحترموا أخلاق الجيرة ومارسوا كل ما هو سيء ضدنا"[1].

وتسهب رواية (سوق العطارين) في رصد أساليب المستوطنين وأفعالهم العدوانية وممارساتهم الاستفزازية للتضييق على المقدسيين ، كما جاء على لسان السارد الذي يحكي عن إزعاج المستوطنين لعائلة أبي العبد " بالرغم من أنّ الجيران الجدد وزوارهم، قلما يستعملون الباب المعطل على الحوش لدخولهم وخروجهم من المنزل، بل يستعملون الباب الخلفيّ، الأقرب إلى حائط المبكى، إلا أنّ الضوضاء التي يحدثونها، أثناء الليل والنهار، أصبحت تزعج سكّان الحوش، بمن فيهم عائلة أبو العبد، حيث إن الجيران الجدد وزوارهم، يقومون بالغناء الجماعيّ، أو الرقص على سطح المنزل محدثين ضوضاء عالية، دون مراعاة لوضع جيرانهم، أو نوم الأطفال في المنازل المجاورة"[2].

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 133

([2]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 78

خامساً: الاستيلاء على موارد الحياة الأساسيّة

استكمالاً لأساليب تهويد القدس والضغط على المقدسيين للهجرة منها وتركها لليهود، قامت سلطات الاحتلال بالسيطرة على مصادر الكهرباء المزودة للمقدسيين، للتحكم بهم وإخضاعهم بهدف ترحيلهم من القدس، كما يوضح السارد في رواية (كافر سبت): " أمّا شركة الكهرباء فقد مُنعت بعد سنوات قليلة على يد الاحتلال من توليد الطاقة، وفُرض عليهم شراؤها من شركة الكهرباء الإسرائيليّة القُطرية، وتوزيعها على المشتركين فقط! أما باقي الأعمال فقد بدأت تعاني من القوانين والإجراءات الاحتلاليّة التي تعمل بشكل ممنهج وطويل الأمد من أجل الترحيل البطيء وإفراغ الأرض من سكّانها لتتحقق مقولتهم الشهيرة: أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"[1].

يؤكد النّصّ الروائيّ أنّ سلطات الاحتلال اشترت شركة الكهرباء بالقوة، بعد أنّ فرضت على أصحابها بيعها، ثم قصرت دورها على توزيع التيار الكهربائيّ الإسرائيليّ في شرقيّ القدس والضفة الغربيّة.

وتظهر في رواية (عاشق على أسوار القدس) مضايقة الاحتلال للمقدسيين بقطع التّيّار الكهربائيّ عنهم من خلال حوار عائليّ بين الأم التي تحاول تهدئة ابنها الغاضب من قطع الكهرباء " انتهى حسن من رسالته، وقبل أنّ يرسلها انقطع التّيّار الكهربائيّ عن البيت، فبدأ حسن يصرخ:

- **اللّعنة على الكهرباء، اللّعنة على اليهود.**

([1]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 41

جاءت أمه من غرفة الجلوس حيث كانت تتابع مع عبير برنامجاً لمسابقات الأغاني، عندما انقطعت الكهرباء، سألته:

- **ما الأمر؟ لماذا تلعن الكهرباء؟**
- **انقطع التّيّار قبل أن أرسل الرسالة، والآن علي كتابتها من جديد.**
- **لا تخف ستكون محفوظة....**
- **متى سيعود التّيّار الكهربائيّ؟**
- **عندما تقوم الشركة بإصلاحه.**
- **ولماذا ينقطع كل فترة؟**
- **لأنّ إسرائيل لا تسمح للشركة العربيّة بتحديث المولدات حتى تُفشل الشركة وتسيطر هي عليها"[(1)].**

لا يرضى الاحتلال أنّ تبقى شركة كهرباء القدس هي الموزع للمناطق العربيّة، بل يسعى إلى إفشالها كي يكون هو مالك الشركة والموزع الوحيد للتّيّار الكهربائيّ. وفي الوقت نفسه يسعى إلى التضييق على المقدسيين بقطع التّيّار الكهربائيّ.

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 122-123

المبحث الثّاني: تهويد أسماء القرى والشوارع

سعى الاحتلال اليهوديّ بعد سيطرته على مدينة القدس، إلى بلورة طابع عبريّ للمدينة بهدف ربط كيانها السياسيّ، بما يسمى القوميّة اليهوديّة، وزرع جذور لليهود فيها بوساطة الأسماء التوراتيّة في القدس. ويقتضي التزوير اللّغوي التوراتي لأسماء الشوارع والقرى من المثقفين خاصة كشف الدلالات التوراتيّة عنه، وبيان خطورتها السياسيّة على القدس، انطلاقاً من أنّ التزوير اللّغوي معلم من معالم التهويد. "ويستطيع المثقفون كشف البنية الفكرية والسياسيّة المضمرة في الخطاب الإعلامي الإسرائيلي، لكن الخطورة في أنّ وسائل الإعلام موجهة لجميع الفئات العمرية والثقافيّة، ولهذا تتحمل وسائل الإعلام الوطنيّة والقوميّة مسؤوليّة الخطاب الإعلاميّ الذي ينبغي أنّ يحمي المتلقي من شوائب أو سلبيات المصطلح الإسرائيلي"[1] إذ إنّ وعي المشاهد العربيّ "إما أن يتقبلها وإما أن يرفضها، فإذا قبلها دخلت وركزت في الوعي وفق عملية تسمى بالإرساء حسب مصطلحات علم البرمجة اللغوية والعصبية وأصبحت معتقدا، وإذا رفضها ذهبت إلى اللاوعي."[2]

وتأثّرت الروايات العربيّة بالمصطلحات التهويديّة كما رأينا في اقتباسات كثيرة وردت في الدراسة، إذ أكثرت الروايات من ذكر كلمة (إسرائيل)، ونسبة الأشخاص (إسرائيليّ) والأماكن (إسرائيليّة) لها، وهذا ينافي الدور الذي تقوم به الروايات في مواجهة تهويد القدس، فلو أوردت كلمة احتلال مكانها لكان أنسب إذ إنّها تشير ضمناً إلى الاحتلال اليهوديّ.

---

(1) عتيق، عمر: في قضايا المصطلح. ص 161

(2) الزين، حسن محمد : نحو استراتيجية إسلاميّة لمواجهة الحرب الناعمة. (من كتاب الحرب الناعمة، المفهوم– النشأة– وسبل المواجهة). منشورات مركز قيم للدراسات. بيروت. ص42

ولم تكن مدينة القدس وحدها ضحية التزوير اللغوي بل شملت فلسطين كلها، فيسمي الاحتلال الضفة الغربيّة يهودا والسامرة .

شكل الاحتلال لتطبيق خطته لجنة خاصة عام 1948م، باسم اللجنة الحكوميّة للأسماء، تتألف من شخصيّات رسميّة وأكاديميّة ومسؤولين في ميدان التخطيط والتنظيم، مهمتها دراسة أسماء الأماكن والمعالم والمواقع التاريخيّة ووضع بدائل للأسماء العربيّة. وأوردت هذه اللجنة الأسماء اليهوديّة للمناطق العربيّة في الكتب المدرسيّة، ومنعت تداول الأسماء العربيّة، ثم تقدمت إلى المؤتمر الدوليّ لتوحيد المصطلحات الجغرافيّة المنعقد في جنيف في 1967/9/22م، بمذكرة تضمّنت أسماء عبريّة للأسماء العربيّة الأصليّة للمدن والقرى والمواقع الأثريّة في فلسطين، ثمّ أعدّت أطالس وموسوعات إسرائيليّة تضمّنت تسميات عبريّة لغالبيّة معالم البلاد، منها مثلاً: أطلس إسرائيل، الموسوعة اليهوديّة، موسوعة اليهوديّة وإسرائيل، المعجم الجغرافي لإسرائيل، ودليل سياحي باللغات كافة. [1]

ويُفضي تغيير الأسماء العربيّة على المدينة هويّة غير هويّتها الأصليّة، إذ عالجت المباحث السابقة إقامة الاحتلال المستوطنات والشوارع الاستيطانيّة والمتاحف وهدم القرى وتهجير أهلها ممّا أدّى إلى تغيير شكل المدينة، وبتغيير أسماء شوارعها وقراها تكتمل دائرة التهويد، وقد رصدت رواية (مصابيح أورشاليم) خطة التهويد على لسان اليهوديّ آحاد هاعام: " سنغير كل شيء قال آحد هاعام في القرن التاسع عشر. قال ذلك وقد انعكس شعاع الشمس على مونوكوله، كان الوقت ظهراً، وقد هبت ريح باردة بين الصخور وصفّرت بقوة دون توقف

([1]) ينظر: عبد الكريم، إبراهيم: تهويد أسماء المعالم الفلسطينيّة (الإيديولوجيا – التطبيقات – المواجهة). مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، 2008/3/13، http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=580

من خلال الخرائب كان هناك عمّال، مهندسون، جنود استعماريون يجتاحون الأرض ويجعلونها غريبة عن سكّانها الأصليين"[1].

وأحآد هعام هو أديب صهيونيّ، عاش في القرن التاسع عشر، وكرس حياته لإقامة وطن قوميّ لليهود في أرض فلسطين[2]، واختياره في النّصّ الروائيّ السابق ليس عشوائياً إذ يهدف الكاتب إلى القول إنّ الصهاينة خططوا منذ زمن بعيد لتهويد مدينة القدس، فجندوا كل من يستطيع تحقيق ذلك من عمّال وجنود ومهندسين، وأطلقوهم في المدينة كي يخلقوا مدينة جديدة على أنقاض مدينة القدس العربيّة.

ونجح المجندون في تغيير معالم المدينة وأسماء شوارعها كما تؤكد رواية (ضحى)، على لسان السارد " معالم القدس تغيرت أو غُيّرت بالقوة، فالكولنياليّة تقوم على تغيير صك الملكيّة من الساكن الأصليّ إلى الجديد، ومن ثمّ تقوم على تغريب المدينة نهائياً، إنّها تجعل معالمها غريبة تماماً، عن ساكنها المحليّ، ثم تغير تاريخها، أو تخترع تاريخاً جديداً وتفبركه، إنّها تسرد تاريخ الأمّة طبقاً لمصالحها ووجودها، وتصنع رموزاً جديدة تتعرف على نفسها فيها. الطالبيّة أصبحت " كوميموت" والقطمون أصبح " غونين" والبقعة أصبحت " غيؤوليم". حتى القدس يدعونها يروشلايم "[3].

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 92

([2]) ينظر: مركز مدار، أحاد هعام،
https://www.madarcenter.org/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9-

([3]) ياسين، حسين: ضحى ثلاث نساء في القدس. 160

يحرص الاحتلال على جعل هويّة القدس يهوديّة بربطها بالتوراة، كما تبيّن رواية (كافر سبت)، على لسان نبيه الذي كان يعمل أجيراً عند كهربائي، وأوكلت لهم مهمة تركيب مصابيح كهربائيّة في إحدى مستوطنات القدس، " وفي الحادثة التي نجوت منها بأعجوبة، من موت محقق، كنّا نُركّب مصابيح كهربائيّة في أحد بيوت مستوطنة إسرائيليّة قريبة تقع على أرض صادرتها سلطات الاحتلال، من بيرنبالا شمالي القدس، وأقامت عليها مستوطنة " جفعات زئيف"، سألت أحد العمال اليهود، المستوطنين اليافعين، في الورشة:

- **من يسمي بلدته الجديدة باسم " تلة الذئب"؟ ألا يوجد أسماء أفضل عندكم؟**
- **أجاب متهكما: جميع هذه الأسماء هي موجودة أو مستوحاة من التوراة ومن تاريخ ممالك إسرائيل الأوّلى والثّانية قبل سبيّ بابل وبعده لذا فنحن نعيد ليهودا والسامرة (الضفة الغربيّة) مجدها القديم"[1].**

تكاد لا تخلو قرية في مدينة القدس من مستوطنة أو بؤرة استيطانيّة، أسسها الاحتلال ثمّ أطلق أسماء يهوديّة عليها، ومحا أسماء القرى التي بنيت على أرضها هذه المستوطنات، كما جاء في رواية (باب العمود) على لسان بهية التي تروي كيف كان ماهر يعلّم أبناءه أسماء القرى المقدسيّة ويوضح لهم إستيلاء المستوطنين عليها، " في كل مرة نسافر فيها كنتَ يا ماهر تعيد أسماء المستوطنات المحيطة بالقدس وأسماء القرى العربيّة المغتصبة التي أقيمت عليها، أنت تسأل وعبادة يجيب، أنا مبهورة بإجابات عبادة فهو لا يخطئ! ومريم تعيد كلام عبادة وأحياناً تسبقه! تشير بيدك من الشباك وتقول:

([1]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 67- 68

- **يا عبادة هذه المستوطنة اسمها الجامعة العبريّة فيجيب عبادة: مقامة على أراضي قرية العيساويّة ولفتا!**
- **وهذه المستوطنات على شمالنا اسمها ريختس شعفاط، ينظر لها عبادة ثم يقول: وهي مقامة على أراضي قرية بيت حنينا وشعفاط!**
- **وتلك التي في أعلى التلة اسمها عطروت، ينظر عبادة إلى أعلى ويجيب: أقيمت على أراضي قلنديا والرام وبيرنبالا وبيت حنينا!**
- **طيب والتلة الفرنسية يا عبادة؟**
- **أقيمت على أراضي لفتا وشعفاط"[1].**

ولا يخفى أنّ إقامة سلطات الاحتلال المستوطنات تهدف إلى الحد من حجم الوجود العربيّ وامتداده في القدس، وتسمية هذه المستوطنات بأسماء يهوديّة هدفه تفوق الاسم العبريّ على العربيّ، إذ إن الاحتلال غير أسماء القرى المقدسيّة التي احتلها في عام 1948م، بينما ما تزال بعض القرى العربيّة التي يسيطر عليها الاحتلال تحتفظ باسمها العربيّ، ولهذا أحاطها بمستوطنات تقطع تواصلها الجغرافيّ، وتحد من امتدادها، وتنازعها بالاسم، فبلدة بيت حنينا مثلاً وهي تقع شمال القدس بنى الاحتلال على أراضيها ثلاث مستوطنات وهي (بسغات زئيف وعطروت والنفي يعقوب)، لا ننكر أن البلدة بقيت محتفظة باسمها العربيّ على مساحة صغيرة من حجمها الأصليّ، لكن الأرض التي سلبت منها لبناء المستوطنات أصبحت تسمى بأسماء يهوديّة، مما يلغي تاريخها العربيّ، كما أنّ هذه المستوطنات بتوسع مستمر، وبالتالي فإنّ أسماءها بتوسع مستمر أيضاً، وهو توسع على حساب الاسم العربيّ، فمع مرور الوقت سيسيطر الاسم اليهوديّ

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 74-75

على أي اسم عربيّ، فالتهويد قد لا يكون مباشراً كما حصل في غربي القدس، بل قد يكون على مراحل تستغرق سنوات.

ولم يتوقف التهويد عند أسماء القرى وحسب، إنما شمل أسماء الشوارع أيضاً، ولا بد من الإشارة إلى أنّ التهويد قد يلبس ثوباً بريئاً، ويكون سلساً ومستساغاً، وتعطينا الروايات العربيّة مثالاً على كلا النوعين. إذ تورد رواية ضحى تهويد الاحتلال اسم شارع الأمير عبد الله في غربي القدس.

" أيقظني من حيرتي وذهولي ديسرائيلي الذي يعطى اسمه للزقاق الذي كنا نقطنه. ديزرائيلي في لندن الفكتورية القديمة يطل من نافذة مجهولة في ظلام التاريخ. يبشر بالعرْق المضيء (لا شيء سوى العرْق ... العرْق وليس ثمة شيء آخر). غيرت الكولنياليّة الإسرائيليّة المدينة وجردتها من حياتها وفرضت عليها شكلها الذي تريده لها. كل ثقافة تقترض من ثقافة أخرى وتحرفها وتهجرها وتهاجر إليها: ابن رشد تحول إلى أفيروس. ابن سينا أصبح أفيسين. الخوارزميّ أصبح الغرثمو. الفارابيّ تحول إلى فرابيوس حتى محمّد تحول إلى محموت... فلا غرابة أنّ يتحول شارع الأمير عبد الله إلى جابوتنسكي وزقاقنا إلى ديزرائيلي". [1]

تطرح الكاتبة بأسلوب السخرية تحول اسم شارع عربيّ إلى اسم يهوديّ بالكامل يرجع إلى مدينة لندن في أوروبا، فالاحتلال لم يحرف الاسم أو يحاول تقريبه إلى العبريّة كما تفعل الثقافات الأخرى، بل لغى الاسم العربيّ بالكامل وألبس الشارع اسماً جديداً يُسوّق إلى فكرة يهوديّة القدس.

([1]) ياسين، حسين: ضحى ثلاث نساء في القدس. ص 164

والنوع الثّاني من التهويد يتمثل في نزع أسماء الشوارع العربيّة التي تُذّكر العرب بانتصاراتهم وقدرتهم على هزيمة الصهاينة، فتذكر رواية (برد الصيف) قصة شارع بور سعيد في القدس، على لسان السارد في سياق احتجاج المقدسيين على تغيير اسم أحد شوارع مدينة القدس " تململ ساكنو قبور المدينة في قبورهم، فالصحابة والشهداء والأعيان والعلماء والعامّة الذين رووا تراب المدينة بدمائهم، يرتعد رفاتهم غضباً كلما داهم المدينة خطر، وهم يحتجون على قرار بلديّة الاحتلال استبدال شارع (بور سعيد) باسم (شارع الزهراء) حتى أنّ روح الطيّار السوري جول جمّال رفرفت فوق مياه قناة السويس، التي ابتلعت مياهها ما تبقى من جثمانه الطاهر، عندما فجر طائرته ببارجة فرنسيّة في عدوان عام 1956م"[1].

تعد مدينة بور سعيد المصرية رمزاً للمقاومة الشعبية وهزيمة العدو، إذ ألحق سكّانها هزيمة بقوات العدوان الثلاثيّ (الاحتلال اليهوديّ، بريطانيا، فرنسا) عام 1956م، عندما قررت هذه الدول رفض تأميم قناة السويس، فرد عليهم أهالي بور سعيد بمقاومة لم تهدأ حتى أسقطت علم الاحتلال البريطانيّ عن مكتب إدارة القناة ودحر القوات المعادية عنها[2]، فلم يرد الاحتلال الإبقاء على اسم شارع يذكره بهزيمته ويذكّر العرب بانتصارهم، فصار اسم الشارع لا يدل على الحرب مطلقاً، إنما يدل على الحياة والحب والسلام (شارع الزهراء).

وتهويد أسماء الأماكن يكون مدروساً، فتهويد اسم المكان الدينيّ يكون باسم دينيّ، كحائط البراق الذي تحوّل اسمه إلى المبكى، والاسم الذي يدل على المقاومة والانتصار صار

([1]) السلحوت، جميل: برد الصيف. ص 18

([2]) ينظر: مراد، كمال: في ذكرى "العدوان الثلاثي".. "بورسعيد" قصة مدينة هزمت جيوش الاستعمار وقلمت أظافر الأسد العجوز. بوابة الأهرام،2017/10/29
http://gate.ahram.org.eg/News/1634242.aspx

يدل على السلام مثل شارع بور سعيد وشارع الزهراء، وأسماء قرى فلسطينيّة تحولت إلى أسماء توراتيّة للمستوطنات، فكل اسم عربيّ لابد أنّ يكون على غراره اسم يهوديّ يحل مكانه، لينزع هويّة المكان العربيّة.

المبحث الثّالث: تهويد المقدسات الإسلاميّة

يعد المسجد الأقصى أبرز المعالم دينيّة في القدس القديمة، فأرادت الجماعات اليهوديّة الخلاص منه؛ لإقامة معبد لهم على أنقاضه، فحاول اليهوديّ دينس روهان عام 1968م إحراق المسجد الأقصى، لكنه لم يتمكّن من ذلك؛ لأنّ حراس المسجد اكتشفوه وأبلغوا عنه شرطة الاحتلال، ولكنه وبعد عام واحد أعاد الكرّة ونجح بإحراق المصلى القبليّ، فتسبب بتلف منبر صلاح الدين الأيوبيّ ومصلى عمر بن الخطاب والنافذة العلويّة للمسجد. ثم تكررت محاولات اليهود إحراق المسجد ففي عام 1980م اكتشفت كمّيّة من المتفجرات على سطح إحدى المدارس الدينيّة في الحيّ اليهوديّ، وأظهرت التحقيقات أنّ ثلاثة جنود يهود سرقوا هذه المتفجرات من عتاد الجيش؛ لنسف المسجد الأقصى، وأعيدت الكرّة عام 1983م إذ اكتشف تسلل 46 مستوطناً كانوا يحملون متفجرات إلى قناة محفورة تحت سور المسجد الأقصى الجنوبيّ لتفجيره، وتكررت هذه العمليّة عام 1984م، ولكن هذه المرة كانت نية المستوطنين تفجير الأقصى من الجو، لكن محاولاتهم باءت بالفشل. [1]

وبعد فشل محاولات المتطرفين نسف المسجد الأقصى، قررت جماعة أمناء جبل الهيكل عام 1990م، اقتحام المسجد الأقصى؛ لوضع حجر الأساس للهيكل في المسجد، ولكن الفلسطينيين تصدوا لهم ممّا دفع جنود الاحتلال إلى إطلاق النار على الفلسطينيين فارتقى أكثر

([1]) ينظر: القدس بين الاعتداءات اليومية والتهويد (1967-2014).ص 67-69

من 20 شهيداً وجرح المئات [1]، ثم تبعتها مذبحة أخرى عندما هبّ الفلسطينيون عام 1996م ضدّ قرار إعلان فتح النفق الغربيّ أسفل المسجد الأقصى، واقترفت مذبحة أخرى في عام 2000م عندما اقتحم ما يسمى رئيس الحكومة اليهوديّة أريئيل شارون المسجد الأقصى وتصدى له الفلسطينيون، ومازالت الاعتداءات مستمرة إلى يوم كتابة هذا البحث إذ حاول الاحتلال وضع بوابات إلكترونيّة لا يستطيع الفلسطينيون دخول المسجد إلا من خلالها، لكن محاولتهم باءت بالفشل بسبب تصدي الفلسطينيين لهم، وكذلك فإن اقتحامات المستوطنين للمسجد لا تتوقف.

صورت الروايات العربيّة مشاهداً من تهويد المقدسات في مدينة القدس: تهويد المساجد ومن أبرزها المسجد الأقصى، وتهويد المقابر ومن أبرزها مقبرة ماميلا.

أوّلاً: تهويد المسجد الأقصى

يعدّ المسجد الأقصى من أبرز الأماكن الدينيّة الإسلاميّة في مدينة القدس. وتبلغ مساحته 144 دونماً، أي سدس مساحة بلدة القدس القديمة[2]. وسعى اليهود للسيطرة على المسجد الأقصى قبل احتلالهم مدينة القدس من خلال التسويق لفكرة أنَّ المسجد الأقصى مقام على أنقاض ما يسمى بهيكل سليمان، أي المعبد الذي كانوا يتعبدون به في زمن النبي سليمان، وباشروا تحت رعاية بريطانيّة التنقيب عن آثار الهيكل تحت المسجد الأقصى، وتحدثت الروايات العربيّة عن هذه الحفريات.

([1]) ينظر: 26 عاما على مجزرة الأقصى والاعتداءات مستمرة. الجزيرة دوت نت. 2016/10/8
https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/10/8/26-عاما-على-مجزرة-الأقصى-والاعتداءات-مستمرة

([2]) ينظر: ماذا تعرف عن المسجد الأقصى؟ موقع الجزيرة نت، 2014/11/8،
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2014/11/8/المسجد-الأقصى

واستبدلوا اسم الحائط الغربي للمسجد الأقصى –الذي يسميه المسلمون حائط البراق اعتقاداً منهم أنّ الرسول محمد عليه السلام قد ربط دابّة البراق في رحلة الإسراء والمعراج بالحائط– باسم دينيّ يهوديّ وهو حائط المبكى، كما تقول رواية (أشباح القدس): على لسان يوبا الذي قرر زيارة القدس بعد أنّ هُجّر منها إلى أمريكا " أوقفني عسكريّ إسرائيليّ وسيم، مدجّج بالأسلحة، عند حائط البراق وقال لي: ماذا تفعل: قلت أخط طريق أمي حتى حائط البراق ومقام جدّها الأوّل. ابتسم. لا بدّ أن يكون قد ظنني مجنوناً، ثم قال: أنت في مواجهة حائط المبكى ولا يوجد في عمقه كما ترى أي مقام"[1].

ثانياً: حفر الأنفاق تحت الأقصى

حفر الاحتلال بعد سيطرته على القسم الشرقيّ من مدينة القدس " 25 حفرية تحت المسجد الأقصى وفي محيطه" [2]، وباشر بحفر هذه الأنفاق بذريعة البحث عن آثار يهوديّة تعود إلى زمن ما يسمى بالهيكل الثّاني، وعلى الرغم من أنّ الاحتلال وجد آثاراً رومانيّة وإسلاميّة إلا أنّه استمر بالحفر وأخذ بوصل هذه الأنفاق بعضها ببعض، وأصبح الزائر يدخل من نفق بلدة سلوان جنوب المسجد الأقصى، ويخرج من مغارة القطن بقرب باب العامود أو ما يسميها الاحتلال مغارة سليمان شمال بلدة القدس القديمة، مروراً بالمسجد الأقصى والبلدة القديمة.

وأدّت هذه الحفريّات إلى تدمير كثير من الآثار فوق الأرض وتحتها، وهدم طبقات أثريّة من كل الفترات الزمنيّة، وتسببت في إحداث تشققات وهدم في جدران وأرضيّات المسجد الأقصى ومباني القدس القديمة وسلوان، وتعزز الحفريّات تثبيت السيطرة على الأرض، وما فوقها وما

([1]) الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ط2، دار الآداب للنشر والتوزيع. بيروت، 2012م. ص 11

([2]) القدس بين الاعتداءات اليومية والتهويد (1967–2014).ص 41

تحتها، وتحويلها إلى منشآت استيطانيّة تهويديّة تخدم المشروع اليهوديّ، إذ يحتوي كثير من الأنفاق على كُنس ومزارات يهوديّة. [1]

بنى الاحتلال الإسرائيليّ دعاية إقامة دولته في فلسطين على أسس دينيّة وفكرة أرض الميعاد؛ استقطاباً لليهود الذين يعيشون في دول متفرقة في العالم ولا يوحدهم إلا الدين، ودعماً لهذه الدعاية بدأ حملة تنقيبات واسعة في محيط المسجد الأقصى وأسفله عله يثبت ادعاءه.

وتخبرنا رواية (جنة الجحيم) بتاريخ الحفريات أسفل المسجد الأقصى على لسان السارد حيث يروي كيف كان البريطانيون يقومون بالتنقيب عن آثار ما يسمى الهيكل بالتعاون غير المعلن مع اليهود، " في بداية صيف العام 1964م، أي بعد مرور نصف عام على عودة خليل من رحلته إلى لندن عادت بعثة الآثار البريطانيّة للعمل في سلوان. لكنها هذا العام وصلت إلى سور القدس، تحت محراب المسجد الأقصى، وتعدت ذلك إلى داخل السور عند باب المغاربة... يساعده في العمل عدد من العاملين الأجانب غالبيتهم نساء، وغالبيتهم أيضاً طلاب جامعات يدرسون علم الآثار في جامعات أوروبيّة مختلفة، والمسؤولون عنهم أساتذة آثار أيضاً من الجامعات نفسها، وما يشغلهم هو البحث عن آثار يهوديّة تدل على الوجود اليهوديّ في المدينة في عصورها السابقة، لتقود إلى آثار الهيكل"[2].

جند اليهود خبراء في سبيل دعم روايتهم وادعائهم، فهدفهم إثبات حق لهم في فلسطين تاريخياً ودينياً، متناسين أنّهم لو كانوا يعيشون في فلسطين في الأزمنة السابقة فإنّهم لم يعيشوا

([1]) الحفريات الإسرائيلية أسفل القدس والأقصى. موقع الجزيرة دوت نت. 2016/8/13
https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/8/13/الحفريات-الإسرائيلية-أسفل-القدس-والأقصى

([2]) السلحوت، جميل: جنة الجحيم. ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2011م، ص 159-160

فيها وحدهم، فعاش غير اليهود في فلسطين في الفترة التي يقول التاريخ أنّهم عاشوا فيها على أرضها.

واستمر الاحتلال بالحفر أسفل المسجد الأقصى بعد احتلاله للشق الشرقيّ من مدينة القدس، وبعد أنّ حفر أسفل الرواق الغربي للمسجد الأقصى، افتتح نفقاً تهويدياً عام 1996م يبيّن الاكتشافات الأثريّة التي وجدها الاحتلال، وسمح للسياح بزيارته، واهتم المسؤولون عن النفق بتعريف السياح على آثار أسفل الأقصى من وجهة نظر تهويديّة، ويبلغ طوله 488 متراً، يمتد من جنوب المسجد الأقصى إلى شماله على امتداد الرواق الغربيّ للمسجد[1]، وصورت رواية (سوق العطارين) حفر النفق على لسان السارد الذي أخذ يبيّن ما تسمعه عائلة أبو العبد من أصوات حفر أسفل المسجد الأقصى القريب من منزلهم.

" مساء نفس اليوم، ذهب الدكتور سعيد إلى منزل ليلى في باب السلسلة، للسهر هناك مع خطيبته وأهلها، وقد تحدث أبو العبد عن أنّ اليهود يعدون شيئاً ما تحت المسجد الأقصى، وأنّ أصوات الحفر تحت الأرض يمكن سماعها من أماكن مختلفة في ساحات الحرم الشريف... بعد منتصف تلك الليلة، وبعد ساعة من مغادرة الدكتور سعيد لبيت أبي العبد في البلدة القديمة، فتح اليهود النفق من جهة طريق الآلام، أسفل مدخل المدرسة العمريّة، وهو نفق يمر أسفل المسجد الأقصى"[2].

([1]) محسن، محمد: حفريات الأنفاق أسفل المسجد الأقصى: محاولات فرض التهويد مستمرة، موقع العربيّ الجديد 2018/11/11

https://www.alaraby.co.uk/politics/2018/11/11/%D8%AD%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA-

([2]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 61-62

لا يقل الحفر أسفل المسجد الأقصى، أهمّيّة عن تهويد الجزء الظاهر من المسجد، فبالحفر أسفل الأقصى انتزاع واضح لملكية المقدسيين، إذ يوصل الاحتلال رسالة مفادها أنّ الأرض المقام عليها المسجد ملكه، وله حق إدارتها وتشغيلها، وكتابة تاريخها.

ثالثاً: اقتحام الأقصى

يقتحم المستوطنون المسجد الأقصى على مدار أيام الأسبوع ما عدا يوميّ الجمعة والسبت وأعياد المسلمين، ويقومون بجولة في ساحاته، ويبدأ الاقتحام من باب المغاربة بمسار مستقيم إلى الجهة الشرقيّة من المسجد، ثم يتوقفون بالقرب من منطقة باب الرحمة، ثم يتجهون إلى الجهة الشماليّة من المسجد، ويصعدون عدداً من الدرجات المؤدية إلى قبة الصخرة، ثم يترجلون ويتجهون غرباً إلى باب السلسلة حيث تنتهي مسافة الاقتحام.

يتلقى المستوطنون شروحاً خلال هذه الاقتحامات عمّا يسمى بتاريخ الهيكل، ويقومون بالصلاة عند منطقة باب الرحمة، إذ يحل الصمت عليهم ويغلقون عيونهم ويغرقون بالصلاة السريّة، ومنهم من يستلقي على الأرض مصلياً، وتحدثت رواية (باب العمود) عن اقتحامات المستوطنين للمسجد الأقصى، إذ تقول بهية: " كنت أسمع كثيراً عن هذا المتطرف اليهوديّ الذي هاجر من الولايات المتحدة الأمريكية وهو في التاسعة من عمره، غليك ذو الشعر الأحمر الذي كان يقود أكبر عدد من اليهود لاقتحامات المسجد الأقصى، ويقدم أكبر شروحات عن الهيكل المزعوم، وكان كثيراً ما يهاجم حكومته على خلفية عدم إغلاقها المسجد الأقصى أمام المسلمين. كان يقتحم المسجد الأقصى بشكل يومي حتى يألف المسلمون هذا المشهد، يقتحم

المسجد الأقصى مع عدد كبير من المتطرفين وتحت حراسات أمنيّة مشددة، حتى أنه[1] ارتفعت وتيرة الاقتحامات وعدد المقتحمين ليصل في شهر واحد إلى 1149 مقتحماً!"[2].

لا يريد المستوطنون حتى تَقاسُمَ المسجد الأقصى مع المسلمين أصحاب المسجد التاريخيين، بل يريدونه خالصاً لهم، كما يظهر الاقتباس، إذ يسخطون على حكومتهم التي لا تمنع المسلمين من الصلاة فيه بشكل كامل، على الرغم من أنّها تحدد دخولهم إليه في أحيان كثيرة، ويقومون باقتحام المسجد الأقصى بشكل يوميّ ليصبح وجودهم فيه أمراً طبيعياً، حتى يتسنى لهم الصلاة فيه بشكل قانونيّ فيما بعد.

وتمنع قوات الاحتلال المسلمين من الصلاة في المسجد الأقصى، في الأيام التي يثور فيها المقدسيون على سياسات الاحتلال التهويديّة، وفي أيام أعياد اليهود، ويحدد الاحتلال أعماراً معينة للمسلمين المسموح لهم بالصلاة في المسجد، كما ورد في رواية (عاشق على أسوار القدس) " حكومة إسرائيل قررت منع المصلين الذين تقل أعمارهم عن 45 عاماً من الصلاة في المسجد الأقصى، بل منعت الذين لا يقيمون في البلدة القديمة وتقل أعمارهم عن 45 عاماً من دخول البلدة القديمة نفسها التي يقع المسجد داخلها"[3].

يتعامل الاحتلال مع المسلمين وكأن صلاتهم في المسجد الأقصى هي هدية ومنّة يعطيها للمقدسيين إذا ما سكتوا ورضوا بسياسات تهويده للمدينة وقتله للفلسطينيين، وإذا ثاروا في وجهه، فإنّه يحرمهم منها.

([1]) تقصد إنها

([2]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 201

([3]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 129

وتدعم حكومة الاحتلال اقتحامات المستوطنين، فهي في نهاية المطاف تصبّ في خدمة فكرة يهوديّة الدولة التي تؤمن بها حكومة الاحتلال وصودق عليها بالكنيست، وإنّ أبرز حدث وثقته الروايات العربيّة لدعم حكومة الاحتلال اقتحامات الأقصى هو اقتحام ما يسمى رئيس وزراء الاحتلال أرئيل شارون. وتوثق رواية سوق العطارين مشهد اقتحام شارون للمسجد الأقصى على لسان الراوي.

" الأخبار كانت تقول إن الإسرائيليين جهزوا ثلاثة آلاف شرطي وحارس حدود لحماية شارون في زيارته لساحة الحرم الشريف، لم ينبس أبو العبد بأية كلمة لكنه قال أخيراً: لا حول ولا قوة إلا بالله. دقائق قليلة حتى دخل شارون وموكبه وحوله حراسة شديدة، كان من الصعب عليه رؤيته من خلال الحشد حوله، دخل ساحة الحرم من باب المغاربة واتجه نحو الشرق". [1]

ويهدف الاقتحام المتكرر للمسجد الأقصى، ومنع المسلمين من الصلاة إلى إثبات أنّ الاحتلال هو المسيطر على المسجد، وذلك تأكيداً على مقولة الجنرال اليهوديّ مردخاي غور الذي قال عند احتلال المسجد الأقصى مبتهجاً "الأقصى في قبضتنا"[2].

وليس المسجد الأقصى هو المسجد الوحيد الذي يرمي الاحتلال إلى تهويده في القدس، فقد أغلق المسجد العمريّ الكائن في حارة الشرف، التي يسميها الاحتلال اليوم حارة اليهود، وتصف رواية (عاشق على أسوار القدس) إغلاق المسجد العمري على لسان بطل الرواية سرحان " انتقلوا في سيرهم إلى الشارع المجاور، حارة الشرف. كل المحلات هنا تمّ ترميمها وتجديدها، لكنهم يضعون العراقيل أمام المواطنين العرب إذا قاموا بترميم بيوتهم بحجة الحفاظ على طابعها

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 123

([2]) باقون نكبة حارة المغاربة في صور أربعون عاما تحت الاحتلال الإسرائيلي. مؤسسة الأقصى، أم الفحم، 2007م، ص 13

القديم، مع أنّكم تشاهدون هنا كيف تغير كل شيء. انظروا، هذا الكنيس اليهوديّ بجانب المسجد العمريّ الذي أغلقه اليهود لأنّ صوت صلاة المسلمين أزعجهم"[1].

يُظهر الاقتباس السابق أنّ الاحتلال يريد تغيير كل شيء في المدينة لصالحه، إذ يغير معالم المنطقة عن طريق ترميم وتجديد البنايات المقدسيّة، وإغلاق أي شيء يدل على عروبة المنطقة وإسلاميتها، فحتى صوت الأذان أسكتوه في المسجد العمريّ الذي يقع في حارة الشرف، ومنعوا الصلاة فيه كي يحدوا من وجود المقدسيين في الحارة، ومحو أي صلة للمقدسيين بالحارة خاصة الصلة الدينيّة، إذ إنّهم بنوا كنيساً كبيراً بجانب هذا المسجد حتى يغطي عليه، ويزيد من التواصل الديني اليهوديّ بالحارة على حساب الوجود الإسلاميّ.

ويعد إغلاق المسجد العمريّ دليلاً على سياسة الاحتلال التهويديّة طويلة المدى، إذ إنّ عدم تهويد منطقة ما في القدس مباشرة، لا يعني غياب نية تهويدها عند الاحتلال، فسلطات الاحتلال لم تغلق المسجد العمري بأمر واحد، بل كان ذلك على مراحل، ففي عام 1972م، منعت المسلمين من إقامة صلاة الفجر فيه، بذريعة إزعاجهم لليهود، وفي عام 1982م منعتهم من إقامة صلاتي المغرب والعشاء، واستمر المسلمون بالمواظبة على إقامة صلاتي الظهر والعصر في المسجد حتى منعتهم سلطات الاحتلال من الدخول إلى المسجد بتاتاً، إذ أغلقته عام 2000م. [2]

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 107

([2]) ينظر: أبو الفيلات، محمد: القدس.. مساجد حارة الشرف بلا أذآن. موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر 2016/9/29
https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/9/29/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-

يؤكد ما تقدم اتباع الاحتلال سياسة التدرج الزمني في التهويد، إذ إن المستوطنين بدأوا بالصلاة عند حائط البراق، ثم بعد سنوات بدأوا باقتحام المسجد الأقصى أفرادا أو بمجموعات صغيرة، وبعد مرور سنوات زاد عدد المستوطنين المقتحمين للأقصى وأصبح يقتحمه سياسيّين يهود، حتى أصبحت تحدد أعمار المسلمين الذين يسمح لهم الاحتلال بدخول المسجد الأقصى في أعياد اليهود، في المقابل تزيد أعداد المستوطنين المقتحمين للمسجد، وبعضهم يقوم بالصلاة فيه.

رابعاً: تهويد مقبرة ماميلا

لم يتفق المؤرخون على اسم محدد للمقبرة، فمن أسمائها ماملا التي تعني (ماء ميلو) عند بعض المؤرخين[1]، وذهب بعضهم أنّ الاسم يعود لأحد أحياء القدس قديماً[2]. وقيل: إنّ أصل التسمية نحت من (مِمَّا من الله). ومن أسمائها بَاب الله، وزيتون الْملَّة. وَاسْمهَا عِنْد الْيَهُود بَيت لمواء، وَعند النّصارَى بابيلا. وذهب بعضهم إلى أنّ الْمَشْهُور على أَلْسِنَة النَّاس مَاملا القلندرية.[3] ويسميها المقدسيون بالعاميّة ماملا لكنهم عندما يتحدثون بالفصحى يقولون: (مأمن الله)، ونجد الاسم مكتوباً أحياناً ماملة.[4] وقد رصد الباحث فهمي الأنصاري أربعة وعشرين اسماً لها، ومنها: أملا، باب الله، باب الملـه، باملا، بيت مامل وغيرها، ورد الباحثُ الأسماءَ إلى

([1]) العارف ، عارف باشا : تاريخ القدس. ط2 ،دار المعارف، القاهرة، ص186 وينظر: عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. في كتاب مؤتمر الأوقاف الإسلاميّة والمسيحية في القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي،5-2013/6/6م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، رام الله، 2013م، ص 115

([2]) ينظر: العسلي، كامل: أجدادنا في ثرى بيت المقدس. مؤسسة آل البيت (المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلاميّة)، الأردن، ب، ت، ص120 وينظر: عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. 115

([3]) مجير الدين، عبد الرحمن الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد. مكتبة دنديس، عمان، ج 2، ص64 وينظر: عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. ص116

([4])ينظر: عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. ص 116

مصدرها، واجتهد في تعليل بعض الأسماء، نحو: ماملا بمعنى ماء من الله أو بركة من الله، و(ماميلا) تصحيف لـ (ماملا) بسبب الكتابة الأجنبيّة (mamilla)، فالكسرة القصيرة في الكلمة الأجنبيّة تحولت إلى كسرة طويلة (ياء). وبذل الباحث جهداً طيباً في غير موضع في تعليل تعدد المسميات. فذهب إلى أنّ بعض الأسماء جاء خطأ في النسخ أو الطباعة.[1]

ويرى الدكتور عمر عتيق أنّ الرواية الشفويّة للاسم من أسباب تعدد الأسماء لمقبرة مأمن الله، فمن المألوف أن يحدث تصحيف للكلمة في الخط واللفظ وبخاصة إذا كانت الكلمة سائرة على الألسن في أماكن مختلفة، كما أنّ تعدد الأماكن الجغرافيّة التي تنتشر فيها الكلمة أسهم في اختلاف لفظها بسبب اختلاف اللهجات العربيّة. وأنّ تعدد التسمية يشتمل على دلالة دينيّة. وذلك أنّ بعض الأماكن الدينيّة تتعدد أسماؤها نحو تعدد أسماء مكة (مكة، بكة، البيت العتيق، البيت الحرام ....الخ)، وتعدد أسماء القدس (القدس، بيت المقدس، إيليا، يبوس ....الخ).[2]

اعتدى الاحتلال على مقابر المسلمين المحيطة بسور البلدة القديمة أو القريبة منه، ففي عام 1948م، ووفقاً لقانون أملاك الغائبين صادر الاحتلال مقبرة مأمن الله الواقعة غرب بلدة القدس القديمة على مقربة من باب الخليل والبالغة "مساحتها 134.5 دونماً" [3]، وجرف غالبية القبور فيها وحولها إلى حديقة أطلق عليها اسم حديقة الاستقلال. وشق فيها طرقاً عدّة للربط بين المستوطنات ومركز المدينة الغربيّ ومنها " شارع هليل وشارع منشيه بن يسرائيل وبنى

([1]) ينظر: الأنصاري، فهمي: مقبرة مأمن الله. ط1 ، وزارة الإعلام (فلسطين) بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (مؤسسة إحياء التراث) والبحوث الإسلاميّة – بيت المقدس، 2010م، ص 11- 22 وينظر: عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. ص 116

([2]) ينظر: عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. ص 116

([3]) مقبرة مأمن الله في القدس: تاريخ عريق واعتداء اسرائيلي متواصل.2017/10/24
http://www.alquds-online.org/index.php?s=37&id=149

مدرسة هنسوي"[1] ومقهى لبيع الخمور والمشروبات الساخنة والخفيفة، وبنى متحف التسامح على أرض المقبرة بعد أن جرف " 1000 قبر" [2] من قبور المسلمين سواء الفلسطينيين أو ممن سكنوا المدينة من غير الفلسطينيين.

أعلن الاحتلال عام 1974م المناطق الملاصقة لسور البلدة القديمة حدائق عامة، وبما أنّ مقبرتي اليوسفية وباب الرحمة تقعان ملاصقة لسور القدس الشرقيّ فقد اعتبرتا من هذه الحدائق العامة، إذ اقتطع الاحتلال في عام 1980م جزءاً من مقبرة اليوسفية وأنشأ عليه حديقة وطريقاً حجرية وأنارها بالكهرباء. [3]

جاء تهويد مقبرة ماميلا بمراحل عدّة، كان أولها تجريف قبور المسلمين وكان تهويدها متسقاً مع تهويد غربي القدس فبعد سرقة بيوت المقدسيين وعقاراتهم، سيطروا على أكبر مقبرة لهم في القدس، وأخفوها تماماً حتى يمحى أي أثر عربيّ من غربيّ المدينة.

رصدت رواية (ماميلا) تفاصيل تهويد المقبرة بثلاثة طرق أولها كان نبش وتجريف قبور المسلمين فيها، كما جاء وصف المقبرة على لسان السارد في سياق تأمل وخشوع وحزن على حال المقبرة بعد نبش قبورها وتهويدها " في الليل تأخذ المقابر أبعاداً إضافية، كانت هذه المقبرة واسعة جداً، وكثيرة المداخل، شواهدها الرخامية النادرة، تشع مستجيبة للنور، أما تلك الحجريّة القديمة فكانت تغمض عينيها متألمة كما تفعل أعين العجائز، ورغم العتمة ظهر للعتال كثير من الشواهد المتكسرة، والأشجار فوقها تؤرجح الأرواح بلا توقف، أو هكذا أحس هو، شعر

([1]) محمود، أحمد: مقبرة مأمن الله محو تاريخ القدس. موقع عرب 48. 2017/10/24
https://www.arab48.com/%D9%81%D8%B3

([2]) المرجع نفسه.

([3]) ينظر: القدس بين الاعتداءات اليومية والتهويد (1967-2014).ص 76-78

بالحرج كون موسيقى أم كلثوم تصدح في صمت المقبرة فأطفأ المذياع، لا شيء يبتلع الإنسان كالظلمة والصمت فكيف الحال والمرء صامت في مقبرة والوقت ليل، بقلق مسبق أجال بصره في المكان، بدت القبور مكتظة، فسرير الأرض ضيّق، حتى أنّ بعض الأموات كان ينام مكشوف الكتف والساق، أحدهم كان مرتاحاً فوق جسد أخيه"[1].

يصور النّصّ الروائيّ السابق نبش قبور المسلمين وتجريفها، ويؤكد تكسير الاحتلال شواهد القبور وجرفها حتى بانت الجثث واختلط بعضها ببعض، بهدف إقامة حديقة ومتحف على أنقاض قبور المسلمين، إذ أقام الاحتلال ما يسمى بحديقة الاستقلال على جزء كبير من المقبرة بعد أن جرّف القبور وطمس معالمها. وتصور الرواية السابقة مظاهر احتفال اليهود بعيد الفصح وافتتاح المتحف في المقبرة على لسان السارد " كان هذا يوم رطب في شهر نيسان، أعداد كبيرة من الناس تجمّعت في حديقة ماميلا للاحتفال بمناسبتين مهيبتين هما، عيد الفصح اليهوديّ، وحفل افتتاح متحف (التسامح والكرامة والإنسانيّة) كثيفاً كان الحضور في المكان، حضروا باكراً إلى الحديقة، أو أنّ بعضهم على ما يبدو قد فرد حصيرة ونام هنا ليلاً"[2].

وتثير الرواية قضيّة تحول المقبرة إلى حديقة، بعض المستوطنين قد افترش ونام في الحديقة ليلة كاملة، والمعروف أنّ النوم بين القبور أمر مخيف للبشر، حتى أنّ هناك أمثالاً تدل على ذلك مثل: (لا تنام بين القبور، ولا تشوف منامات وحشة)، فالإنسان بطبعه يخاف من الموت ومن المقابر، فيدل نوم هؤلاء المستوطنين في المقبرة، أنّ معالمها قد اختفت وأصبحت حديقة كما تصفها الكاتبة بـ "حديقة ماميلا".

([1]) جمعة، ميرفت: ماميلا. ط1، دار الرعاة للنشر والتوزيع. رام الله، 2016م، ص 18

([2]) المصدر نفسه. ص7

وطمر الاحتلال مئات القبور الإسلاميّة، وأنشأ مكانها حديقة كبيرة، لكنه أبقى على جزء بسيط من المقبرة، لكن ما يميز هذا الجزء أنّ بلديّة الاحتلال – المسؤولة عن رعاية المكان– لا تهتم بنظافته فالجزء المتبقي من مقابر المسلمين لا يظهر بشكل واضح للمارين إذ إن كثيراً من النباتات والحشائش نبتت بين القبور وكبرت حتى غطت عليها، فلا يلاحظ وجودها المتنزهون في الحديقة، كما أنها تقع في أبعد زاوية بما يسمى اليوم بحديقة الاستقلال أو ماميلا.

أقام الاحتلال ما يسمى بمتحف التسامح، وهو متحف يعرض وجهة النظر اليهوديّة في قضيّة الأرض والإنسان كما تقول الرواية، " هنا – يقول ناحوم بصوت مزلزل – هنا حيث لا أرواح غريبة تنفث أنفاسها بيننا، وليس ثمة أحد غيرنا، هنا، في أرض العبرانيين، أرض الميعاد، في هذه الأرض المقدسة، إيرتس إسرائيل نحتفل بعيد الفصح، عيد الفطير والربيع، وهنا نقيم متحفاً للتسامح والكرامة الإنسانيّة، متحفاً يعلّم شعوب الأرض جميعاً قيم التسامح كما نعرفها نحن، أصحاب هذا المكان بنو إسرائيل"[(1)].

يستنتج من قول ناحوم أنّ هدف المتحف هو تعريف العالم بفلسطين، على أنها أرض لليهود وحدهم، على الرغم من أنّ المتحف أقيم على أرض إسلاميّة، ومليئة بالأرواح غير اليهوديّة إذ إن الأرواح اليهوديّة في هذه الحالة هي الغريبة، ولكن يصر الاحتلال على إنكار وجود الفلسطينيً. وإنّ أكثر ما يستفز في هذا المشروع هو اسمه[(2)]، فكيف يكون تسامحاً وهو مقام على مقابر علماء المسلمين؟ وأي تسامح يسمح بتجريف رفات العظماء لإنشاء متحف؟[(3)]

([1]) جمعة، ميرفت: ماميلا. ص 20

([2]) الجعبة، نظمي: القدس القديمة ومحيطها: الانقلاب على المشهد الثقافي وتهويده مجلة الدراسات الفلسطينيّة. العدد 85، شتاء 2011، ص24

([3]) عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. ص 126

والطريقة الثّالثة تهويد مقبرة ماميلا بنزع القدسية عن قبورها المتبقية، وهي التي اتبعها الاحتلال لتهويدها، إذ سمح لمثليي الجنس من اليهود بممارسة الجنس على قبور المسلمين، دون رادع ديني أو إنساني منهم، " أما في الداخل فقد اختلى جلعاد برافي، في هذه الغرفة[1]، ذات الأكتاف المقوسة، التي تحتضن محراباً صغيراً إلى جانب شيء يشبه ضريح حجري[2]، وزّع جلعاد أربع شمعات على أطراف الضريح الأربعة، كان قد خبأ الشموع من المتحف عن سبق إصرار وترصد برفيقه، ارتجفت يده وسحب الولاعة من جيبه، منذ الأمس وأصابعه تكاد تشي به، تذكّر تفاصيل الليلة الماضية، وراحت يده ترتعش أكثر وأكثر فتخيف لهب الولاعة، بعد عدّة محاولات نجح بإشعال الشموع، وبيد مرتعشة أسال بعض ماء الشموع ليثبتها على الضريح، فيما أسرع رافي ليغلق النافذة الغربيّة الضيّقة بقميصه، وهو إذ وقف عارياً ليثبت القميص بيديه من الزاويتين، التمع جسده الزيتي المنساب في عيني جلعاد، فنسي قلقه واقترب منه كذئب شره، كم كان توّاقاً لهذا اللقاء"[3].

تحوّلت قبور المسلمين في الحديقة إلى وكر دعارة يأتي إليه مثليو الجنس اليهود؛ ليقضوا فيها شهواتهم، وهذه أسوأ جريمة أخلاقيّة ترمي إلى نزع قدسية المكان، فهم لم يأبهوا بضريح أو محراب ولم يمنعهم ذلك من قضاء شهوتهم. ويهدف الاحتلال إلى نزع الصفة الدينيّة عن المقبرة، ليفك ارتباط الفلسطينيّ بالمكان، ومع مرور الزمن ينسى أنّ المكان يخصه إذ لا يرى إلا اليهود فيه دون وجود أي تاريخ أو دين يربطه به.

([1]) كان يبني بعض المسلمين غرفا فوق قبورهم ويستخدمها بعض الصوفيون مساجد يصلون فيها ويقيمون ابتهالاتهم فيها.

([2]) تقصد ضريحاً حجرياً

([3]) جمعة، ميرفت: ماميلا. ص 27

المبحث الرّابع: نزع الهويّة الفلسطينيّة من المقدسيّ

يقوم جزء كبير من سياسة تهويد المكان التي يتبعها الاحتلال على نزع هوية المواطنين الفلسطينيين، وقد تجلى ذلك في مدينة القدس بطرق عدّة، كان أبرزها طرد غالبيّة سكّان غربيّ القدس من منازلهم ومنع عودتهم إلى بلادهم ومنازلهم؛ لأنّهم لم يعودوا – برأي الاحتلال– أصحاب الأرض.

لم يكن التهجير وحده كافياً لإبعاد المقدسيين عن القدس، فأصدر الاحتلال عام 1967م، بطاقات هوية خاصة للمقدسيين تصنفهم بأنّهم مقيمون في المدينة وليسوا مواطنين، وفي الوقت نفسه تنزع عنهم جنسيتهم الفلسطينيّة، وبهذه الطريقة تكون قد فصلتهم عن فلسطينيي 48 الذين جُنسوا قسراً بالجنسيّة الاحتلالية، وعن الفلسطينيين الذين يسكنون الضفة الغربيّة وغزة الذين يملكون جنسيّة فلسطينيّة، وبقي أهل القدس دون جنسيّة موثقة بالدوائر الرسميّة.

وتحدثت الروايات العربيّة عن هذه القضيّة، فوضّحت أنّ المقدسيّ يحمل صفة مقيم ولا يحمل أي جنسيّة، فتقول رواية (كافر سبت) على لسان بطل الرواية نبيه: " وبعد نكسة العام سبعة وستين قررت اسرائيل ضم القدس الشرقيّة المحتلة إلى ما يسمى " أراضيها"، ومنح السكّان صفة سكّان مقيمين في إسرائيل وهذا ضد جميع القوانين الدولية. وعندما وقف عمي فواز بعد النكسة في الطابور الذي وصل إلى تقاطع شارع المسعودي مع الأصفهاني – حيث فتحت وزارة الداخليّة الإسرائيليّة فرعاً لها آنذاك – ليستصدر هويّة بعد أنّ حصوه وأسرته في بيت العائلة بالقدس، قال له الموظف اليهوديّ بلهجة عربيّة مكسرة:

- جيب هويّة أردن!
- أنا من القدس ولدت هون قبل ما تيجي دولتكم، وبشتغل في البلديّة!

- **يعني إنت من أورشاليم؟**

- **بنعطيك هوية مؤقت وبنشوف إنت مؤدب ولا تروخ على ليفانون أو يردين"[1].**

يعطي الاحتلال اليهوديّ المقدسيّ فرصة للإقامة في القدس، ولكن هذه الإقامة مشروطة بأن يكون (مؤدباً) كما يقول الاقتباس السابق، فإذا خالف المقدسيّ هذا الشرط فإنّه سيُرَحَّل إلى خارج القدس، إلى لبنان أو الأردن، وقد يكون هذا الترحيل إلى الضفة الغربيّة أو غزة أو أي مكان آخر، فالهدف هو تقليل عدد الفلسطينيين في القدس. وتختزل كلمة (مؤدباً) أبعاداً سياسيّة خطيرة، فالمؤدب برأيهم هو المقدسي الذي يعترف بالاحتلال دولة شرعية، ولا يعترض على سياسته وإجراءاته التهويديّة في القدس.

وتشير الروايات العربيّة إلى سبب آخر لسحب الهويّة المقدسيّة وهو اضطرار المقدسيّ للسكن خارج ما يسمّيه الاحتلال حدود مدينة القدس، كما بين الباحث قيام الاحتلال بالضغط على المقدسي اقتصادياً بمحاربته بلقمة عيشه، وفرض الضرائب عليه، فيضطر للسكن خارج مدينة القدس في مناطق لا يدفع فيها ضريبة الأرنونا، أو يسكن خارج القدس لعدم امتلاكه بيتاً في القدس، فيسحب الاحتلال من المقدسيين إقامتهم في القدس ويمنعهم من العودة إليها، إذ سحبت سلطات الاحتلال هوية " 14635 مقدسياً منذ عام 1967م حتى عام 2017م" [2]، وتنبه رواية (عاشق على أسوار القدس) على هذه المسألة، على لسان بطل الرواية سرحان

([1]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 32

([2]) سحب هويات المقدسيين. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة وفا.
http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=cVvzZia27437135484acVvzZi

" قل لي يا أمين، ماذا تفعل الصحافة اتجاه مشكلة سكّان القدس وقيام إسرائيل بترحيل من يسكن خارجها وإلغاء حقه في البقاء في القدس أو العودة إليها؟"[1].

فالسيد سرحان بطل رواية (عاشق على أسوار القدس) الذي سافر إلى الولايات المتحدة لأكثر من عشرين سنة سحبت منه سلطات الاحتلال هويّته ومنعته من البقاء في القدس، كما يتضح من حواره مع موظفة وزارة داخليّة الاحتلال، " سيد سرحان لقد غادرت القدس في العام (1980)، ومنذ ذلك اليوم وحتى اليوم جئت إلى القدس في العام (1990) لمدة شهر. معظم الوقت أنت خارج القدس، يعني مركز حياتك خارج القدس لذلك فقدت حق المواطنة.

- **منذ متى يفقد المواطن حقّ الإقامة في وطنه لأنّه يعيش خارجه؟**
- **أنت حسب القانون الإسرائيلي مقيم في القدس، ولست مواطناً لأنّك لا تحمل الجنسيّة الإسرائيليّة.**
- **ولكني مواطن حتى قبل احتلالكم للقدس، وفرضتم علينا البطاقة الزرقاء كمواطنين، فكيف تسحبونها؟"[2].**

أعطى الاحتلال هويّة الإقامة في القدس للمقدسيين مجبراً، لكنه لا يتوانى عن سحبها منهم لأسباب كثيرة. وليست الهويّة المقدسيّة هي الشيء الوحيد الذي يسحبه الاحتلال من المقدسيين في حالة سكنهم في القدس، إذ إنّه يسحب منهم ما يسمى بالتأمين الصحيّ، فيمنعهم من العلاج بعيادات صناديق المرضى التي يدفعون لما تسمى بمؤسسة التأمين الوطني التابعة للاحتلال مبلغاً شهرياً مقابل تغطية نفقات علاجهم إذا اضطروا لتلقي العلاج، وإذا قطع التأمين

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 41

([2]) المصدر نفسه. ص 68

الصحيّ عن المواطن المقدسيّ فإنّه يضطر إلى العلاج على نفقته الخاصة وهو ما يكلّف مبالغ طائلة قد لا يستطيع تأمينها.

وتتحدث رواية (سوق العطارين) عن موضوع قطع التأمين الصحيّ عن المقدسيين الذين يسكنون في ضواحي مدينة القدس التي فصلها الاحتلال عن المدينة، كما يبدو في الحور العائليّ بين أبي مصطفى وابنه " يعني اخوتك لازم يرجعوا يسكنوا في القدس، ولازم نلاقي لهم بيوت، ولازم نحل الموضوع من أساسه.

- **وشو الحل برأيك يا بابا؟**
- **في حل للمدى القصير وحل للمدى الطويل.**
- **فهّمنا..**
- **على المدى الطويل لازم نبيع عمارة الرام ونبني 3 سُكن في القدس**
- **ومن فين نلاقي أرض نبني عليها 3 سكن ويمكن لازمنا أربعة مش تلاته؟ سنتين زمان وأخوي اللي في الجامعة بيتخرج وبيصير بده بيت عشان يتجوز.**
- **بنبني طابق فوق دار أخوك ببيت حنينا، وطابق فوق دارك بشعفاط يا دكتور، وبنحاول نرفع طابق هون في واد الجوز.**
- **ومن فين نجيب المصاري؟ الشغل ضعيف هالأيام ودخلنا يا دوب يكفي مصاريفنا.. رخص البناء بدها 3 سنين والبناء بده سنتين.. طيب شو نعمل هلأ؟**
- **بنستأجر 3 شقق في القدس..**
- **3 شقق كل شقة بدها ست سبع ميت دولار بالشهر.. هاي فلوس طايرة عالفاضي.**
- **في منطقة سميراميس الشقق أرخص.. بتلاقوا بـ 400 دولار**

لم يسفر الجدال تلك الليلة عن اتفاق، وعاد كل واحد من أبناء أبي مصطفى إلى بيته، وصباح اليوم التالي فحص الدكتور سعيد وضع التأمين الصحيّ فوجد أنّ إخوته الثلاثة الذين يسكنون الرام قد أوقف تأمينهم وأنّ عليهم مراجعة التأمين الوطنيّ[1]".

يطرح الحوار العائليّ في الرواية قضايا عدّة خاصة بالتأمين الصحيّ إذ يضطر المقدسيّ إلى السكن في حدود القدس التي رسمها الاحتلال، ففي حالة عائلة أبي مصطفى يُجبر ابنه على التفكير ببيع عمارتهم السكنية في بلدة الرام التي كانت تتبع لمدينة القدس قبل احتلالها عام 1967م، وشراء أرض في القدس ثم تقديم طلب استصدار رخصة بناء لبلديّة الاحتلال وانتظار الموافقة عليه، أو استئجار بيت في القدس بإيجار مرتفع. فالاحتلال يجبر المقدسيين على التخلي عن راحتهم والتضييق عليهم اقتصادياً في سياق المحافظة على هويتهم وتأمينهم الصحيّ.

المبحث الخامس: محاولة تهويد الإنسان الفلسطيني

يعدّ إيجاد فلسطينيّ يخدم الاحتلال، من أقوى الأسلحة الاستخباراتيّة التي يمتلكها اليهود، إذ إنّ الفلسطينيّ يستطيع الاندماج في مجتمعه ومعرفة أنشطة الناس وخططتهم في محاربة الاحتلال، أو مكان سكنهم فيتيح للاحتلال فرصة سحب إقامتهم من القدس.

ويتبع الاحتلال طرقاً عدّة في سبيل تهويد الإنسان الفلسطينيّ منها: إغرائه بالمال، أو تسهيلات في المعاملات، أو منحه سلطة ما، وقد تحدثت الروايات العربيّة عن محاولة الاحتلال تهويد المقدسيين، منها ما كان موجهاً للمقدسيين جميعاً ومنها ما كان فردياً.

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 109

وبدأ الاحتلال محاولة تهويد المقدسيين قبل إعلان احتلاله للقدس أي بعد قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين عام 1947م، فحاول الصهاينة ضمّ العرب لهم حتى يبنوا دولتهم كما يشاؤون بسلام تام ودون إراقة دماء أحد منهم، وتصف رواية (أشباح القدس) محاولة الاحتلال التقرب من المقدسيين لإقناعهم بالانضمام إلى دولة الاحتلال كما جاء في مناشير وزعتها الوكالة اليهوديّة على المقدسيين " لاحظ الجميع المناشير التي وزّعتها الوكالة اليهوديّة على سكّان الأحياء المقدسيّة العربيّة. كتبت عليها بخّط عربيّ جميل: أنتم أيُّها العرب، أبناء عمّ ساميين. حكّموا عقولكم ولا تردّوا على زعمائكم من العرب، فكل له مصلحة خاصة. انضموا معنا وسيروا على بركة الله لنقوم بتعمير البلاد من كل الوجوه ونسير فيها سويّة كالإخوان"[1].

أراد الصهاينة من المقدسيين أنّ يتقبلوا فكرة مشاركة اليهود لهم في دولتهم، وتقبل سرقتهم لأراضيهم وكأنه أمر طبيعيّ، وعلى الرغم من هذا إلا أنّ اليهود لم يكونوا مسالمين مع العرب في تلك الفترة إذ كانت لهم غارات على الأحياء العربيّة يحرقون خلالها الزرع أو يقتلون أفرادا من الفلسطينيين، فعلم العرب نيتهم قبل إعلان دولتهم، وكان هدف هذه المنشورات أيضاً " تفتيت الشارع العربيّ، وذلك باستقطاب بعض العناصر الفلسطينيّة والعربيّة كما هو قائم اليوم"[2].

يُخير الاحتلال المقدسيّ بين حريته وخيانة وطنه والتخابر معه. وقد يمنحه سلطة يمارسها على أبناء شعبه إذا رضي بالعمل معهم، وهذا ما تبينه رواية (برج اللقلق) في سياق وصف شخصيّة الجاسوس ليث " وقد تمكن بعد فترة وجيزة من استقطاب شلّة من الأشقياء.. أغدق عليهم العطاء.. فأصبحوا عصابة مرهوبة الجانب.. تمكنت من الإيقاع بعدة خلايا وطنية.. فنال

([1]) الأعرج، واسيني. أشباح القدس. ص 143-144

([2]) عليّان، حسن: القدس الواقع والتاريخ وفي الرواية العربيّة. ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م، ص 179

استحسان كابتن موريس.. أكرمه.. وأجزل عليه العطاء.. ووثق به أكثر.. فنفذ له خطة تقربه من أهل الحيّ وتزيد من سيطرته عليه. أذن له بالمساعدة.. وتسهيل بعض المعاملات والقضايا الصعبة مثل تصاريح السفر.. أو تصاريح خاصة بدخول القدس.. أو زيارة المساجين ومساعدة الموقوفين.. إلى غير ذلك من الأمور التي لا غنى للناس عنها.. فأصبح ليث في الحيّ بمثابة الشر الذي لا بدّ منه"[1].

ويحقق الاحتلال هدفاً مزدوجاً بهذه الطريقة، إذ يبين للناس أنّ من يعمل لصالحه تصبح حياته أسهل وينال ما يريده، فيدفعهم للتفكير بخدمته، كما أنّه يمنح الجاسوس سلطة تجعل انتماءه أكبر، وتقربه من الناس أكثر؛ فيتعرف على نشاطاتهم ونواياهم ومخططاتهم.

([1]) السّمان، غادة: برج اللقلق. ط1، مكتبة كل شيء، حيفا، 2016م، ص 403

الفصل الثّالث: أساليب الرواية العربيّة في مواجهة تهويد القدس

المبحث الأوّل: الدعوة إلى الثبات في القدس

المبحث الثّاني: الدعوة إلى مقاومة الاحتلال

المبحث الثّالث: تفنيد رواية الاحتلال

المبحث الرّابع: تأصيل ذاكرة المكان وهويّته العربيّة

المبحث الخامس: رفض تهويد الإنسان الفلسطيني

يوظّف الاحتلال الإسرائيليّ أذرعه كافة لتهويد القدس وسكّانها؛ ليعطي شرعية لوجوده فيها، وتؤثر الإجراءات التي يتبعها على حياة المقدسيّ وعلى المدينة عموماً. ولا يقف المقدسيّ مكتوف اليدين أمام إجراءات الاحتلال التهويديّة إذ يواجهها بكل ما أوتي من قوة، ولا يرضى بأنّ يُطمس حقه في المدينة، ويأتي مستوطن يهوديّ لا علاقة له بالأرض وينسبها له، ثم يبدأ بنزع عروبة المدينة لإقناع العالم بروايته المزعومة.

وتؤدي الروايات العربيّة دوراً مهماً في مواجهة تهويد القدس، فتوثّق تاريخ المدينة الذي تحاول سلطات الاحتلال تغييره، وتظهر أبطالها بصورة وطنية رافضة للاحتلال ومقاومة له، وترفض الأسماء التي أعطاها الاحتلال لقرى القدس، وتوثق أسماءها العربيّة، كما رأينا في الفصل السابق الذي بينت فيه الروايات أسماء القرى العربيّة التي أقيمت عليها المستوطنات اليهوديّة، وكأنّها حققت هدفاً مزدوجاً، فهي كشفت عن التهويد اللّغوي للأماكن، وفي الوقت نفسه أعادت اسم المكان الأصلي، أي أنّها واجهت التهويد اللفظي بتأصيل أسماء القرى، ولهذا لا يتطرق الباحث لمواجهة التهويد اللفظي لأسماء الأماكن والقرى المقدسيّة؛ لأنّها ذكرت في الفصل الأوّل.

يعرض الفصل الثّالث أساليب (طُرق) الروايات العربيّة في مواجهة تهويد القدس ويطرح خمسة أساليب، موزعة على خمسة مباحث: الدعوة إلى الثبات في القدس، والدعوة إلى مقاومة الاحتلال، وتفنيد رواية الاحتلال، وتعزيز عروبة القدس، ورفض تهويد الإنسان (المقدسي).

المبحث الأوّل: الدعوة إلى الثبات في القدس

يعدّ الثبات في مدينة القدس السلاح الأنجع في مواجهة تهويد المدينة، إذ إنّ إجبار المقدسيين على النزوح من الشق الغربيّ للقدس سهّل على سلطات الاحتلال تهويده، وإحلال المستوطنين اليهود مكان الفلسطينيين، بينما نرى شق المدينة الشرقيّ ما يزال يحتفظ بعروبته، على الرغم من محاولات التهويد المكثّفة التي تقوم بها سلطات الاحتلال منذ أكثر من ثلاثة وخمسين عاماً، فالوجود الفلسطيني يعيق أي عملية تهويد، فالمكان لا يهوّد إلا إذا ابتعد عنه صاحبه مجبراً أو مخيراً.

تنبهت الروايات العربيّة لأهمية الثبات في مدينة القدس، وأخذت تدعو قراءها للثبات في أرضهم على الرغم من المضايقات اليهوديّة، والإغراءات التي قد يبهرون بها خارج بلادهم، فالروايات تصور سعادة المقدسيّ بالسكن في القدس ولو كان في بيت صغير آيل للسقوط.

تحكي بهية بطلة رواية (باب العمود) لخطيبها ماهر المسجون عند الاحتلال بحكم مئتي مؤبد، في رسالة تستدعي فيها ذكرياتهما معا، وتبدي إصرارها على السكن في بيت داخل أسوار القدس القديمة، من أجل الحفاظ على القدس من التهويد، كما يتجلى في قولها " دخلنا المنزل الذي سيضمنا قريباً تحت سقف واحد، المنزل الذي صمّمتُ أنّ يكون داخل أسوار البلدة القديمة لأجل القدس عروس الذاكرة وياسمينة الروح ولأجلك يا ماهر أيها الفتى الذي جاءها مفتوناً بمعشوقته الأوّلى، فدثّرته وزمّلته، وواسته قائلة:

- **لا عليك يا ماهر، فعلى حواف الفتنة الحلال يزهر الزنبق وتهطل البركات على القلب الأخضر المعلق، لا عليك يا ماهر، فبعض البيوت تعيذك بنورها من شر الصلب والحرق، فثمة بيوت هي التي تعطيك طوق النجاة"[1].**

لا يبتعد المقدسي عن القدس معشوقته الأوّلى، بل يبقى فيها ولو كانت بيوتها غير صالحة للسكن، وقد عرض الفصل السابق منع سلطات الاحتلال المقدسيين ترميم بيوتهم، فإذا أراد المقدسيّ أنّ ينجوا بنفسه، ويحافظ على عروبة مدينته وهويّته الفلسطينيّة، فعليه أن يرضى بالسكن في بيت صغير يختلف عن البيت الكبير الجميل الذي رسمه في أحلامه، فبيوت البلدة القديمة الصغيرة طوق النجاة للقدس والمقدسيين، فهي التي ستنجيهم من التهويد.

تختلف تفاصيل صورة البيت في مخيلة المقدسيّ عن بيته الواقعيّ الذي يجسد الانتماء العقائديّ والتاريخيّ والوطنيّ، فبيت المقدسيّ يشبه الجنة، ولا سيما إذا كان البيت قريباً من الأماكن الدينيّة التي تربط المقدسيّ بالسماء كما يبدو في حديث بهية في رواية (باب العمود)، في قولها :" ألقيت نظرة على الغرفة الوحيدة للمنزل الذي لا يتعدى مساحته الـ 25 متراً. الحمام في المطبخ، المطبخ في زاوية الغرفة، السقف كشجرة الزقوم، الجدران مهلهلة يتكئ بعضها على بعض من فرط العجز، طلاء الجدران كجريدة دُلقت عليها كوب ماء فاختلط السواد بالبياض! أسلاك الكهرباء تتمدد وتتلوى كعصا موسى، في آخر الغرفة شرفة تطل على المسجد الأقصى. عندما فتحت باب الغرفة يا ماهر وجدت نفسي في حضن الأقصى، الأقصى عن يميني وكنسية القيامة عن شمالي.. نظرت إليك؛ لأقرأ عيونك وأنت تنظر لفاتنتك الأوّلى ثم اختلستُ نظرة إلى القبة فشعرت بمدى جمال المشهد وروعته وقلت لك:

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 25

- **حتى سيدنا يوسف – عليه السلام – طلب أن تنتقل عظامه إلى هذه الأرض، وسيدنا موسى طلب من ربه أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية حجر! ليس غريباً أبداً.. تلك الفتنة التي أشعر بها الآن!" [1].**

يجسد المسجد الأقصى وكنيسة القيامة في القدس والتصاق البيوت بهما الطمأنينة والسكينة، فتنسي هذه الأماكن الدينية المقدسي همّه، وضيق مسكنه، وتخلل جدران بيته، فقدسية المكان تمنحه سعادة وراحة قد لا يلقاها في مكان آخر، وهذه المشاعر تفسر رغبة الأنبياء في السكن في مدينة القدس.

ويختلف البيت في مدينة القدس عن غيره، إذ يجمع بين ثلاثة أمور، أولها قربه من الأماكن الدينيّة المقدسة لديانتين الإسلام والمسيحيّة، وثانيها ربطه الحاضر بالماضي إذ إن بيوت البلدة القديمة قد بنيت في حقب زمنيّة مختلفة تمتد من فترة ما قبل الإسلام إلى العهد الأردني[2]، وثالثها يعزز وجود الفلسطينيين، إذ إنّ السكن في القدس هو من يمنح الفلسطينيّ هويّته المقدسيّة، فإذا سكن خارج القدس فسيحرم منها، بسبب سحب سلطات الاحتلال الهويّة المقدسيّة من كل فلسطينيّ يسكن خارجها سواء خارج فلسطين أو في الضفة الغربيّة.

وتمنع هذه الأسباب مجتمعة المقدسيّ من التفريط ببيته في البلدة القديمة، وهو ما يثير استغراب (ليث) وهو سمسار يتعاون مع الاحتلال ويشتري بيوت المقدسيين ويبيعها للمستوطنين اليهود في رواية (برج اللقلق) على لسانه: " إن أهل البلدة القديمة لم يرثوا بيوتاً.. بل ورثوا

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 25–26

([2]) ينظر: هلال، إبراهيم: معمار القدس.. تاريخ يربك التهويد ويغضبه. موقع ميدان، 2017/2/3.
https://midan.aljazeera.net/intellect/sociology/2017/2/3/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D

حجارة قديمة مثل عقولهم.. جميع البيوت مهلهلة آيلة للسقوط يرفضون أن يبيعوها.. وهم جوعى لا يملكون ثمن رغيف الخبز.. عقول متحجرة.. أعوذ بالله"[1].

لا يبيع المقدسي بيته لليهود على الرغم من الحالة السيئة للبنية العمرانية، وسوء الوضع الاقتصاديّ، إذ لا يعد المقدسيون بيوتهم في القدس بيوتاً عادية، فهم مرتبطون بها عقائديّاً ووطنياً، وهذا ما تحرص الروايات العربيّة على تعزيزه في نفوس قرائها، إذ تعزز ارتباطهم الوطني والدينيّ بالمكان بهدف دفعهم للثبات في القدس، فتظهر لنا المقدسي مستعداً ليسكن بين القبور لكي يحافظ على وجوده في القدس، وهو ما يشرحه نبيه بطل رواية (كافر سبت) الذي شاهد بأم عينه الناس تسكن القبور حتى لا يفقدوا هويّتهم المقدسيّة، في قوله: " كانت مدرستي تعمل بورديتين، واحدة صباحيّة، حتى الساعة الحادية عشرة، والأخرى مسائيّة، وهي تقع في قلب البلدة القديمة، مقابل ضريح " السّتّ طنشق"، العشيقة المقربة لأحد الولاة المماليك، الذين حكموا القدس في القرن الرّابع عشر، وقد كان الضريح موجوداً في منتصف عقبة التكية، مقفلاً دوماً. أقف بجانب شباكه، وأنظر يومياً إلى الداخل قدر ما يمكن. ولكن بعد فترة وجيزة انتبهت إلى كم كبير من الأوساخ داخله، فاتضح أن إحدى العائلات التي كانت تسكن خلف الضريح قد فتحت باباً لتدخل الغرفة وتستخدمها بسبب أزمنة السكن في القدس، وخوفهم على فقدان حقهم في العيش داخل المدينة بسبب سياسة سحب الهويات المقدسيّة لمن يغيب خارج القدس، فعاد كل من بنى بيتاً في ضواحي المدينة، التي أصبحت خارج الحدود التي وضعتها بلديّة الاحتلال، ليسكن هو وعائلته في أي غرفة متاحة"[2].

([1]) السّمان، غادة: برج اللقلق. 408

([2]) الحسيني، عارف: كافر سبت. ص 71

يتنازل المقدسي عن بيته الجميل –الذي بناه خارج القدس –ورفاهيته خارج المدينة، في مقابل السكن ضمن حدودها للحفاظ على هويّته المقدسيّة، فيتحمل ضنك العيش بين القبور أو في غرفة صغيرة، فيرضى المقدسي بأي شيء، ويشعر أنّه بخير ما دام يعيش في القدس، وهو ما يتضح في رواية (مصابيح أورشاليم) إذ تصور لنا رضى المقدسيّ بمصابه وهو يتحدث مع ابنه السجين عند الاحتلال، في قول السارد: " فلاح قادم من قرى أورشاليم القريبة، يتحدث من كابينة الهاتف: كيفك ياباه كيف صحتك إنشاء الله تمام... إمك هاي جنبي... مقلتلكش أنا... مش أخوك عماد استشهد في الحرم...آه يا ياباه بس جنازته... إي نعم همّه وكعو أربع خمس مرات... إحنا الحمد لله فوك الريح... خالك ياباه... مهو أكل رصاصه فعينه... بس إحنا ياباه فوك الريح... ماقلتليش ياباه مرتك طبختلك الملوخية بالسمك... الله يكرمك... والله أختك هيها مرمية جنبي هي وأولادها السبعة مش الكت[1].. بس إحنا ياباه فوك الريح... هو أنا مقلتلكش ياباه... صاروخ خش من الشباك وأخذ معاه السكف وطلع من الباب الثّاني بس إحنا ياباه فوك الريح"[2] .

يظهر التفاؤل – في النّصّ السابق – على الرغم من نبرة الحزن التي يتحدث فيها الفلاح الذي يسكن في إحدى قرى القدس، فكرر عبارة " بس إحنا ياباه فوق الريح" التي تشكل لازمة دلاليّة تختزل الصمود والعنفوان، فعلى الرغم من استشهاد ابنه، وإصابة خال أولاده وهدم بيته وطلاق ابنته، إلا أنّه ما يزال بخير؛ لأنّه لم يخرج من القدس، إذ إن الخروج من القدس يعد

([1]) كتبت بهذه الطريقة في متن الرواية ربما للدلالة على عدم وضوح الصوت وتقطع الارسال في هواتف سجون الاحتلال، ويفهم من السياق أن شقيقة المعتقل طُلقت من زوجها.

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 90

مأساة تصيب المقدسي كما تظهر الروايات، فالموت في الوطن أفضل بكثير من الحياة خارجه، لهذا يصر الذين هاجروا من القدس على العودة إليها.

حاول النازحون المقدسيون العودة إلى القدس عن طريق التسلل عبر نهر الأردن، على الرغم من معرفتهم بخطورة هذه الخطوة التي إن نجوا فيها من الغرق، فربما لن ينجوا من رصاص الاحتلال، لم يكن الرجوع إلى القدس محاولات فرديّة، بل كانت محاولات جماعيّة، يتحدث عنها سكّان الأردن التي نزح إليها المعلم المقدسيّ سليم الذي كانت تصله أخبار من يحمل روحه على كفه للعودة إلى الوطن عن طريق اجتياز النهر، ومنهم أمه كما تخبرنا رواية (ليس وداعاً يا قدس) " كان سليم يسمع عن مآسي تحدث على حافة النهر الغربيّة، وعن أناس يغرقون لأنّ مياه النهر أو " الشريعة " كما يطلق عليه كبار السن عميقة في بعض المواضع، وبعض العابرين للنهر لا يجيدون السباحة. لكن هذه الحوادث المأساويّة لم تثن المئات بل الآلاف عن المخاطرة في سبيل العودة إلى الوطن. وكأنّهم يقولون: الموت قرب الوطن ولا الحياة بعيداً عنه"[1]. وتؤكد الرواية في موضع آخر على الإصرار على العودة أو الموت في سبيل القدس إذ إنّ " هناك مخاطر تعرض إليها الكثيرون، وماتوا وهم في الطريق إلى قراهم ومدنهم، لكنهم ساروا في الدرب الصحيح. كانوا مصممين على العودة مهما كلّفهم الأمر، فالموت في الوطن أفضل من الحياة خارجه، ولو كانت الحياة آمنة ومرفهة"[2].

وتحفز الروايات العربيّة من هاجر من القدس، على العودة إليها، فرواية (عاشق على أسوار القدس) تطرح قصة المحامي سرحان الذي هاجر من القدس إلى أمريكا وعمل فيها محامياً خمسة وعشرين عاماً، وأنجب ثلاثة أطفال، وقرر العودة إلى القدس، لكي لا يفقد أطفاله عروبتهم

([1]) عبد الله، محمد: ليس وداعاً يا قدس. ص 49

([2]) المصدر نفسه. ص 54

ووطنهم، فتنازل عن جنسيته الأمريكية، وطالب سلطات الاحتلال بإعادة هويّته المقدسيّة، ومنحها لأولاده وزوجته، ويبقى في صراع مع سلطات الاحتلال التي قررت إعطاء زوجته واثنين من أطفاله الهويّة المقدسيّة بينما رفضت إعطاءها له ولابنه الكبير، وطلبت منه مغادرة القدس، فلم يرضخ سرحان لقرار الاحتلال وبقي مطالباً بحقه في السكن بالقدس حتى استشهد فيها.[1]

وتحرض الرواية على العودة إلى القدس، إذ يقول أحد كبار السن- الذي قابله سرحان بطل رواية (عاشق على أسوار القدس) في ما تسمى بوزارة الداخلية حينما ذهب؛ ليقدم طلب استعادة الهويّة المقدسيّة التي سحبها منه الاحتلال: " القدس ترحب بعودتك إليها، لقد فعلت الصواب"[2]، ويضحي سرحان من أجل عودته إلى القدس، فيترك مهنته التي يحبها، ويعمل بائعاً للمأكولات الشعبية مقابل بقائه في القدس، " كان لابد من إيجاد عمل يساعده على تحمل أعباء الحياة، ومصاريف المحامي الجديد، ومطالب الأوّلاد. ليس باستطاعته العمل في محاكم إسرائيل حتى لو رغب فهو ليس مواطناً في نظر إسرائيل، ولا يريد العمل في رام الله، فالطريق إليها كل يوم تمر عبر حواجز تفتيش كثيرة وبطاقة هويّته[3] قديمة ويكاد يسمح له اجتياز الحواجز بها. لذلك وافق على اقتراح أخيه عدنان شراء مطعم صغير وبيع الحمص، والفول، والفلافل، وتوابعها... التضحية من أجل الوطن ليست في قرار العودة إليه، بل في قرار الصمود فيه. الاستشهاد في سبيل الوطن يأتي مرة واحدة، لكن متاعب الحياة تواجهك كل يوم"[4].

([1]) ينظر: سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 13- 259

([2]) المصدر نفسه. ص 55

([3]) تلغي سلطات الاحتلال فعالية البطاقة، فلا يعد اسم صاحبها موجودا في حواسيب وزارة الداخلية، بينما تبقي البطاقة مع صاحبها فيستطيع أحيانا استخدامها والتنقل بها، لكن في حالة إيقافه وفحص بطاقته، فلا يسمح جنود الاحتلال له بالدخول إلى القدس، فهو لم يعد مواطنا أو مقيما فيها بحسب قوانينهم التعسفية.

([4]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 138-139

يضفي الثبات في القدس أو الرجوع إليها شعور الطمأنينة للنفس لدى المقدسيّ؛ لأنّه لو تركها ستصبح العودة إليها حلما يدفع المقدسيّ حياته مقابل تحقيقه، كما تبين في قصة المعلم سليم الذي نزح إلى الأردن، وظل يحلم بالرجوع إلى الوطن لكنه لم يجرؤ أبداً على المخاطرة، فظل في معاناة مستمرة، يشعر بتأنيب الضمير لعدم عودته إلى وطنه، ولهذا نراه يفرح لعودة أصدقائه وأقاربه؛ لأنّهم حققوا ما لم يحققه هو، وتكشف رواية (ليس وداعاً يا قدس) عن النسيج النفسيّ لشخصيّة المعلم سليم، كما جاء على لسان السارد، " بعد يومين فقط سمع من الناس أنّ صديقه عليّ نجح في التسلل ووصل إلى البلد. رائع يا عليّ! هكذا قال سليم بينه وبين نفسه. ولكن لماذا لم يحاول هو التسلل مثل المئات من أهالي البلدة الذين ارتكبوا مرغمين خطيئة النزوح، فكفّروا عنها بثواب المخاطرة بأرواحهم في سبيل العودة؟" [1].

وصف النّصّ السابق الهجرة من القدس بالخطيئة، فهي ليست أمراً عادياً، وإنما أمر جلل ينبغي التكفير عنه، لو كان الموت نتيجة محاولة العودة إلى القدس، فالمقدسي يبقى في القدس لكي لا يرتكب تلك الخطيئة. وتختزل نهاية الرواية رسالة تؤكد على أن كل من يتردد أو يخاف من الرجوع إلى القدس، فإنّه سيظل غير مستقر في منفاه متنقلاً من بلد إلى آخر؛ لأنّه فقد انتماءه إلى الأرض. [2]

يشكل خروج المقدسيّ من مدينته مصاباً عظيماً؛ لأنّه متعلق بها، يحرص على الرجوع إليها، وإن لم يستطع يحاول شفاء شوقه إليها، بأمور قد تبدو غريبة لمن لا ينتمي للقدس، وهذا ما نلمسه من كلام اليهوديّ شمعون حسون وهو يتحدث عن ارتباط المقدسيّة هيفاء التي أخرجها الاحتلال من قريتها التي تقع غرب القدس، "هيفاء هُجرت من القدس عام 1948م،

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 50

([2]) ينظر: المصدر نفسه. ص 236

تزوجت فلسطينيّ من يافا، ويعملان في الخليج، ولشوقها للقدس التي حرمها منها الاحتلال، "جاءت تشتري حجارة من صخر القدس. تبني بيتها، في الخليج. من حجارة القدس! تعيش القدس، تتنفسها"[1]. فحجارة القدس في الرواية تغادر دلالتها المادية المألوفة إلى دلالية رمزيّة تجسد أبعاداً عقائدية ووطنية وسياسيّة.

والتصاق المقدسي بالقدس يجعل العودة إليها إصراراً لا يعرف المستحيل ولو كان مشياً على الأقدام، وهو ما تمنته المسنة أم موفق في رواية (مصابيح أورشاليم) والتي هُجّرت من وطنها عام 1948م، ولم تأخذ معها شيئاً، وقد تمزق حذاؤها من المسافات الطويلة التي قطعتها حافية من القدس إلى لبنان ثم إلى حلب، وعلى الرغم من معرفتها مشقة المشي حافية القدمين لمسافات طويلة إلا أنّها تتمنى الرجوع إلى وطنها وإن كان سيكلفها مشقة كبيرة، و" عن رغبتها في العودة إلى فلسطين، وما بقي من الأمل في العودة تقول أم موفق: نذرت نذراً إذا رجعت فلسطين، سأمشي لها حافية"[2]. وتشير دلالة النذر(سأمشي لها حافية) في النّصّ الروائيّ إلى الموروث الفكريّ الشعبيّ في مشي بعض الناس حفاة للحج إلى البيت الحرام، فالنذر في الرواية يختزل بعداً دينياً، وكأن العودة إلى القدس مشياً بلا حذاء يقارب مشي بعض الناس حفاة إلى الحج.

واستئناساً بما سبق تعزز الروايات العربيّة صورة الفلسطيني المتشبث بالقدس، والذي يتحمل مشاق العيش فيها، وتبيّن أن حب القدس ليس حباً عادياً، وإنما حب وطنيّ وعقائديّ في آن واحد، وعلى كل مقدسيّ وفلسطينيّ التمسك بها لمواجهة التهويد.

([1]) ياسين، حسين: ضحى ثلاث نساء في القدس. ص 191

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 203

وتبرز الروايات العربيّة إظهار الندم وعدم الاستقرار الذي يعانيه المقدسيّ الذي هُجر من القدس أو نزح عنها، وترسخ فكرة البقاء فيها، والرضى؛ لأنّ الإنسان خارج القدس لن يعيش مرتاح البال، إنما سيظل يعاني من الشعور بالندم.

المبحث الثّاني: الدعوة إلى مقاومة الاحتلال

تصوّر الروايات العربيّة المقاوم بطلاً يحمل روحه على كفه، وتؤكد دور المقاومة في منع الاحتلال من السيطرة على الأرض أو التمادي بأفعاله التهويديّة. فتعتقد الروايات العربيّة أنّ المقدسيّ يستطيع إيقاف تهويد القدس بالمقاومة وحدها، ويتضح ذلك في قصة المقاومين الذين ثبتوا في أرضهم ولم يتركوا سلاحهم، مما أدى إلى صد العصابات اليهوديّة عن التقدم إلى حارة المغاربة واحتلالها، كما يظهر في رواية (أشباح القدس) على لسان مامي: " اليهود لم يأخذوا كل المدينة. يقولون إنّهم يعدّون العدّة لمسح حارة المغاربة لتوسيع حارة اليهود، ولكنهم إلى اليوم لم يستطيعوا فعل ذلك بسبب مقاومة السكّان؟ وما تزال الحياة ممكنة"[1]، وينبغي التنبيه إلى أنّ حارة المغاربة هودت كلها، وأصبحت ساحة لصلاة اليهود، ولكن هذا الاقتباس من الرواية يتحدث عن الفترة التي سبقت النكبة، وهي الفترة التي كانت العصابات اليهوديّة تؤسس قيام دولة الاحتلال، وتخطط لإفراغ حارة المغاربة من الفلسطينيين، وقامت العصابات اليهوديّة بعمليات إرهابيّة عدة لقتل الفلسطينيين، وإخافتهم ودفعهم إلى الرحيل من حارة المغاربة، ولكن المقاومة أفشلت مخططاتهم في ذلك الوقت.

([1]) الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ص 123

تحررت البلدة القديمة في القدس من العصابات اليهوديّة بالمقاومة وحدها بعد أن كان اليهود يسيطرون على بعض المباني في حارة المغاربة، وكانوا يستخدمونها حصوناً عسكرية، ويهاجمون المقدسيين بالرصاص، مما دفع المقاومين الفلسطينيين إلى التصميم على تحريرها، فجمعوا أسلحتهم والتحموا بهم وحققوا النّصر عليهم، كما تصوّر رواية (برج اللقلق) " اشتبك الرجال في البداية.. وكان سلاحهم الرشاشات.. ثم سُحبت الخناجر من أغمادها.. تلمع من كل ومضة برق.. فالتحمت الأجساد في صراع مخيف.. أخذ السلاح الأبيض يقطر دماً.. علا صراخ الرجال.. ففزع الرعد وبلع صوته.. وخاف البرق وأغمض عينه.. وعاد الليل أسود.. بدا صوت الريح حزيناً حين دخل علي أحد الدهاليز يطهرّه من بقايا مقاومة.. كان هناك كمين.. فأطلقت عليه النار من رشاش بتر يده اليسرى قريباً من الكتف. رأى الرجال قائدهم.. فنادوا على الموت غير عابئين.. ودخلوا كل غرفة ودهليز.. وطهرّوا بقايا البناية من الآثمين... وما أن غذّ العدو الخطى أكثر نحو الباب.. وأصبحوا حول اللغم الكبير.. أمر القائد علي بتفجير السيارة.. فدوى صوت الانفجار شديداً.. مزّق أوصال العدو.. أذهله وأدخل الرعب في قلبه.. أخلّ توازنه.. أوقف تقدمه.. فأخذ يتراجع القهقرى"[1]. حصلت هذه الأحداث في زمن الاحتلال البريطانيً عندما أرادت العصابات اليهوديّة تفريغ القدس من أهلها حتى يتسنى لهم ضمها لدولتهم بعد قيام حرب 1948م، وإعلان قيام ما يسمى بالدولة اليهوديّة .

ولا يمكن مقارنة أحداث ما قبل النكبة بالأحداث التي تلتها، – إذا أردنا أن نكون عادلين– لأنّ الفلسطينيين في عام 1967م، لم يحصلوا على السلاح الذي يمكنهم من دحر العدوان، وتقول الروايات الشفويّة: إنّ سلاح المقاومين الفلسطينيين كان تالفاً وذخيرتهم كانت قليلة.

([1]) السّمان، ديمة: برج اللقلق. ص 265–269

وتؤكد الروايات ضرورة المقاومة لدحر الاحتلال، فرواية (برج اللقلق) تنتصر للمقاومة ضد من ينسبون النّصر لغيرها، وهو ما نلمسه من كلام المقدسيّ عبد الجبار الذي دعا صديقه (أبا الطاهر) إلى التفكير بالمنطق، عندما نسب نصر المقدسيين على العصابات اليهوديّة في بلدة القدس القديمة لقوى ميتافيزيقيّة، في قوله: " أخذوا يتحدّثون عن بسالة رجال الجهاد المقدس.. وهزيمة اليهود في معركة كانوا فيها أكثر عدداً.. وأعظم قوة.. وأحدث سلاحاً.. فأرجعوا أسباب النّصر إلى الملائكة.. خاصة عندما جاء إلى حانوت أبي الطاهر مَن أقسم أنه رأى بأم عينيه رؤوساً مبتورة.. فصل فيها الرأس عن الجسد.. قال أبو رعد يسحب كلامه من عمق صدره: إيه.. للبيت رب يحميه.. والله إنني لم أقلق.. ولم يدخل صدري خوف.. كنت مطمئن القلب.. هادئ النفس.. فالأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين. ضحك عبد الجبار يسخر من قوله: مَن يسمعك يظن أنّك عبد المطلب جد رسول الله! هل نسيت أنّ الصليبيّين احتلوا القدس وجميع فلسطين عندما تخاذل المسلمون في الدفاع عنها.. واحتموا بالمسجد.. فلحق الصليبيّون بهم وذبحوهم ذبح الشاه؟"[1] فالنّصر لا يكون إلا باتحاد الشعب، وامتشاق السلاح في وجه الاحتلال.

وتظهر الروايات العربيّة المقدسيّ مقاوماً ومعترضاً على سياسات تهويد المدينة، ويلمس القارئ ذلك حين اقتحم ما يسمى رئيس وزراء الاحتلال أريئيل شارون المسجد الأقصى، وتحدثت رواية (سوق العطارين) عن تصدي المقدسيين لهذا الحدث الخطير، ومواجهتهم لجنود الاحتلال بما توافر بين يديهم من أمور بسيطة كالحجارة والأحذية، كما جاء في الرواية " كان الشباب في الخارج يقذفون الجنود بالحجارة.. رائحة الغاز مزعجة جداً، أخذ الجنود يقتربون من باب الأقصى أكثر لملاحقة ضاربي الحجارة، كر وفر، كثير من الناس لم يجدوا إلا الأحذية يقذفون بها الجنود،

([1]) ديمة، السّمان: برج اللقلق. ص 270

حتى أن أحد الجنود وقع أرضاً بعد أن تعثر بحذاء مما أربك زملاءه وجعلهم يتقدمون لإعطائه فرصة للوقوف"[1].

كان اقتحام شارون للمسجد الأقصى محاولة لتعزيز السيادة اليهوديّة على المسجد، ودعوة للمستوطنين لاقتحامه والصلاة فيه؛ لتحقيق مكاسب سياسيّة أبرزها الحفاظ على منصبه رئيساً للوزراء، لكن رد الفلسطينيين على زيارته، واندلاع الانتفاضة الفلسطينيّة الثّانية أوقفت اقتحام المستوطنين للمسجد الأقصى ثلاث سنوات[2] وهذا دليل على أنّ المقاومة هي السبيل الأوحد لمواجهة تهويد القدس.

ولا تقتصر المقاومة كما تظهرها الروايات العربيّة على حمل السلاح والقتال، بل تكون بالرد على انتهاكات المستوطنين، وعدم إعطائهم الفرصة للنيل من المقدسيين، وحملهم على مغادرة القدس، فثبات المقدسيّ ومواجهته للمستوطنين هما مقاومة فعّالة وناجعة.

وتبدو المقاومة واضحة في قصة أبي العبد مع جيرانه المستوطنين الذين استولوا على بيت مجاور لبيته، وأخذوا يقيمون فيه الليالي الصاخبة، حتى يدفعوا من حولهم من الفلسطينيين إلى مغادرة بيوتهم وتركها لقمة سهلة للاستيطان كما جاء في رواية (سوق العطارين): " وأثناء أدائه لصلاة المغرب، ابتدأ الرقص والغناء الجماعيّ باللّغة العبريّة، وعندما انتهى من صلاته، اتجه إلى النافذة، فرأى الجمع الكبير من اليهود أمامه وهم يجلسون (إلى) الموائد، وقد تشابكت

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 126

([2]) ينظر: أبو عرفة، جمان: ماذا تعرف عن اقتحامات الأقصى. موقع متراس، 24/4/2019، https://metras.co/%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-

أذرعهم، وأخذوا يتمايلون يمنة ويسرى وهم يغنون غناء جماعياً، حين التفت إلى أم العبد وليلى اللّتين كانتا تنظران عبر نافذة أخرى وقال:

- **رأسي راح يفقع، هدول بيزيدوا وجع الراس.**
- **أجيبلك حبتين أكامول وكباية شاي؟**
- **وشو راح يعمل الأكامول والشاي مع المصيبة اللي برّه؟**
- **... هاتيلي المسجل الكبير، وشريط قرآن الشيخ عبد الباسط...**

وبينما أحضرت ليلى المسجل الكبير ذا السماعات الكبيرة وناولته لأبيها، وذهبت للبحث عن شريط قرآني، اتجه أبو العبد إلى النافذة وفتح دفّة من دفتيها، ووضع فيشة المسجل في إبريز الكهرباء القريب، كانت ليلى قد عادت ومعها الشريط، فأدخلته في المسجل، وقامت بتشغيله، وقام أبو العبد برفع الصوت إلى أعلى درجاته، ووضع المسجل على حافة النافذة وهو يقول:

- **خلينا نشوف صوت غناهم أعلى والا صوت عبد الباسط عبد الصمد، والله من اليوم وطالع هذا دواهم.**

مع ارتفاع صوت القرآن، زاد ارتفاع الضوضاء الصادرة من الخارج للحظات، وبدأت أعين المستوطنين تتجه نحو مصدر صوت القرآن، وبدأت أصوات غنائهم تنقطع، وتصدر عنهم كلمات استهجان لهذا الصوت الصادر من بيت أبو العبد، ولكن أصواتهم خمدت بعد قليل، حين ذاك خفض أبو العبد صوت المسجل"[1].

رفض أبو العبد أن يتقبل الأمر الواقع الذي دعته إليه زوجته، فلم يقبل بالمُسكّن وكأس الشاي، بل رد على المستوطنين بصوت القرآن الكريم الذي يقابل ضجيج المستوطنين في طقوس

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 78

صلاتهم، وكانت هذه الطريقة أكثر نجاعة من طريقة المهادنة التي تظهر في موضع آخر من الرواية التي يلجأ فيه أبو العبد للشكوى إلى الشرطة لكي تتخذ إجراءاتها لوقف تعدي المستوطنين عليه، إلا أنّ المستوطنين لا يأبهون بالشرطة، فهم محميون على أية حال، ولا يخضعون إلا عندما يرد عليهم أبو العبد على النحو السابق. وسلط المستوطنون كشافاً كهربائياً نحو بيت أبي العبد أفقده القدرة على النوم، وشعر أنّ المستوطنين ينظرون إليه في غرفة نومه، فأبلغ الشرطة التي دعتهم للكف عن تسليط الضوء الكاشف تجاه بيته، ولكن المستوطنين لم يأبهوا لذلك، وترصد رواية سوق العطارين تطور الحدث: " لكن الحراس بعد بضعة أيام أعادوا تسليط الأضواء من جديد على وسط البيت، وعاد أبو العبد ليتصل بالشرطة من جديد، وتمت مشادة أخرى بين الضباط والحارس، وتمت تسوية الوضع وتغيير توجيه المصباح. وعندما أعادوا الكرة للمرة الثّالثة، قام هاني بشراء كشاف هو الآخر، ووجه ضوءه القوي إلى كشك الحارس، فنزل الحارس من مكانه، وتحدث مع أبي العبد وهاني، وهدده أبو العبد باللجوء إلى المحكمة، عندها فقط تم تحويل الكشاف نهائياً عن وسط البيت"[1].

ولا تتوقف الروايات العربيّة عند تشجيع المقدسيين على مقاومة الاحتلال، إنما تمجد المقاومين وتعلي من شأنهم، فتنوه رواية (باب العمود) بالمقدسيّ معتز حجازي الذي استشهد على إثر إطلاقه النار على عراب اقتحامات المسجد الأقصى المستوطن ايهودا غليك[2] وتصور الرواية الشهيد معتز بطلاً ينتقم للمقدسيين ممن يريد سلب المسجد الأقصى منهم، كما جاء في رواية (باب العمود): "روحه أثقلها القهر، والغضب يلتهب على حواف القلب، معتز حجازي لم

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 98

([2]) مستوطن يهوديّ ولد في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1965، وقدم إلى فلسطين عندما بلغ التاسعة من عمره، يسكن في مستوطنة عنتائيل في محافظة الخليل، ويدعوا إلى تمكين اليهود من الصلاة في المسجد الأقصى.

يتحمل الاقتحامات المتكررة التي يقودها غليك على المسجد الأقصى، وحين تصبح الأرض جافة والأماني تحترق بالملح والسغب فلن يبللها إلا شهيد! أشهق وحلقي يضج بالعطش، تمسك بيدي وتكمل الحكاية.. أسير معك بروية.. أبناء القدس لا يموتون يا بهية!! فقد تتمزق الأجساد وتتناثر الأشلاء وتتفتت الأدمغة وتسيل الدماء، لكنهم يزهرون من جديد، فما غُرس بالدم يزهر كل حين"[1].

يظهر معتز في النّصّ السابق بصورة المُخلّص الذي أتى ليحرر المقدسيين من القهر والذل، فهو من تصدى لعراب الاقتحامات، وقال له بلسان كل المقدسيين: " المعذرة، إنّك تثير غضبي باقتحاماتك للمسجد الأقصى. ثم أطلق أربع رصاصات عليه من مسافة صفر واستطاع الفرار!"[2]، وعلى الرغم من استشهاد معتز حجازي بعد بضع ساعات من فراره إلا أنّ الرواية تؤكد بقاء ذكره خالداً؛ لأنّه مرتبط ببطولة، وهذه البطولة لا تموت إذ إنّها كالبذور التي يبدو للناس أنّها ماتت واختفت إلا أنّها تزهر بعد فترة ببطولات جديدة، وكأنها تقول: الشهداء باقون ومتجددون طالما أنّ الاحتلال موجود.

وتصور الروايات العربيّة المقاومين أبطالاً، تحفظ مقاومتهم كرامة الشعب الفلسطينيّ، كما تقول رواية (باب العمود) على لسان بطلتها بهية التي لم تيأس من خروج خطيبها من السجن على الرغم من أن الاحتلال حكم عليه بمئتي مؤبد، وذلك لثقتها بالمقاومة التي ستحرر الوطن والأسرى، كما يتجلى ذلك في قولها : "هذا ما يقصّر الطريق ويعين على الاحتمال. هذا ما يجعلني أنتظر وأنا على يقين بأنّ الأسرى سيخرجون.. ستعود لي يا ماهر.. سيعود كل أسير إلى أهله! ستعود يا ماهر؛ لأنّ هناك من يحمل سكيناً تمنحه الكرامة والرجولة، تضيء له الطريق بعد أن

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 201

([2]) المصدر نفسه. ص 199

عجز رصاص العروبة أن يُصوّب تجاه الاحتلال وغدا يُصوّب نحو الأخوة!"[1]. فالمقاوم هو من سيعيد الوطن إلى أهله، وسيحررهم، إنّه هو من يحفظ الكرامة ويوقف تمادي الاحتلال.

ولا تستصغر الروايات العربيّة أية عمل مقاوم ولو كان غير مسلح، فيكفي من وجهة نظرها أنّه يقلق الاحتلال، وهذا ما تبيّنه رواية (باب العمود) على لسان بهية التي تعظم أي عمل مقاوم يهدف إلى تحرير القدس والأسرى، فهي من رضيت بالسكن في بيت يفتقر إلى أدنى مواصفات الأمن والسلامة من أجل الحفاظ على عروبة القدس، وشجّعت المقاومة بأشكالها كافة، وأشادت بالسكين سلاحاً للمقاومة في قولها: " سكين قد لا تمنح التحرير.. لكنها تفتت الأكذوبة وتكشف العجز والخور، سكين تربك جحافل جيش لا يقهر. رصاصات يتيمة قد لا تصنع النّصر.. لكنها تحكم اليهوديّ وتزرع فيه الخوف، تقوّض كيانه، هذه السكين لا تكسر قضبان السجن لكنها تضيئه!"[2].

تجسد الروايات العربيّة تمجيد أهل القدس للشهداء الذين يبدون خارقين، ويعدون لهم جنائز عظيمة تحضرها جماهير غفيرة، مخالفين شروط الاحتلال التي تسمح لعدد محدود من أهل الشهيد بتشييعه.

وتورد رواية (باب العمود) قصة الشهيد المقدسيّ بهاء عليّان الذي نفذ عمليّة في حافلة يهوديّة بمشاركة ابن عمه، أسفرت عن مقتل ثلاثة وجرح خمسة عشر مستوطناً[3]، ورفضت في البداية سلطات الاحتلال تسليم جثمان الشهيد، ولكنها في نهاية المطاف اشترطت على أهله

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 209

([2]) المصدر نفسه. ص 213

([3]) ينظر: أبو سبيتان، فاطمة: الشهيد بهاء عليّان وقصة العشاء الأخير. موقع الجزيرة نت، 12/4/2016 https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/4/12/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8

عند استلامه أن يشيعه نفر قليل من أهله، لكن أهل القدس لم يأبهوا بشروط الاحتلال، وشيعته جماهير غفيرة من الفلسطينيين كما تصف رواية (باب العمود) " لا جنازات، ولا قبور للشهداء.. هكذا هي شروط الاحتلال، إجراءات أمنيّة مشدّدة في محيط المقبرة، منع للصحفيين من تغطية مراسم الدفن والتشييع... لا عليك يا بهاء... يمكن للدماء يا بهاء.. أن تبقى سائلة متلألئة، دافئة، رقراقة على حواف جسد يشتعل للقدس وفي القدس. وانتشر الخبر .. وزحف الناس تجاه المقبرة واشتعلت القدس، إطلاق نار وأناشيد وتكبيرات وعبارات حماسيّة"[1].

يرتبط تمجيد المقاومة بالأهداف التي تُحققها، ومن أبرزها زعزعة أمن واستقرار دولة الاحتلال؛ فيشعر المستوطنون بقلق يحول حياتهم إلى كابوس يضطرهم إلى العدول عن البقاء في القدس والرجوع من حيث أتوا، ففي رواية (مصابيح أورشاليم) يعد الاحتلال فعاليات كثيرة للسياح والمستوطنين والمهاجرين الجدد من اليهود؛ لبيان جماليات المدينة وتشجيعهم للإقامة فيها؛ ليتفوقوا ديموغرافياً على الفلسطينيين، وكل هذه الفعاليات لا تغري إيستر وهي مهاجرة يهوديّة جديدة لدولة الاحتلال؛ لأنّ القدس بالنسبة لها مدينة غير آمنة على عكس ما يسوقه الاحتلال بأنّها المدينة الذهبية، كما تقول إيستر: " إسرائيل... إسرائيل. ضجة في الصوت... حين يقترب الاسم من الأذن... قالت إيستر. صوت يوتوبيا أيضاً... حلم... وكل شيء سوف يصبح بالتالي ضجة لا موسيقى. قالت ذلك وهي تعود من مكان انفجار الباص في شارع ميا شاريم"[2]، فالمقاومة أفشلت خطط الاحتلال، إذ إنّ الفعاليات التي يقومون بها لم تحبب المستوطنة الجديدة إستير بالمدينة، بل ترى أن كلمة (إسرائيل) نفسها أصبحت ضجة، وتؤكد

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 211

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 177، وميا شاريم هو حي استيطاني يقع إلى الشمال الغربي من بلدة القدس القديمة، يسكنه اليهود المتدينون.

الرواية في موضع آخر على لسان سّائحة أتت لتتعرف على كيان الاحتلال، وأخذت تحدث صديقها عن مشهد الحافلة التي فجرها أحد المقاومين، وتأكد لها عدم ثبات الاحتلال: " لقد مشينا في الشارع، وكان الحطام في كل مكان، الحافلة 19... هل تعرف... حطامها ما تبقى من الهجوم.. وهناك أشلاء يغسلها رجال الإطفاء بخراطيمهم... بقع الدم على الأرض...

- **الحياة تستمر، هذا ما نرده على الهجمات الإرهابيّة... قال الصحفي في التلفزيون.**
- **لكننا مرتعبون... متى تنتهي مخاوفنا، متى تنتهي حروبنا...**
- **إيستر إيستر منذ نصف قرن نحن في إسرائيل وكل يوم يقول ستنتهي مخاوفنا... نحن نعيش في كابوس، هذه ليست إسرائيل هذه كابوس"[1].**

وتحفز الروايات العربيّة روح المقاومة، فهي تظهر نجاعة المقاومة في إفشال مخططات الاحتلال الرامية لتهويد القدس، كما أنها تؤكد أن المقاومين لا يستسلمون ولو غُلبوا في بعض المواضع، فيقومون من الرماد كالعنقاء ويضربون من جديد ويوجعون، وهذا ما تصوره رواية (أشباح القدس)، عند سردها لرد المقاومين على المجزرة التي قام بها الاحتلال في قرية دير ياسين، إذ أعدوا عدتهم وتربصوا للاحتلال وأذاقوه ألما كبيرا، " لم تقض معركة دير ياسين التي انتهت إلى مجزرة 9 أفريل ولا سقوط حيفا، على روح المقاومة العربيّة في القدس. فقد حاولت قوّات الهاجاناه استغلال ما حدث في دير ياسين لتعزيز قوّاتها المعزولة في جيب[2] على جبل المشارفscopus[3] في القدس الشرقيّة. بعد دير ياسين بأيام، أرسلت الهاجاناه إلى جبل المشارف، وعبر حي الشيخ جرّاح العربيّ، قافلة مكوّنة من عشر مركبات... كان على متنها

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 194

([2]) سيارة عسكرية

([3]) أحد جبال القدس، يقع إلى الشمال الشرقي من بلدة القدس القديمة، بنى عليه الاحتلال مستشفى هداسا والجامعة العبريّة.

جميعها أكثر من مئة شخص. وكمن لها المقاومون، وكانت النتيجة، تدمير معظم الآليات وقتل ما لا يقل عن 77 من ركابها واعتقال الباقين"[1].

تشحذ الروايات همة قرائها لمقاومة الاحتلال بالمواجهة المباشرة المسلحة، أو بالمواجهة غير المباشرة، كالثبات بالقدس، وتفقنيد رواية الاحتلال، وغيرها.

المبحث الثّالث: تفنيد رواية الاحتلال

جندت الحركة اليهوديّة إمكانياتها لتحقيق وطن قوميّ لليهود، وحرصت على ربط اليهود بأرض فلسطين عن طريق شقين أوّلهما: إقناع اليهود بأنّهم شعب الله المختار، وثانيهما: ربط تاريخ اليهود ودينهم بفلسطين.

وأُسست اليهوديّة على الأفكار التي كان يدعو إليها الحاخام اليهوديّ زفي هيرش كاليشر، الذي ربط يهود العالم باليهود الذين يسكنون في فلسطين، واستعطفهم لجمع التبرعات ليهود فلسطين كي يعينوهم على الثبات فيها وذلك قبل إقامة كيان الاحتلال عن طريق تأسيس "منظمة هدفها تشجيع الاستيطان في الأرض المقدسة وذلك بشراء المزارع والكروم وجني ثمارها"[2]؛ لإنقاذ يهود فلسطين " الذين كانوا يعانون من الجوع والفقر وكثيراً ما كان هؤلاء اليهود الذين وصفهم بالأتقياء يقعون مغمى عليهم في شوارع القدس من شدة جوعهم"[3]. يحاول هذا الحاخام

([1]) الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ص 320

([2]) ينظر: أنيس، الصايغ: الفكرة اليهوديّة والنّصوص الأساسيّة. ترجمة العابد، لطفي وعز، موسى، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينيّة، بيروت، 1970م، ص 16

([3]) المرجع نفسه. ص 16

خلق رابط بين يهود العالم واليهود الذين يسكنون في القدس، بطلب مساعدتهم بذريعة أنّهم يهود أنقياء، فنراه يركز على الجانب الديني الذي يربطهم، ويجعل ارتباط اليهود بهم ودعمهم وشراء الأراضي لهم ارتباطاً دينياً بهدف إرضاء الرب.

ولا يكتفي الحاخام كاليشر بربط يهود العالم بيهود القدس دينياً، إنما يرسخ مبدأ قومية اليهود، ويروج أن اليهود شعب واحد إذ يقول: " هذه السياسة أيضاً ستعمل على كسب احترام الأمم الأخرى، إذ إنّهم سيقولون إنّ بني إسرائيل لديهم الإرادة أن ينقذوا أرض أجدادهم التي هي قاحلة ومتروكة. لماذا يضحي شعب إيطاليا وشعوب البلاد الأخرى بحياتهم فداء لأرض آبائهم، بينما نحن وكأننا عديمو القوة والشجاعة، لا نعمل شيئاً؟ هل نحن أقل شأناً من الشعوب الأخرى؟"[1]، يقارن الحاخام كاليشر بين شعوب العالم واليهود باعتبارهم شعباً واحداً، على الرغم من أنّ الدين ليس مرتبطاً بعرق وشعب معين، كما أنّه في هذين النّصّين يناقض نفسه؛ لأنّ الاقتباس الأوّل يشجع اليهود على شراء مزارع وكروم الأرض المقدسة لدعم اليهود الفقراء الذين يسكنون فيها، بينما في الاقتباس الثّاني يقول إنّ الأرض قاحلة ومتروكة، فلو كانت قاحلة ومتروكة فكيف سيشترون المزارع والكروم؟ وكيف ستسمى الأراضي بالمزارع والكروم إذا كانت قاحلة ومتروكة؟ وممن سيشترونها إن لم يكن لها صاحب؟

وترد الروايات العربيّة على الرواية اليهوديّة وتفندها، إذ تظهر أنّ القدس لم تكن لليهود تاريخياً، وتبين أنّ العرب واليهود وغيرهما سكنوا القدس، باعتبارها مدينة فلسطينيّة مختلطة تقبل التنوع الدينيّ، بالإضافة إلى أنّ الروايات العربيّة تؤكد أن اليهود ليسوا شعباً واحداً، بل هم

([1]) أنيس، الصايغ: الفكرة اليهوديّة والنّصوص الأساسيّة. ص17

جماعات يحملون جنسيّات وأعراق مختلفة تدين بدين واحد، ولا يعدّ هذا من مقومات القوميّة الواحدة، فالدين الواحد يجمع شعوباً مختلفة وقوميّات عدّة، وثقافات متباعدة.

تنفي رواية (ماميلا) أن يكون اليهود شعباً واحداً، بناء على أصولهم العرقية المختلفة؛ فتصف الرواية جمهور المستوطنين الذين تجمعوا في مقبرة ماميلا، استعداداً لافتتاح ما يسمى بمتحف السلام الذي بني على أنقاض قبور المسلمين، ليعرف العالم بما تسمى ثقافة اليهود: " كان الوقت رخوا في ذلك اليوم، وراح يتجول في الحديقة، يهود المغرب، واليمن، وفرنسا وألمانيا، وبولندا، وروسيا، والبلغار، والمجر، وأوكرانيا، وأثيوبيا، جماعات منفردة عن بعضها البعض بالطبع، أزياؤهم من كل قطر أغنية، ولغاتهم محيّرة، كانوا يتجولون على غير هدى، بعيون ضيقة وواسعة، بشرتهم سمراء جداً أو بيضاء جداً، ولا قمح في جلودهم"[1].

وإذا عرضنا هذا النّصّ على تعريف الشعب الاجتماعيّ: " سكّان الدولة القاطنين بإقليم الدولة ويحملون جنسيّتها"[2]، وتعريف الشعب السياسيّ: " الأشخاص الذين يتمتعون بممارسة الحقوق السياسيّة سيما حق الانتخاب"[3]، نستطيع أن ننفي أن يكون اليهود شعباً قبل قيام كيان الاحتلال، إذ إنهم كانوا متفرقين يعيشون في دول مختلفة، ويتمتعون بحقوق سياسيّة مختلفة، وفق قوانين الدول التي يحملون جنسيّتها. ولا تصنع الديانة المشتركة شعباً واحداً، فالهند مثلاً فيها تعدد دينيّ كبير، ولم تشكل كل ديانة شعباً وحدها، إنما الشعب الهندي واحد

([1]) جمعة، ميرفت: ماميلا. ص8

([2]) دحماني، عبد الوهاب: السيادة الشعبية في النظام الدستوري الجزائري.(رسالة ماجستير) إشراف: د. لخضر، وحياني، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر، 2016م، ص 8

([3]) المرجع نفسه. ص 8

يضم أفراداً يؤمنون بديانات مختلفة. وتعد المسيحيّة من أكثر الديانات انتشاراً حول العالم، لكن المسيحيين لا يعدون شعباً واحداً، وكذلك المسلمون، فالدين ليس من مقومات هويّة الشعوب.

ويبرز نص الرواية اختلاف اليهود عن بعضهم من خلال اختلاف اللّغات التي يتواصلون بها، واختلاف ثقافاتهم في اللّباس، فلا يجمعهم إطار عام، وكذلك الفرق الكبير بين ألوان بشرتهم البعيدة عن لون البشرة الغالب على شعب فلسطين وهو الحنطي، فقال السارد (لا قمح في جلودهم)، وبهذا نفت صلتهم بالقدس.

وتؤكد الروايات العربيّة أن ما يجمع اليهود هو دولة الاحتلال فقط، أما اليهود أنفسهم فليسوا شعباً واحداً، ولكنهم يحاولون أن يتوحدوا في دولتهم الجديدة، وهو ما تقوله رواية (غولدا نامت هنا) على لسان هدى الإمام التي اصطحبتها عائلتها إلى غربي القدس؛ ليزوروا بيتهم الذي استولى عليه المستوطنون، فأخذت تصف أشكال المستوطنين الذين مروا من أمامها وهي في طريقها إلى بيتها بقولها: " أمعنت النظر في كل من مرّوا بنا: بعضهم كان ذا بشرة داكنة، وبعضهم ذا بشرة بنيّة، وبعضهم ذا بشرة فاتحة، وبعضهم أشقر مثل طانط ليز في لندن. وكان أكثر ما لفت انتباهي هم الأوّلاد والبنات والشباب في سن هاني وهانية. فعلى العكس منّا، كانوا يرتدون ملابس رثّة، شورتات وصنادل، لم أجد تفسيراً لذلك، ولكن هاني وهانية ظلا يتحدثان لأيام وأيام بعد ذلك عن الصنادل الإسرائيليّة"[1]، يرمي النّصّ إلى إظهار اختلاف اليهود الذين استوطنوا فلسطين وذلك من خلال تباين ألوان بشرتهم اللافت، وتحاول القول إنّ هؤلاء المستوطنين بدأوا بخلق ثقافة مشتركة بينهم بعد أن احتلوا البلاد، وذلك من خلال ارتداء الصنادل التي صنعت في الأراضي المحتلة.

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 149

حاول الاحتلال عندما أنشأ كيانه على أرض فلسطين أن يجعل له تاريخاً فيها، لكن تاريخه الحقيقي كان بعيداً عن الأرض الفلسطينيّة ولا ينتمي لها، فعندما أراد أن يبني متحفاً في مقبرة ماميلا الإسلاميّة، لم يجد شيئاً بأرض فلسطين يخدم روايته، فاستعار آثاراً أجنبيّة؛ لتوحيد المستوطنين بتاريخ واحد، وهذا ما تقوله رواية (ماميلا) عن تاريخ محتويات المتحف الذي أعلن افتتاحه ناحوم أحد المسؤولين عنه: " مهمة ناحوم التالية كانت أصعب بكثير، فقد كان يفكر بطريقة تجعل لحديثه التالي جذوراً عميقة، كي يكون التأثير مضاعفاً ويستمر في أذهان المستمعين، بينما بدأ أصحابه منذ زمن بعيد يحاولون سلخ المستقبل اليهوديّ عن الماضي اليهوديّ، ثم إن الماضي اليهوديّ نفسه متقطع الجذور، والمشكلة كل المشكلة في الجذور، وما في جعبته ليفرده في المتحف، أيضاً لا جذور له، قطع مستعارة من بلاد الله الواسعة، كان علماء آثارهم قد نفلوا[1] أمامهم، أزياء، وتماثيل، وشمعدانات ((مينوراه)) بعضها من بخارى وبعضها من اليمن وكثير منها من الصين وروسيا وبولندا، ومن مصر أيضاً في العصر الهيلينيّ، والرومانيّ، ثم الكولونيّ، والفاطميّ، وصولا للعصر الحديث، ولكن كل ما جمعوه كان يؤكد وجودهم خارج هذا المكان، بينما يحاولون إثبات العكس"[2].

سعى اليهود كما أظهرهم النّصّ إلى إثبات أنّهم شعب واحد، له ثقافته وآثاره العريقة الضاربة في جذور التاريخ، لكن النّصّ فند روايتهم بإظهار زيف ادعاءاتهم؛ لأنّ ما عرضوه للناس تجميع لتراث أقوام ومجتمعات مختلفة كان اليهود يعيشون فيها قبل احتلالهم القدس وتجمعهم فيها.

([1]) تستخدم هذه الكلمة في اللهجة العامية المقدسيّة بمعنا بعثر، ولكنها في السياق أتت بمعنى وضع.

([2]) جمعة، ميرفت: ماميلا. ص 21

ولا يمكن نفي وجود اليهود في فلسطين والقدس بالمطلق، فهم عاشوا فيها لكنهم لم يبقوا فترة طويلة لتكون لهم حضارة خاصة، فالحفريات التهويديّة التي تسعى لإثبات وجود اليهود في القدس لم تخرج بنتائج، كما تقول رواية (ماميلا): " نبّش علماء الآثار تحت كل حجر بحثاً عن ((لقى))[1] تؤكد وجودهم التاريخي هنا، كانوا يحملون الكتاب بيد والمجرفة باليد الأخرى، لكنهم لم يجدوا شيئاً أبداً، ولا حتى كسر فخاريّة بسيطة، كل ما قيل عن مُلك داوود وسليمان إذن، هو تأليف حالم، لا يمتلكون ذاكرة صلبة ملموسة على الأرض! بل وشعروا أنّهم لو يحفرون أعمق، فسيجدون اللّغة الكنعانية مخبأة في الجرار"[2]، فالأرض غالباً ما تبوح بأسرار من سكنوا فيها، وتجود الحفريات بحضارات الأمم التي تعاقبت على الأرض، لكن القدس لم تَجُد بشيء يهوديّ، كما في النّصّ، وهذا دليل على أنّ اليهود لم يقيموا فيها حضارة كما فعل غيرهم من أمم.

يحفر المستوطنون في القدس وتحت المسجد الأقصى منذ ثمانينيات القرن الماضي لكنهم لم يجدوا شيئاّ يدل على وجودهم أبداّ، وهذا ما تؤكده الروايات الأدبيّة العربيّة بأنّ الاحتلال قائم على الأسطورة وكل ادعاءاته نسج من خيال، فتسرد رواية (مصابيح أورشاليم) قصة المستوطنين أيستر ويائيل لتقول من خلالها: إنّ اليهود يعتمدون على ماض غير مؤكد وخيال عند حديثهم عن دولة الاحتلال، وهذا ما جعل إيستر التي تحيزت للمنطق تتمرد على الروايات اليهوديّة وتعلن أنّ القدس ليست المدينة الذهبية التي كان يتحدث عنها الساسة ورجال الدين اليهود، إذ إنّ " قصة إيستر ويائيل هي ذاكرة تستعاد من خلال الروايات الإسرائيلية، من خلال عمليات مرممة بواسطة القصص والحكايات والأساطير والفانتازيا، وهي قادمة من ماض متخيّل، أو متوهم على نحو مرمم، أو من مكان لا يمكن تأكيده على الإطلاق، وهي مصنوعة من عمليات متداخلة

([1]) جمع لقية وتستخدم في العامية المقدسيّة بمعنى ما يعثر عليه.

([2]) جمعة، ميرفت: ماميلا. ص30

بشكل عصي على التفكك، ولكن لا يمكن التأكد من حقيقتها تماماً، وكل من هذه الشخصيّات كان يستعين بالتاريخ، ولكنهم يدركون شيئاً فشيئاً أنّ التاريخ ليس عملية قديمة ومن الماضي حسب، إنما لا وجود له على الإطلاق، شيء لم يعد موجوداً على الأقل، فكيف يتم استعادته؟ وهذا ما أدركته إيستر فتمردت.

- أورشليم... قلت لهم.

هي الميتافيزيقيا... حيث الواقعي يتهدم والخيالي يدوم"[1].

كيف نصدق شيئاً لا دليل على وجوده إلا من مصدر واحد؟ وهذا المصدر موجود فقط عند المدعي، بينما الإثباتات التي تناقض هذا الادعاء موجودة وظاهرة على أرض الواقع، لذا يتعجب الكاتب من أنّ القدس هي المنطقة التي يُنفى فيها الواقع؛ لتحقيق أمور غير مثبتة حيكت وربطت بما وراء الطبيعة، لتكون قوتها مرتبطة بالسماء.

يتواصل اليهود مع الفضاءات الميتافيزيقية، ويجيرونها لحسابهم، لكي يكون لهم كيان سياسيّ، فهم يستطيعون التواصل مع الإله؛ حتى ينفذ لهم مطالبهم، كما تقول رواية (ماميلا): " أجل، هم يعتبرون أنّه لا حواجز بينهم وبين الله، يعاتبونه ويهددونه ويطردونه من النّصّ إن أرادوا، وإن لزم الأمر يقوّلونه ما يشاؤون... والوحي يتواطأ معهم ويرشدهم، فيبنون مجسماً من حجر أو طين أو معدن، بتلك الطريقة العجيبة يصدّقون أنّهم يمتلكون الماضي، وكم من النقوش خُطّت على أنّها رسائل من الله تدفعهم للبحث ملياً عن هيكلهم... لكنها دوماً كانت تقع في شرك

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 263- 264

اللّغة، إنّ كل محاولاتهم فشلت يا شيخنا، وإلى الآن يحاولون إلصاق النّصّ المزيف فوق الحجر الحقيقيّ ولا جدوى"[1].

تنبع الثقافة الفوقيّة لليهود، والدونية لغيرهم من التوراة التي تعد المرجعية المركزيّة، والنواة الثقافيّة للفكر اليهوديّ في مناحي الحياة كافة، فمن التوراة يستمد الفكر اليهوديّ مقولة " شعب الله المختار"، وأن الشعوب غير اليهوديّة هم "غرباء" (غوييم). ويشكل هذا الاعتقاد التوراتيّ خطورة في المستويات السياسيّة والتقافيّة والعلميّة[2]؛ لأنّه يزرع في عقول اليهود ووجدانهم وسلوكهم أنّهم الأفضل دائما ما دام الرب اصطفاهم واختارهم وفضلهم على غيرهم، وأنّهم الأسمى والأقدر والأنقى. وتشكل هذه الرؤية التوراتيّة اعتقاداً راسخاً لدى طلاب المدارس الذين يؤمنون بوجود رابطة جينية بينهم وبين أرض فلسطين. ويروّجون أنّ إقامة دولة يهوديّة في فلسطين هو تحقيق لما جاء في التوراة؛ فالرب اختار الشعب اليهوديّ واختار الأرض.[3]

"ومن نصوص التوراة التي تدّعي أحقيّة اليهود في أرض فلسطين التي تدرّس في المدارس الإسرائيلية ضمن مادة الدين اليهوديّ في المرحلة الابتدائية، ويعاد تدريسها في المرحلة الإعدادية يكلف الطلاب بحفظها: النّصّ الآتي من سفر التكوين":[4] "لأنّي لك ولنسلك

([1]) جمعة، ميرفت: ماميلا: ص 31

([2]) منصور، جوني: التخصصية الاحتكارية والفوقية في كتب تدريس التاريخ في المدارس العبريّة الاسرائيلية، مجلة قضايا إسرائيلية، العدد4، أكتوبر 2001م، ص109

([3]) ينظر: خليل، علي: اليهوديّة بين النظريّة والتطبيق(مقطتفات من التلمود والتوراة). منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق، 1997م ، ص149

([4]) عتيق، عمر: نوافذ تقافيّة. ص191

سأعطي هذه البلاد كلها، وأوفي بالقسم الذي أقسمته لإبراهيم ابنك، وأكثر من نسلك كنجوم السماء، أعطي نسلك هذه البلاد كلها" [1].

يكشف النّصّ عن رواية اليهود الذين يحرفون النّصوص الدينية ويبنون عليها قصصاً مزورة ومشوهة للحقيقة لكي تخدم أهدافهم التهويديّة للقدس، فهم يحاولون بشتى الطرق إلصاق اليهوديّة بالأرض التي تنفي الحقائق الأثريّة والتاريخيّة التي أجريت عليها أنّ لهم حضارة فيها.

تظهر الروايات القدس –من الناحية التاريخيّة – مدينة أنشأت قبل وجود الديانات السماوية الثلاث، فهي غير مرتبطة بدين، ووجودها ليس متعلقاً بديانة معينة على الرغم من أنّ الديانات ارتبطت بها فيما بعد، فلا يحق لأي ديانة من الديانات إلغاء السكّان الأصليين للمدينة ونسبة المدينة لها. وهو ما يقوله سارد رواية (مصابيح أورشاليم) عن المدينة التي يقول إنّها حيرته وأشغلت باله في حل دهاليزها، إذ إنّها تختلف عن مدن العالم بأنهّا مدينة متجددة الهدم والبناء، وممتدة عبر الزمن: "كان عليّ التعامل هنا مع أقدم مدينة تاريخيّة في العالم، بل هي من أقدم مدن الأرض، المدينة التي هدمت وأعيد بناؤها أكثر من 18 مرة في التاريخ، المدينة التي يزيد عمرها عن 45 قرناً، المدينة التي تتنازعها جميع الديانات"[2].

فاليهوديّة والمسيحيّة والإسلاميّة هي ديانات أتت على المدينة بعد قيامها ولم تتأسس المدينة على إثر هذه الديانات. فمؤسسوها الحقيقيون المعروفون تاريخياً هم الكنعانيون، فكيف لديانة من هذه الديانات أن تنسب القدس لها؟ و" كان اليبوسيون أول من أعطى للمدينة اسم

([1]) سفر التكوين3

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 262

القدس أي رؤية السلام. وبقوا أسيادا للبلاد مدّة ثمانمائة سنة"[1]. واليبوسيون هم أحفاد الكنعانيين فكيف تنفى أحقيتهم بالقدس وتمنح لليهود؟

وسكن القدس أتباع هذه الديانات السماوية بسلام قبل ظهور فكرة إنشاء وطن قومي لليهود، فكان اليهوديّ جاراً للمسيحي وللمسلم، فكيف يأتي زمن يصبح فيه غير اليهوديّ غريباً؟ بينما يكون اليهوديّ فيه صاحب أرض، على الرغم من أنّ وجود اليهود في فلسطين كان تحت مظلة الأقليّات.

تبدو شخصيّة السارد (عبد الباقي) حائرة في رواية (ضحى) بعد أن التقى جاره اليهوديّ الذي كان يسكن معه في غربي القدس، وكانا يدرسان في المدرسة نفسها، إذ كيف يهجر من بيته ويصبح من اللاجئين لأّنه ليس يهودياّ؟ بينما جاره اليهوديّ يبقى في داره لأنّه مؤمن بالديانة اليهوديّة، " شمعون ابن الخواجا حسون، جاري من رحافيا وزميلي من أيام المدرسة. أذكر أنّه كان تلميذاً نجيباً. وأنّه تمتع بلياقة بدنية. وأنّه كان، في الغالب، منزوياّ متوحداّ. لم يشاركنا في الغدو ولا في الرواح، من المدرسة. وما نافسنا في عشق فتاة. لم تقم بيننا علاقات ود وثيقة. لم يلعب معنا في الأمسيات. وما سابقنا على الدراجات الهوائيّة. في تلك الأيام، ما كان في قلوبنا ضغينة. كنا أصغر من الكراهية. ولا نعرف الحقد. يحكمنا: اللهو والمرح، وأحيانا، قليل من "الزعل" القصير و"المحاربة" الأقصر. يومها، لم ألحظ عداء يطل من عينيه، فالعداء لا يتشكل إلا بالمعاشرة... انشطرنا، يوم انشطرت المدينة، بين عرب ويهود. أصبحت أنا من عداد المقتلعين المشردين، وهو من الباقين المنتصرين"[2].

([1]) ياسين، حسين: ضحى ثلاث نساء في القدس. ص 187

([2]) المصدر نفسه. ص187

فالاحتلال يلغي جنسية كل فلسطيني في القدس، ويعطي حق الوجود في " الشق الغربيّ منها" لمن يؤمن بالديانة اليهوديّة فقط، أو من تعاون مع اليهود لإقامة دولتهم. حدثني أبي[1] وهو من مواليد القدس عام 1935م، إن وجود اليهود في مدينة القدس كان عادياً فكانوا يعدونهم من أهل المدينة، إذ كان الحلاب اليهوديّ يمر عليهم كل صباح ويبيعهم حليباً طازجاً، وكانوا يذهبون لإطفاء مقبس الكهرباء لجيرانهم اليهود في أيام السبت حين ينسون إطفاءها قبل دخول السبت، إذ تحرم عليهم الديانة اليهوديّة إشعال الكهرباء أو إطفاءها في ذلك اليوم. فالقدس مدينة مختلطة وواسعة للجميع، إلا أنّ اليهود عندما تمكنوا من القدس لم يرضوا أن تبقى على حالها مدينة للجميع، فقتلوا وطردوا غير اليهود منها.

ولم يكن وجود الفلسطيني في القدس وجوداً هامشياً، بل كان الفلسطينيّ مثابراً، فالقدس شهدت نمواً عمرانياً كبيراً قبل احتلالها من قبل العصابات اليهوديّة، كما ورد في رواية (غولدا نامت هنا): " في حين كان العالم يعاني من الكساد الاقتصاديّ في أواخر العشرينيات وبدايات الثلاثينيات من القرن العشرين، شهدت القدس طفرة عمرانيّة، وأخذت أحياء بأكملها وقصور وفلل وعمارات سكنيّة تنتشر على التلال المحيطة بالبلدة القديمة"[2].

يدل النّصّ السابق على أنّ العرب هم أصحاب الأرض، إذ عمروها منذ آلاف السنين وما زالوا يعمرونها، ومن هؤلاء المعماريين الذين برزوا في ذلك الزمن أي قبل احتلال العصابات اليهوديّة للقدس، المهندس أنضوني برامكي الذي كان يستخدم الحجر الأحمر في بناء البيوت التي يصممها ويبنيها، حتى ذاع صيته وأصبح صاحب طراز معماري خاص، عرف به في القدس كلها، و" لم يدرك أحد وجه الشبه بين أنضوني وبناياته إلا عند وقوع الزلزال المدمر في العام

([1]) عبد الفتاح عرفات مصطفى أبو الفيلات، والد الباحث معد هذه الدراسة

([2]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 43

1927م، ففي حين تعرضت بنايات عديدة في القدس ومدن أخرى في المنطقة لأضرار شديدة، ظلت بنايات أنضوني جميعها، كأنضوني نفسه، واقفة بشموخ. ونتيجة لذلك انهمرت المشاريع المعمارية على المعماري البارع أنضوني، وكذلك على الرسام المعماري اليهوديّ أبراهام تشيرنياك الذي يعمل معه، ومراقب العمال الألمانيّ غينزبرغ، والذي غير اسمه إلى بن حورون في عام 1949م"[1].

كان المقدسي ناجحاً ومتفوقاً في عمله، وكان يعمل معه يهود، ولم تكن هناك أي مخاوف أو تفريق بين العربيّ واليهوديّ، إذ كانوا يعيشون تحت مظلة واحدة وهي القدس، إلى أن جاءت العصابات اليهوديّة وبدأت بإشعال فتيل الإثنيّة العرقيّة والتفرقة الدينيّة.

وتتساءل رواية (عاشق على أسوار القدس) على لسان بطلها سرحان الذي يقارن نفسه باليهوديّ الذي يأتي إلى دولة الاحتلال مهاجراً، فتمنحه سلطات الاحتلال جنسيّة وبيتاً ووظيفة، بينما ترفض أن تعيد لسرحان هويّته المقدسيّة وتأمره بمغادرة بلده؛ لأنّه عاش خارجها مدة طويلة، " مَن من العاقلين يصدق أنّ الله خالق الناس كلهم يعد اليهود بميثاق مخصوص بأرض كانت مسكونة بالكنعانيين، والفينيقيين، والفلستينيين، واليبوسيين؟ أليسوا هؤلاء عباد الله أيضاً؟ ولماذا يفعل الله (سبحانه وتعالى) ذلك وهو الذي لا يميز بين مواطن وآخر إلا بالتقوى؟ ولماذا بنو إسرائيل أفضل من غيرهم؟ ألم يتآمر أولاد يعقوب (أبو الإسرائيليين) على أخيهم يوسف وباعوه؟ وكيف يكون هؤلاء شعب الله المختار؟"[2].

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 42

([2]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس: ص 130

ينفي النّصّ السابق ادعاءات اليهود جميعها، إذ يقر بوجود غير اليهود في فلسطين، وتوظف الرواية أسلوب الاستفهام الذي يحمل دلالات الاستنكار والتعجب أن يكون الله رب الناس جميعاً قد خصص أرضاً لتكون ملك شعب معين، ومنحها لأتباع ديانة محددة وهي اليهوديّة، إذ إنّ اليهود أنفسهم قد ارتكبوا الذنوب والمعاصي حالهم كحال سائر الأمم الأخرى، فلماذا يميزهم بالأفضليّة على غيرهم؟ فلا بد أن تكون أسطورة شعب الله المختار من تأليف أتباع هذه الديانة، ولا علاقة لها بوعد رباني؛ لأنّ هذا الوعد بعيد كل البعد عن العدل الذي تتميز به السماء.

يتبين مما تقدم أنّ الروايات العربيّة واجهت المزاعم اليهوديّة، وأكدت أنّ كل ما خلقته الدعاية اليهوديّة ما هو إلا من نسج الخيال، وعلى الباحثين عن الحقيقة رؤية الواقع ودراسة التاريخ جدياً، والبعد عن الفنتازيا التاريخيّة والدينيّة اليهوديّة.

المبحث الرّابع: تأصيل ذاكرة المكان وهويّته العربيّة

يعد نسيان دلالة المكان من أخطر ما تواجهه القدس؛ لأنّه يسهم في تحقيق خطة تهويدها، إذ يتيح لسلطات الاحتلال تغيير ما تشاء في القدس دون وجود ما ينفي روايتها، أو يذكّر بالحقيقة والتاريخ الأصلي للمكان، وهذا ما فطنت إليه الروايات العربيّة التي حرصت على تصوير شخصيّاتها مرتبطين ببيوتهم التي هُجّروا منها، ومتعلقين بأرضهم التي يحفظون تاريخها وأماكنها ودلالاتها العقائديّة والدينيّة والتاريخيّة، على عكس سكّانها الجدد من المستوطنين الدخلاء الذين سرقوا البلاد، ويحاولون تهويدها عن طريق تشويه وتحريف تاريخها وأماكنها.

وتحارب الروايات العربيّة نسيان المكان وتعده هزيمة كبرى مساوية لاحتلال القدس، وهو ما حذرت منه أم ماهر –خطيب بهية بطلة رواية باب العمود– أولادها، كي لا يسمحوا للنسيان

بالتغلغل إلى ذاكرتهم، لهذا كان ماهر كلما نظر إلى حائط البراق ورأى اليهود يُصلّون فيه، تذكر حالته الأوّلى وكيف تحولت من حارة ملأى بالبيوت وعامرة بسكّانها إلى ساحة ملأى بالمستوطنين، كما وصفت رواية (باب العمود): " تصحو يا ماهر على أصابعي تهزك برفق لترى حارة المغاربة وقد تحولت إلى ساحة المبكى.. بصعوبة تلتقط أنفاسك، تغمض عينيك، تبلع ريقك، تفتح عينيك.. يأتيك صوت أمك: النسيان أول الهزيمة! تحكي يا ماهر عن أمك.. كانت تخاف على نفسها وتخاف علينا أن يتسرب النسيان إلى قلوبنا وأرواحنا، كانت تخاف من الغفلة، كانت تخاف أن نألف حتى نتحجر"[1].

تؤكد الرواية أنّ النسيان شريك الاحتلال بالتهويد، فالإصرار على قول الحقيقة التاريخيّة، وسرد أحداث التهجير والقتل وإحلال المستوطنين مكان السكّان الأصليين، هو ما يوثق زيف دولة الاحتلال، ويربط الإنسان الحاضر بماضيه، وفي الوقت نفسه تُضمر الرواية رسالة غير مباشرة بضرورة سرد التاريخ الشفويّ الفلسطينيّ للأجيال الجديدة، كيلا ينسوا، وهذا يذكرنا بمقولة رئيسة وزراء الاحتلال غولدا مئير " الكبار يموتون والصغار ينسون"[2]، في إشارة إلى سقوط حق الفلسطينيّ مع تقادم الزمن؛ لأنّ المطالبين به سيقل عددهم تدريجياً؛ لأنّهم سينسون أنّ فلسطين وطن سليب، وتدعوا الرواية إلى محاربة هذا الفكر عن طريق استمرار رواية التاريخ الشفويّ الفلسطينيّ للأجيال المتعاقبة.

ولا تكتفي الرواية بالحث على عدم النسيان، إنما تربط شخصيّاتها بأملاكهم التي استولى عليها المستوطنون، لكي تربطهم به فيطالبون به ويستعيدونه، وتسرد الجدة في رواية (غولدا

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 56-57

([2]) ذكرى النكبة الـ67... الكبار يموتون والصغار لا ينسون. 14/5/2015
https://www.palinfo.com/news/2015/5/14/%d8%b0%d9%83%d8%b1%d9%89-

نامت هنا) لأحفادها تفاصيل بيتهم الذي هجروا منه في نكبة 1948م الذي يقع غربي القدس لكي يحفظ أحفادها البيت عن ظهر قلب: " نعم، نعم يا تيتا، أنا أحفظ ذلك عن ظهر قلب، ثم أخذت هدى تضحك وتقلّد كلمات جدتها وأسلوبها الإلقائي: لا مثيل للفيلا التي بنيناها أنا وفريد قرب بيت أهلي: قرب بيوت عويضة. كان أحفاد عائشة عادة ما يكررون كلامها ويضحكون في الوقت نفسه. فقد سمعوا جدتهم تتفوه بهذه الكلمات مئات المرات حتى ملّوا منها. حتى الصغير هيثم ذو الثلاث سنوات صار يقلد كلام تيتا المتكرر"[1].

يضحك الصغار من كلام جدتهم المتكرر الذي حفظوه عن ظهر قلب، لكن عندما يكبرون سيدركون أهميّة تكرار كلام الجدة، وسيعلمون أنّ لهم بيتاً ينتظرهم ليحرروه ويستعيدوه، فهم حتماً لن ينسوا ذلك، فقد أصبح محفوراً في ذاكرتهم، ونلمس من النّصّ أنَّ الرواية لا تعترف بدولة الاحتلال، ولا بنظريّة تقبل الوضع القائم، بل تحث على كشف الحقائق، ورد الحق إلى أصحابه، ونلمس تأثير الرواية الشفويّة على الأطفال إذ إنّ هدى وهي إحدى أحفاد الجدة في النّصّ السابق، تصبح من أشرس المطالبين باستعادة بيوتهم من المستوطنين. [2]

ولا يكتفي المقدسي بسرد قصة بيته المسلوب بل يُنظم جولات تعريفية في المناطق المحتلة وبيوتها العربيّة التي سرقت منه؛ لتعزيز هوية المكان العربيّة وصقل الذاكرة كي لا ينسى بيته وحقه. ويشارك في الجولة متضامنون فلسطينيون يدعمون فاقدي بيوتهم، ومنهم سعاد في رواية (غولدا نامت هنا)، في قولها :" شارك في المسيرة نحو مائة شخص رافقوا عشرة فلسطينيين من مالكي الفلل الرائعة والقصور الفخمة في حي الطالبية. سار الحشد في شوارع

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 132

([2]) ينظر: المصدر نفسه. ص 119- 120

هذا الحي الذي كان من أرقى الأحياء العربيّة في القدس الغربيّة قبل أن يصبح حِكراً على السكّان اليهود كغيره من الأحياء العربيّة الكثيرة"[1].

وتحمل هذه الجولات والمسيرات معنيين، أولهما: تذكير بالمكان الفلسطيني وترسيخه في الذاكرة الفلسطينيّة، والثّاني: إيصال رسالة للمستوطنين مفادها أنّ الفلسطينيين لا ينسون بيوتهم سواء كانوا كباراً أو صغاراً. فالمقدسي لا يكتفي بهذه المسيرات فقط، بل ينظم زيارات فردية وعائلية لبيته المحتل، كي لا ينساه أولاده.

وعلى الرغم من أنّ ذاكرة المقدسي صاحب البيت لا تنسى تفاصيل البيت وموقعه ورحلة بنائه، إلا أنّ صاحبه يُصر على زيارته، لكي يثبت للمستوطن أنّ للبيت مالكاً يطالب بحقه، فهو بناه حجراً حجراً، كما تصف رواية (سبيريتزما) زيارة المقدسيين علي وجيهان اللذين هُجّرا من بيتهما عام 1948م، وعادا لرؤيته بعد أن ضم الاحتلال الجانب الشرقي لمدينة القدس، ويجمع وصف السارد لهذه الزيارة بين الفضاء المكاني للبيت والفضاء النفسي للشخصيتين، والفضاء السياسيّ، حينما خرجت امرأة عجوز تسألهما عن سبب قدومهما إلى البيت: " ينظر إلى البيت من خلف السور، ومن بين أشجار الحديقة التي يبدو أنّه لا يُعتنى بها، هو الذي زرع شجرة التفاح هناك، وشجرة الليمون، والخوخ والبرقوق، الأشجار صارت كبيرة، وعليها بعض الثمرات غير الناضجة.. كانا لا يزالان ينظران إلى البيت خلف السور، هو يفكر بالمال والوقت الذي أنفقه في بناء البيت، ولم يسكن فيه سوى بضعة أشهر، وهي تفكر بالمهندس والبنّاء الذي بنى البيت وكيف كانت تتدخل في كثير من تفصيلات البناء... سَمِعا صوت مزلاج البيت يسحب، وشاهدا

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 10

سيدة عجوزاً تنظر إليهما وتتحدث بلغة عبريّة... فهم علي من كلامها أنّها تسألهما ماذا يريدان؟...

- **أنا صاحبة البيت، هذا البيت الذي تسكنينه كان بيتي، وهذا زوجي..**
- **أنتما إذن عربيّان من أورشليم!**
- **نعم نحن من القدس..**
- **دعيني أسألك... ما اسمك؟**
- **جيهان**
- **نعم جيهان.. أنا أعرفك.."[1].**

تعرفت المستوطنة في النّصّ السابق على جيهان من أوراقها التي تركتها في البيت، فهم تركوا كل شيء في البيت، ورحلوا على أمل العودة بعد انتهاء الحرب، لكن العصابات اليهوديّة جردتهم من كل شيء، إلا من ذاكرتهم التي جاءوا ليغذوها، ويُعلِموا من في البيت أنّهم ليسوا أشباحاً بل أصحاب البيت الحقيقيين، ربما عادوا اليوم زائرين متفحصين للبيت، لكنهم سيعودون محررين في المستقبل.

ويكثر المقدسيون من الزيارات التفقديّة لبيوتهم المسلوبة، وخاصة عندما فُتح شطرا القدس الشرقيّ والغربيّ على بعضهم بعضاً بعد استكمال سيطرة الاحتلال على القدس، فاندفع أصحاب البيوت لمعرفة ما حل ببيوتهم، ولتعريف من ولد بعد 1948م بحقهم في غربيّ القدس، وهذا ما حصل مع عائلة الإمام التي اصطحبت أولادها وأحفادها إلى بيتهم في غربي القدس، كما ورد في رواية (غولدا نامت هنا) على لسان هدى الطفلة التي سمعت غير مرة من جدتها قصص

([1]) أبو السعود، عزام: سبيريتزما. ط1، عزام أبو السعود، القدس، 2016م، ص112

بيتهم المسلوب حتى حفظت تفاصيله عن ظهر قلب، وباتت تردد كلام جدتها بالحرف، ولكنها عندما رأته كان الأمر مختلفاً، فقد وجدته أجمل بكثير مما وصفته الجدة، وتصف الرواية الصدمة على لسان هدى: " كثمانية أصنام تجمدنا قرب بعضنا. غرباء في مكان شبه مألوف، وقفنا على الرصيف المقابل نحدّق في بيتنا... ومثل أبي وتيتا، وقفنا جميعا مقابل البيت لا يفصلنا عنه سوى الشارع. وقفنا بسكون وقد خيمت علينا الرهبة، وكأننا نزور مقاماً مقدساً... لم أفهم تماماً لماذا كان أبي يشرح لنا كل ذلك بينما نقف خارج المنزل، فقلت: أبي دعنا ندخل لنراه من الداخل... (أنا فريد الإمام مالك هذا المنزل، أود أن أري البيت لزوجتي وأسرتي، وأمي التي كانت تسكـ)، وقبل أن يُتم أبي جملته، انفتحت أبواب الجحيم. كان هناك صراخ وزعيق... وكلمات كالرصاص المنهمر بالعبريّة والعربيّة والإنجليزيّة. بغّا! بغّا! بغّا! (برّة، برّة، برّة)، ليش إنت هون؟.. أخرج فوراً قبل أن أستدعي لكم الشرطة!"[1].

كلام هدى عن بيتهم في غربي القدس، وهذه الزيارة التي لم تكتمل إلا بمضاعفة حسرة العائلة، جعل البيت مزاراً لهدى الطفلة الصغيرة بعد أن كبرت، حتى حفظ المستوطنون ملامحها عن ظهر قلب، وكانوا يستدعون لها الشرطة حينما تمر بسيارتها في المكان، وأدت متابعتها والتردد على منزلها المسلوب إلى اعتقالها وطلب الضابط اليهودي منها أن تنسى بيتها، كما يصور السارد: " أوشك صبر الكابتن يعكوف على النفاد، وقال: حسنا، هذا يكفي! وفتح عينيه على اتساعهما: توقفي عن العيش في الماضي. هذه مشكلتكم. أنتم العرب تظلون تعيشون في الماضي"[2]، يكشف النّصّ الروائيّ عن هدف الاحتلال ألا يبقى الفلسطينيّ حاضر الذاكرة، مرتبطاً

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 157-158

([2]) المصدر نفسه. ص 177

بمدينته، بينما يحاول هو أن يربط مستوطنيه بالأرض بطرق شتى ولو كان بسرد الأساطير وتأليف الروايات.

ولم يكتف المقدسيّ بسرد روايته وتعريف أحفاده بحقه بالقدس، بل أخذ يوثّق عروبة المكان بكتابة أسماء أصحاب القبور على الأضرحة التي محيت عنها الكتابة العربيّة، كي لا تسيطر سلطات الاحتلال عليها وتنسبها إلى اليهود، وهذا ما تبينه رواية (أشباح القدس)، عندما تفاجأ السارد الذي يحمل اسم (يوبا) من أن القبور العربيّة التي فقدت شواهدها في المقبرة التي دفنت فيها جدته لأمه ما زالت تحتفظ بأسماء ساكنيها، على الرغم من أنّها كتبت بالطباشير، " مددت يدي نحو الكتابة وحاولت بأحد أصابعي محو أحد حروفها، فامّحى بدون أيّ مجهود. وقبل أن أتساءل كيف استمرّت هذه الكتابة الهشّة كل هذا الزمن، قرأ الشيخ الطاعن في السنّ حيرتي، فقال: هل تعلم يا ابني، أنّ حارس المقبرة لا يفعل شيئاً آخر غير هذا، منذ أكثر من نصف قرن، لا يعمل إلا على إعادة الكتابات. كلما سقطت سيول المطر، أو هبّت رياح رمليّة عاتية وأمّحت العلامات والآثار، عبر القبور القديمة، قاطعاً كل المسالك بدون استثناء، وأعاد تخطيط أسماء القبور التي بلا شواهد جديدة، لكي لا تموت أبداً"[1].

يجسد دور حارس المقبرة في النّصّ السابق دور الإرشيف الوطنيّ والعقائديّ الذي يحفظ الهويّة القوميّة للقدس، وتدعو الرواية المقدسيين إلى ديمومة التوثيق كي لا يضيع حقهم في القدس، ولكي يستطيعوا حماية ممتلكاتهم من التهويد والطمس، التي يمارسهما الاحتلال على معالم المدينة، ويقول الدكتور حسن عليّان في تعليقه على نصّ الرواية السابق " إن القبور أزيلت كتاباتها بفعل الزمن، ومواسم الأمطار والرياح، وعوامل الطبيعة، وبفعل الإهمال نتاج

([1]) الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ص 12

الخوف من الشرطة الإسرائيلية، التي تتعمد إزالة القبور في المقبرة الإسلاميّة والمسيحيّة بغية تحويلها إلى وحدات سكنية استيطانيّة"[1]، وبدقة أكبر نرى أن إزالة القبور وشواهدها لم يكن بفعل عوامل الطبيعة ولكنها كانت بفعل تجريف الاحتلال للقبور وكسر شواهدها لإقامة منشآت استيطانيّة وتهويديّة، وإن ما كانت تمحوه الأمطار والرياح هو ما يكتبه حارس المقبرة بالطباشير، ففي القدس مقابر قديمة جداً ومكشوفة أمام تقلبات الفصول وقسوة الطبيعة ولم تتأثر بعوامل الطبيعة بهذه السرعة، فلو كان كذلك فكيف لنا معرفة أنّ قبر الصحابيّ عبادة بن الصامت موجود في مقبرة باب الرحمة الملاصقة لسور المسجد الأقصى الشرقيّ، وإهمال المقدسيين للمقبرة لم يكن بسبب الخوف من شرطة الاحتلال كما يقول الدكتور حسن عليّان، إنما بسبب منع شرطة الاحتلال المقدسيين ودائرة الأوقاف الإسلاميّة من تنظيف المقبرة والإعتناء بها، وقد حاول كثير من المقدسيين ترميم المقبرة وتنظيفها لكن قوات الاحتلال كانت تمنعهم بالقوة، بسبب مخططاتها الرامية إلى تهويدها، والتي قد تصل بهم الحال إلى تحويل المقابر الفلسطينيّة إلى أماكن لممارسة الجنس، وتكشف الرواية عن جرائم أخلاقيّة يمارسها مستوطنون فوق أضرحة مقبرة ماميلا ومنها ما قام به حارس المقبرة جلعاد وصديقه رافي في المشهد الآتي: " غرز رافي أصابعه في خصلات شعر صديقه الكثيفة، وألصق شفتيه الباردتين على الجبين المبتل وأخذ يتمتم، (اسم هذا المكان سابقاً، لا يهمني أبداً، يهمني من به الآن، أنا وأنت يا جلعاد) تابع جلعاد سرد الأحرف وتجميعها دون أن يفهم شيئاً من ذلك بينما رافي يستنشق رائحة عرقه كمدمن: (هـ ن ا، هنا، ي ر ق د، يركود[2]، ال ع بد، ال فقي ر، فقير)[3]. ويظهر النّصّ السابق

([1]) عليّان، حسن: القدس الواقع والتاريخ وفي الرواية العربيّة. ص 150

([2]) لا يستطيع المحتلون اليهود نطق حرف القاف فيستبدلونه بالكاف.

([3]) جمعة، ميرفت: ماميلا. ص 34

أن الاحتلال لا يهتم لقدسية الأماكن، ولا لأصحابها، فما يهمه فقط هو السيطرة عليها وتهويدها ونرى ذلك في قول رافي (اسم هذا المكان سابقاً لا يهمني أبداً).

المبحث الخامس: رفض تهويد الإنسان الفلسطينيّ

يشكل وجود الاحتلال في حياة المقدسي معضلة كبيرة، فلم يستطع المقدسيّ تقبله على الرغم من مرور أكثر من سبعين عاماً على احتلاله للقدس، ويحرص المقدسي بهويته العربيّة الفلسطينيّة وذاكرته على المحافظة على القدس كما عهدها قبل الاحتلال، وذلك عن طريق الحفاظ على لغته العربيّة وعاداته وتقاليده، وتوثيق أملاكه وغيرها، كما أنّ المقدسي لم يرض الاستسلام للاحتلال والتعاون معه، وعد من ينحرف عن الصف الوطني ويتعاون مع الاحتلال شاذاً يجب تقويمه أو التخلص منه.

وحاربت الروايات العربيّة تهويد الإنسان المقدسيّ، بالتركيز على سوء حالة المتعاون مع الاحتلال، والنظرة الدونية التي ينظر فيها المجتمع إليه، واحتقار الاحتلال للمتعاون معه، وهذا ما نلاحظه في رواية (برد الصيف) إذ يظهر فيها أبو سالم وهو عميل للاحتلال، جندته مستوطنة يهوديّة من تل أبيب تدعى (تسيبورا) (عصفورة باللّغة العربيّة)، وأغرته بالجنس والمال، ففضلهما على الكرامة والوطن، فاحتقره أهل القدس، وكذلك الاحتلال الذي طلب منه أن يجند بناته وزوجة ابنه لنقل المعلومات عن طريق مرافقة الشباب، وإقامة علاقات جنسيّة معهم، كما تكشف الرواية على لسانه: " وهل تريدني أن أكون قوّاداً على بناتي وبنات إخوتي؟ هذا لا يمكن أن يحصل، الموت أفضل من عمل دنيء كهذا، وإذا ما بقيت مصراً على طلبك فدعنا نفترق. صاح به الكابتن: ماذا تقول يا كلب؟ هل تريد أن نفترق؟ هل بناتك وقريباتك أفضل من تسيبورا؟ أم أنّهنّ

أكثر جمالاً منها؟ باستطاعتنا أن نجد كلاباً كثيرة مثلك، بل وأفصل منك، وإذا لم تسمع كلامي وتنفذه، فسأنشر صورك مع تسيبورا في قريتك وفي القدس وقراها"[1].

يعبر النّصّ السابق عن فكرتين مهمتين، الأوّلى تبين أن العميل محتقر في نظر الاحتلال وإن كان يخدمه ويعمل لصالحه، فنلاحظ أن الضابط اليهوديّ يتعامل مع أبي سالم بدونية، يأمره لينفذ فقط، وليس له أن يرفض أو يتناقش معه، كما يعدّه كلباً وليس إنساناً، فخائن الوطن من المستحيل أن يكون إنساناً شريفاً، ولهذا فهو لا يستحق الاحترام، والثّانية أنّ المتعاون مع الاحتلال لا يفقد كرامته وحسب، بل يفضي به التعاون مع الاحتلال إلى مزيد من التنازلات التي قد تصل إلى تجنيد عائلته بأكملها، وبهذا تظهر الرسالة الأخرى المبطنة التي تريد الرواية إيصالها، وهي تحذير القارئ من التفكير بالتعامل مع الاحتلال؛ لأنّها تريه الذل والعار الناجمين عن التعامل معه.

ويتضاعف احتقار المتعاون مع الاحتلال عند أبناء وطنه؛ لأنّهم المتضررون الوحيدون منه، وتتطرق رواية (برج اللقلق) إلى احتقار أسرة العميل ليث النعمان لابنها، حينما ينقل تحركات المقاومين للاحتلال، ويعمل على تسريب بيوت البلدة القديمة في القدس للمستوطنين اليهود، فهو يرى أنّ عليه اتباع الأقوى ولو كان عدواً، ولا يرى أنّ الدفاع عن الوطن شرف بل ضرب من الجنون، وخاصة أنّ ميزان القوى غير متكافئ مع العدو كما يبدو في حديثه مع والدته: " إسرائيل دولة هزمت جميع الدول العربيّة.. وأولاد أخيك يحاربون بالحجر.. أنتم عائلة مجنونة.. عائلة مجنونة. صاحت به أخته: أيها الكلب.. تعيّر أجدادك بالشهادة يا عديم الشرف.. والله إذا ثبتت عليك العمالة لن يكون موتك إلا على يدي. كمّت الأم فم ابنتها بكفها تزجرها:

([1]) السلحوت، جميل: برد الصيف. ص 129

اخرسي.. لا تفضحونا.. علا صوتنا على الجيران.. لا.. لا أصدق أنّ الأمر يصل بأخيك إلى هذا الحد. بل صدقي يا أمي.. إنّه في الدرك الأسفل من النذالة.. لقد قرأت اسمه على الحائط.. (احذروا العميل ليث النعمان)"[1].

تقتل أم ليث ابنها العميل في نهاية الرواية رغبة بالتخلص من العار الذي ألحقه بالعائلة، والحد من ضرره على المجتمع المقدسي ومقاوميه، ومن اللافت للنظر أنّ النّصين السابقين قد نعتا العميل بنعت مشترك وهو (الكلب)، وهما يقصدان بهذا التعبير نزع صفة الإنسانيّة عن العميل، فيُجمع الفلسطينيون والمحتلون على احتقار العميل، وفي كلتا الحالتين يكون مصير العميل هو القتل، فأبو سالم قُتل معنوياً من قبل الاحتلال، وبقي ذليلاً مطأطأ الرأس، أما ليث فقتل جسدياً على يد أمه.

لا ينحصر غضب المقدسيين على العميل الذي ينقل المعلومات للاحتلال، بل يمتد الغضب إلى من يبيع بيته، فتوطين اليهود في القدس يعد جريمة كبرى، والدليل على ذلك ما حصل مع المقدسيّ عواد أبو سنينة الذي باع بيته لما يسمى رئيس وزراء الاحتلال" أريئيل شارون"، مما أدى إلى لفظه من المجتمع المقدسي، وبقي مقاطعاً حتى مماته، كما صورته رواية (عاشق على أسوار القدس)، " في الطريق من شارع الواد إلى المسجد الأقصى اقترب سرحان من البيت المسمى بيت (أرئيل شارون)، الذي اشتراه رئيس الوزراء الإسرائيلي قبل فترة طويلة من صاحبه (عواد أبو سنينة) الذي لعنه سكّان القدس، ورفضوا الصلاة على جثمانه عندما توفي، فدفن بحضور ثلاثة أبناء من أبنائه وزوج ابنته، كانت أصغر جنازة في القدس لرجل ميت"[2]. فالموت

([1]) السّمان، ديمة: برج اللقلق. ص 395

([2]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 131

لا يشفع للمتعاون مع الاحتلال، ولا يغفر له بعد موته، فيعيش حياته ذليلاً في مجتمعه وأمام الاحتلال، ويموت ذليلاً.

ونستطيع الجزم أنَّ المقدسيين يكرهون التعاون مع الاحتلال بكافة أشكاله، ويصفون المتعاون بأبشع الصفات، فبتعاونه مع الاحتلال يفقد ما يقربه منهم فيلفظوه شكلاً ومضموناً، وما يؤكد ذلك ما تورده رواية (عاشق على أسوار القدس)، حينما يصف البطل سرحان موظفة وزارة الداخلية التابعة للاحتلال (ريما) التي سحبت منه هويّته المقدسيّة، وأمرته بالرجوع إلى أمريكا بعد أن درس وعمل فيها خمسة وعشرين عاماً، وفق قوانين الاحتلال التي تنزع من المقدسي حقه في الرجوع إلى وطنه بزعم أنّ القدس لم تعد مركز حياته، على النحو الذي تعبر عنه رواية (عاشق على أسوار القدس) " كلهم تعودوا على صراخ ريما، تلك المرأة قصيرة القامة التي لم تتزوج بعد، ربما لأنّها مكروهة من الناس، ولأنّها أصبحت جزءاً من الاحتلال، إضافة إلى شكلها الخارجي فهي قبيحة، لا يعرف الجمال طريقاً لها، من يراها يعرف سبب حقدها على أبناء شعبها، أما صوتها، فهو أشبه بالغراب الناعق"[1].

حينما يكره الإنسان شخصاً فإنّه لا يرى حسناته أو جماله، ولا يطيق رؤيته، وهو ما حصل مع سرحان وباقي المقدسيين لدرجة أنهم عزفوا عن الزواج من (ريما)؛ لأنّها خرجت عن الصف المقدسيّ، وتعاونت مع الاحتلال، وحرمت مئات المقدسيين من إقامتهم في القدس.

يعمد الاحتلال إلى توظيف هؤلاء المتعاونين لكي يخففوا عنهم ضغط المواجهة مع المقدسيين، فيوظفهم لكي يتعاملوا مع أبناء جلدتهم، ويبقى الاحتلال يراقب معاملة الموظف العميل مع أبناء شعبه شامتاً ساخراً مما يجري وفق ما تصوره رواية (عاشق على أبواب القدس)،

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 65

التي تبيّن أنّ الاحتلال يشغّل موظفة الداخلية (ريما) لكي تواجه غضب الفلسطينيين، بينما يجلس مديرها اليهوديّ مرتاحاً في مكتبه، فهي " صاحبة السلطة هنا، والمدير اليهوديّ القابع في المكاتب الداخلية يحرص على إعطائها هذا الشعور بالقوة والغطرسة لتنفذ سياسة الحكومة الإسرائيليّة بحزم، وحتى يصب المواطنون العرب جام غضبهم عليها وحدها مع أنّها تنفذ سياستهم لا أكثر، وكما يقول المثل الفلسطينيّ فقد جعلوها فوهة مدفع لهم، وقد أجادت المهمة التي أوكلت إليها، فضربوا عصفورين بحجر واحد"[1].

يرفض المقدسيّ أي شراكة مع اليهود المستوطنين. وتصف الروايات العربيّة الرافض للشراكة مع المستوطنين بالواثق من نفسه وصاحب الحق، ونرى ذلك في قصة الطبيب فؤاد الذي يعمل في القدس، وينال شهرة كبيرة في المجتمع المقدسي والنخبة السياسيّة، فهو معروف بوطنيته وولائه للقدس، عندما رفض عرض الانضمام إلى جمعية تسعى إلى تطبيع العلاقات بين العرب واليهود، الذي قدمه له أحد المراجعين اليهود، " حين جاء دور هذا اليهوديّ دخل مصافحاً الدكتور ومعرفاً بنفسه كالفرنسي... وأخبره بأنّه قادم لإقناعه بالانضمام إلى الجمعيّة العربيّة اليهوديّة التي أسسها هو وحسن شكري رئيس بلديّة حيفا، قال له هذا اليهوديّ أنّه يعرف عنه الكثير، وأنّه شخص محبوب في القدس، وأن علاقته بجماعة الحسيني[2] جيدة، وأن علاقته بجماعة النشاشيبي[3] ليست سيئة، ولذلك فإنه يراه الشخص المناسب ليرأس فرع الجمعيّة بالقدس. لم يعطه الدكتور فؤاد فرصة لمتابعة حديثه أو شرح أهداف الجمعيّة، بل أخرج من

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 65

([2]) من أشهر عائلات القدس وكانت تنافس على حكمها.

([3]) من أشهر عائلات القدس وكانت تنافس على حكمها.

جيبه عشرة قروش وناوله إياها قائلاً: هذه قروشك التي دفعتها للممرض في الخارج خذها ولا ترني وجهك مرة أخرى.. فتح باب العيادة مؤشراً له بالانصراف"[1].

رفض الطبيب فؤاد الانضمام لجمعية تهدف إلى تطبيع العلاقات مع الاحتلال، وأظهرته الرواية شامخاً عزيزاً، أما اليهوديّ فبدا ذليلاً منتظراً ليدخل إلى الطبيب الفلسطينيّ، ويدفع المال من أجل ذلك، ثم طرده المقدسيّ، عندما علم هدف زيارته، وأعاد له ماله بطريقة مهينة، في إشارة إلى أنّ عدم التعاون مع الاحتلال يعلي من شأن الفلسطينيّ، ويحفظ حقه وكرامته، فالطبيب في النّصّ السابق حافظ على هيبته، أما العميل في غيره من نصوص ظهر فاقداً لكرامته واحترامه.

ويرفض المقدسيّ التعاون مع الاحتلال ولو كان المقابل حصوله على حريّته، وإرجاع حقه في الإقامة في القدس، ففي رواية (عاشق على أسوار القدس) يرفض حسن الذي منعه الاحتلال من استصدار هويّة مقدسيّة؛ لأنّ أباه سرحان عاش في الولايات المتحدة خمسة وعشرين عاماً، وعندما عاد إلى القدس مع والده الذي ولد في القدس ونشأ فيها، رفض الاحتلال بقاءه في القدس وأمره أن يعود إلى الولايات المتحدة، وعندما رفض حسن وعائلته الرجوع إلى أمريكا، اعتقلته قوات الاحتلال بتهمة رشق جنود الاحتلال بالحجارة، وأخذ الضابط يغريه بحريّته وببطاقة مقدسيّة تمكنه من السكن في القدس إذا ما تعاون معهم، كما يبدو في الحوار الآتي:

" سأله يوسي بهدوء: – هل تحب أن أفرج عنك الآن؟

– نعم.. أنا لم أرتكب أي جريمة.

– بشرط؟

([1]) أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ص 110

- **ما هو؟**
- **تعمل معنا.**
- **ماذا تقصد؟**
- **أن تدلّنا على من يلقي الحجارة على الجيش، ومن يحرضون الناس من خماس[1]، والجهاد، والجبهة، وكتائب الأقصى.**
- **ولكن لا أعرف أحداً.**
- **عندما تعرف تخبرنا.**
- **لا..لا أريد أن أكون جاسوساً لكم.**
- **من قال إنك جاسوس؟ أن تدلنا على المخربين فقط ونحن نساعدك نصدر لك بطاقة هوية.**
- **لا.. لا أريد.**
- **حسنا.. سأرسلك إلى السجن"[2].**

لا يقبل المقدسي خيانة وطنه وشعبه، ولو كان ذلك مقابل حريته أو ماله أو منصب مهم في حكومة الاحتلال، ومن يفعل ذلك من المقدسيين – وهم قلة – يعده المقدسيون شاذاً خارجاً عن الصف الوطني، ولا ينال مكانة محترمة في مجتمعه، وما يقابله المقدسيون به لا يخرج عن إطار الاحتقار وعدم الاحترام، وهذا ما تؤكده الروايات العربيّة.

([1]) لا ينطق اليهود الغربيين حرف الحاء فيستبدلونه بحرف الخاء ليجعلوه أسهل للنطق، فيقولون خماس بدلا من حماس.

([2]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 168–169

المبحث الثّاني: أسلوب المقاربة

قاربت الروايات العربيّة بين أحداث مهمة غيرت مجرى التاريخ بطريقتين، الأوّلى: أسلوب المقاربة المباشر الذي تقارب فيه الرواية نفسها بين حادثتين مختلفتين كالمقاربة بين مجازر العصابات اليهوديّة ومحرقة اليهود المعروفة بالهولوكوست، وتهدف هذه المقاربة إلى بيان فظاعة جرائم الاحتلال، وهشاشة ادعائه بأحقيّة اليهود بإقامة وطن قومي لهم في أرض فلسطين؛ لأنّهم اضطهدوا من قبل النازيين، فترد الروايات عليهم بأنّ ما تتذرعون بأنه حجة لإقامة وطن لكم، قد مارستموه ضد شعب آخر.

والطريقة الثّانية: أسلوب المقاربة غير المباشرة والتي تتيح للقارئ أن يقوم بالربط الذاتي بين حادثتين متقاربتين كالاحتلال البريطانيّ والاحتلال اليهوديّ لفلسطين وخاصة القدس. وتهدف هذه المقاربة إلى إثبات تورط بريطانيا بدعم اليهود، وأنّ احتلال اليهود لفلسطين قد بدأ منذ سيطرة بريطانيا على فلسطين وليس منذ إعلان تأسيس كيان الاحتلال عام 1948م، فتظهر بريطانيا في المقاربة تابعة لليهود وليست حرة في قراراتها.

ويظهر في كلا الأسلوبين – المقاربة المباشرة وغير المباشرة – تأثير البناء الروائي في مواجهة تهويد القدس عن طريق إثبات شخصيّات الروايات أنّ حجج الاحتلال واهية، وأنّهم سيقاومون تهويد مدينتهم بالطرق كافة. فالمقاربة تطرح حقائق تاريخيّة في حين أنّ الحدث الروائي المجرد من المقاربة يطرح وجهة نظر الروائيّ أو السارد.

المقاربة بين المجازر اليهوديّة والهولوكوست

قاربت الروايات العربيّة بين ما فعلته الحكومة النازيّة في ألمانيا باليهود، وما فعله الاحتلال الإسرائيليّ بالفلسطينيين، إذ لاحظ الروائيون العرب أنّ هناك تقارباً بين أفعال النازيين للخلاص من الإثنيّة العرقيّة اليهوديّة في ألمانيا ودول أوروبا التي سيطر عليها الألمان، والطرق التي اتبعها الاحتلال اليهوديّ للخلاص من الفلسطينيين.

وضعت الحكومة الألمانية في الحرب العالمية الثّانية مخططاً للخلاص من اليهود أطلقت عليه مسمى (الحل النهائيّ): ويتمثل في "حل المسألة اليهوديّة بشكل جذريّ ونهائيّ ومنهجيّ وشامل عن طريق إبادة اليهود، أي تصفيتهم جسدياّ"[1]، وتصفية اليهود جسدياً كان عن طريق حرقهم بأفران الغاز أو ما بات يعرف بالهولوكوست وهي كلمة يونانية تعني (حرق القربان بالكامل) أي حتى يختفي كلياً ولا يبقى له أي أثر[2]، وذلك دلالة على وحشية النازيين الذين فعلوا باليهود كما كان يُفعل بالقرابين المقدمة للآلهة فتحرق كاملة.

واستئناساً بتعريف الحل النهائي السابق نلاحظ أنّ النازيين واليهود تشابهوا في هدفهم للخلاص من خصومهم وذلك عن طريق الإبادة الجماعيّة، مع وجود بعض الاختلاف في طريقة التنفيذ، إذ سجن النازيون اليهود وأرسلوهم في قطارات إلى معسكرات القتل مثل معسكر الآوشويتز الذي يقع شرق ألمانيا على حدودها مع بولندا إذ أجبروا جزءاً منهم على العمل الشاق بينما قتلوا الآخرين بأفران الغاز ومن ثم أحرقوهم[3]. بينما قام اليهود بالهجوم على القرى الفلسطينيّة وقتل أهلها وإجبار من بقي منهم على ركوب الحافلات والسفن إلى بلاد أخرى كسوريا ولبنان

([1]) المسيري، عبد الوهاب: اليهوديّة والنازية ونهاية التاريخ. ط3، دار الشروق، القاهرة، 2001م، ص 21

([2]) ينظر: المرجع نفسه. ص 21

([3]) ينظر: فرانكل، فيكتور: الإنسان والبحث عن المعنى. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2018م، ص 28

وغيرها، وتشهد على ذلك مذبحة قرية دير ياسين التي قتل الاحتلال فيها مئات الفلسطينيين، ولم ينج منهم إلا أعداد قليلة جداً، كانت منهم الطفلة زينة التي نجت من المذبحة بأعجوبة وروت أنها " سمعت صوت إطلاق الرصاص في قريتها دير ياسين، وأنها رأت البيوت تحترق، وبيتها كذلك. بحثت عن والديها، لكنها لم تسمع سوى إطلاق الرّصاص فاختبأت"[1]، فتشابه النازيون واليهود بإشعال النار والقتل في سبيل الخلاص من الاثنيّات العرقيّة والقوميّة وإقامة دولة ذات عرق واحد.

وانعكست كثرة القتل ورائحة الجثث على محتوى الروايات العربيّة التي قاربت بين مجازر الاحتلال والهولوكوست النازية ففي رواية (مصابيح أورشاليم) نجد المقاربة واسعة بين الحادثتين إذ يورد الكاتب ما قاله الروائيّ والصحافيّ البرتغاليّ خوسيه سراماغو حين زار فلسطين " كان أثناء تجواله بين المدن الفلسطينيّة يشم رائحة الغاز، في إشارة إلى أفران الغاز النازيّة التي أحرق فيها اليهود في أثناء الحرب العالمية الثّانية، والإشارة إلى أفران الغاز أو المحرقة هي الكلمة الحقيقيّة التي يمكن وصف الحالة التي يعيش فيها الفلسطينيون"[2]، والمقاربة هنا حقيقية، ولو لم تكن أفران الغاز هي ذاتها التي قَتَلَ فيها اليهود الفلسطينيين، إلا أنّ هدف أفران النازيين كانت إفراغ ألمانيا من اليهود كما أنّ هدف مجازر الاحتلال اليهودي كان إفراغ فلسطين من الفلسطينيين، وفي سبيل ذلك استخدمت العصابات اليهوديّة كل ما اتيح لها لتحقيق ذلك مما تسبب بقتل وتهجير آلاف الفلسطينيين وتدمير قراهم.

تؤكد المقاربة بين المجازر التي اقترفها الاحتلال اليهوديّ والمجازر التي ارتكبها النازيون أنّ الرواية العربيّة تواجه سياسة تهويد القدس مواجهة فكريّة تاريخيّة، إذ إنّ المقاربة بذاتها تعد

([1]) جبريل، رلى: ميرال. ط1، ترجمة سعاد قرمّان، دار الوسط للنشر والإعلام، رام الله، 2019م، ص 18

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 310

مواجهة للفكر اليهوديّ الذي يسعى إلى تهويد القدس وتهجير أهلها تحقيقاً للمشروع اليهوديّ الذي يسعى إلى دولة يهوديّة خالية من العرب الفلسطينيين، كما أنّ فكرة (التطهير العرقيّ) التي تقوم عليها سياسة الاحتلال مستمدة من الفكر النازيّ. ويكشف النّصّ الروائيّ في هذا السياق عن التناقض والانفصام الفكريّ اليهوديّ الذي يروج لما حدث لليهود في ألمانيا وفي الوقت نفسه يقترف الجريمة نفسها، ولهذا فإن الرواية العربيّة التي تواجه تهويد القدس تهدف إلى تفكيك وتقويض الفكر اليهوديّ؛ لأنّه فكر قائم على التناقض والانفصام.

وتأخذ الروايات منحى آخر في المقاربة بين الهولوكوست والمجازر اليهوديّة؛ فتطرح سؤالاً منطقياً؛ ما ذنب الفلسطينيّ ليهجر ويقتل إذا لم يكن هو من قتل اليهود في أوروبا، كما في رواية (أشباح القدس)، التي تصور حالة حسن الذي هجر من بلاده وقُتل أهله بقوله لابنته: أنّه يكره الحركة اليهوديّة؛ لأنّها فعلت به ما فعلته النازية باليهود " أمقت الصهيونيّة لأنّها سرقت منّي أرضي وذبحت أهلك و... هل الأوروبيّ يحسّ ببشاعة المحرقة، كما نحسّها نحن؟ لا أعتقد. أنا عشتها مع أناس أعرفهم ويعرفونني. فقد التهمت أناساً أبرياء لم يطلبوا شيئاً أكثر من الحياة. ولكنّ محرقتنا، من يسمع بها؟ من يعتذر لها؟ تخيّلي شعباً يوضع على حوافّ المنافي والموانئ التي ترفضه لا يعرف كيف يرمي الخطوة إلى الأمام ولا خطوة إلى الوراء؟ العمى، مش معقول؟ لسنا من ارتكب جريمة القرن ولسنا من أحرقهم؟ فلماذا ندفّع ثمن جريمة ارتكبها غيرنا؟"[1].

يضمر كلام حسن في النّصّ السابق، عتاباً على وسائل الإعلام العربيّة، التي لم تستثمر المجازر اليهوديّة في الترويج الإعلامي لحماية الفلسطينيين، واسترجاع وطنهم المسلوب، كما استغل اليهود الهولوكوست؛ لاستعطاف العالم لإقامة وطن قومي لهم في أرض فلسطين،

([1]) الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ص 92

فالترويج الإعلامي الفعّال جعل العالم يستعطف مع الجلاد، ولم يأبه للضحية التي لم تروج قضيتها العادلة إعلامياً كما ينبغي.

استغل اليهود ما قام به النازيون ضدهم؛ لتبرير إقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين، مستغلين الاضطهاد الذي تعرضوا له، فرفعوا شعار معاداة السامية الذي بات هاجساً تخاف الدول التورط فيه، كما تورطت به ألمانيا التي ما زالت تدفع ثمنه حتى الآن، ولهذا تعاطفت الدول العظمى مع الاحتلال اليهوديّ، وغضت الطرف عن ما يقوم به من مجازر اتجاه الفلسطينيين الذين لا ذنب لهم بالمآسي التي عاشها يهود أوروبا.

حاول الاحتلال استعطاف الفلسطينيّ ليقر له بحقه في العيش في فلسطين ففي رواية (مصابيح أورشاليم)، يحاول المستوطن نعومكن أن يستعطف قلب بطل الرواية إدوارد سعيد، الذي كان في جولة لزيارة غربي القدس، بعد أن ضم اليهود شق القدس الشرقي لسيطرتهم وسمحوا للفلسطينيين بزيارة ما احتل من أرضهم، فقص عليه ما حدث معه في المعتقلات النازية التي كان يأسر النازيون فيها اليهود، ويقسموهم على "وجبات" –كما وصفها– ويطلقون الرصاص على رؤوس اليهود الذين كانوا ينتظرون حتفهم مربوطين بأعمدة مزروعة بالأرض ومقسّمين إلى مجموعات، لكن حظه كان سعيداً عندما أنقذه جنود الحلفاء الذين اجتاحوا معسكر الإعدام الذي كان فيه[1]، ثم قال: " وها أنا اليوم في إسرائيل لا أريد أن أموت مثل هذه الميتة.. لو كنت محلي سيد إدوارد ألا تفكر التفكير ذاته؟"[2].

([1]) ينظر: بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 206

([2]) المصدر نفسه. ص 207

ربط نعومكن في النّصّ بين جرائم النازيّة وحق اليهود في إقامة وطن لهم في فلسطين، وهي الحجة ذاتها التي استخدمها اليهود في تبرير إقامة وطن لهم أمام المجتمع الدولي، لكن جواب إدوارد كان مفحماً إذ سكت بعده نعومكن ولم يستطع الرد إذ قال له إدوارد: " أنا لا أتنكر لذلك... ولكن هل على الفلسطينيّ أن يدفع الثمن؟"[1]، فالفلسطينيّ يعترف بما تعرض له اليهود من اضطهاد في أوروبا، لكن ما ذنبه في دفع ثمن ذنب قام به غيره، بأي عدل يقتل الفلسطينيّ ويهجر من أرضه ليعيش يهوديّ ألمانيّ أو بولنديّ حياة كريمة على أرضه؟

لم يأتِ اليهود إلى أرض فلسطين لاجئين محتمين فيها من البطش النازي، وإنما جاءوا محاربين رافعين للسلاح، في وجه أصحاب الأرض الحقيقيين، وأخذوا بقتلهم وتهجير من بقي منهم إلى منافي العالم، فقد مارسوا التطهير العرقي الذي مارسه النازيون ضدهم، وأرادوا أرض فلسطين خالية من غير اليهود، وهذا ما يقوله حسن لابنته في رواية (أشباح القدس) " بربّك قولي لي، ماذا يفعل اليوم الذين ورثوا أرضنا بالنار والحديد سوى التطهير العرقيّ؟ ألم يتعلّموا من أساليب أعدائهم النازيين؟ الضحية ليست أقل جرماً من معذّبها أحيانا"[2].

يتفق النازيون واليهود في مسألة التطهير العرقي والمتمثلة في اتباع " سياسة محدّدة جيداً لدى مجموعة معينة من الأشخاص تهدف إلى إزالة منهجيّة لمجموعة أخرى عن أرض معينة، على أساس دينيّ، أو عرقيّ، أو قوميّ. وتتضمن هذه السياسة العنف، وغالباً ما تكون مرتبطة بعمليات عسكريّة، ويتم تنفيذها بكل الوسائل الممكنة، من التمييز إلى الإبادة، وينطوي على انتهاك لحقوق الإنسان والقانون الدوليّ"[3]، فاعتقد كل من النازيين والصهاينة بتفوقهم

([1]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 207

([2]) الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ص 93

([3]) بابه، إيلان: التطهير العرقي في فلسطين. ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة، بيروت، 2007م، ص 9

العرقيّ على غيرهم من الأعراق الأخرى، إذ اعتقد النازيون "بتفوق الجنس الآري على الأجناس الأخرى، وأن هذا التفوق يعطي الحق للآريين في أن يتخلصوا من مشاكلهم عن طريق تصديرها للبلاد الأخرى، حتى ولو أدى هذا إلى إبادة السكّان الأصليين... فالنازيون، حين وجدوا أنّ الطريق مسدود أمامهم، قاموا بتصدير اليهود (والغجر والسلاف) لمعسكرات الاعتقال لإبادتهم هناك"[1]، وهو الأمر ذاته الذي قام به اليهود إذ أخذوا يقتلون ويهجرون الفلسطينيين من أرضهم لبناء وطن قومي لهم عليها، فهم يعتقدون بتفوقهم كونهم شعب الله المختار، كما أنّهم يرفضون عودة الفلسطينيين إلى أرضهم بعد نجاحهم في إقامة دولة يهوديّة خوفاً على أصالة عرقهم، كما يقول السارد في رواية (مصابيح أورشاليم) " إنّ السبب الحقيقيّ لرفض مثقفي إسرائيل الاعتراف بحق العودة للاجئين الفلسطينيين، ليس خشيتهم من أن يتحولوا إلى أقليّة إثنيّة كما ذكروا في بيانهم الشهير، بل ينبع من حرصهم على نقاء التركيبة السكّانية للشعب اليهوديّ، وهذه فكرة محوريّة في فكر حزب العمل الإسرائيليّ"[2]، والتقارب بين النازية واليهود في هذه الفكرة هي أنّ مؤسسي النازية كانوا يؤمنون بتفوق عرقهم على الأعراق الأخرى وينتمون إلى حزب العمل القومي الاشتراكي الألماني. ومن البيّن أنّ الفكر اليهوديّ يطابق الفكر النازيّ من حيث التفوق العرقيّ، وخاصة فتاوى الحاخامات التي زعموا فيها أنهم شعب الله المختار، وأن الرب فضلهم على غيرهم وأن العرب وجدوا لخدمة اليهود.

([1]) المسيري، عبد الوهاب: اليهوديّة والنازية ونهاية التاريخ. ص 13–14

([2]) بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ص 312

المقاربة بين الاحتلال البريطانيّ والاحتلال اليهوديّ

انحاز البريطانيون لليهود وكان ذلك واضحاً من خلال سياساتهم وطريقة تطبيقها، فقد وعدوا اليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين وفق ما يسمى بوعد بلفور، وفي سبيل تطبيقه اتبعوا إجراءات عدة رصدتها الروايات العربيّة التي تقارب في مضمونها سياسيّات الاحتلال البريطاني بسياسة الاحتلال اليهوديّ.

إن أخطر ما قامت به السلطات البريطانية بعد جريمة بلفور، كان تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين بهدف إقامة وطن قومي لهم، إذ قام الحاكم البريطانيّ في فلسطين آنذاك " بفتح فلسطين للهجرة اليهوديّة، وحددها سنويا بـ **16,500** مهاجر. وأنشأ لجنة للأراضي كان هدفها تسهيل عمليات البيع لليهود"[1]، وحينما علم الفلسطينيون خطورة هذه الإجراءات صمموا على مناهضتها لمواجهة تهويد بلادهم بما فيها مدينة القدس، فنظموا مظاهرات في مدن فلسطينيّة عدة؛ للتعبير عن رفضهم للهجرة اليهوديّة، ففي رواية (حمام العين) يقول الدكتور فؤاد لرفاقه وهو يجلس في قهوة الباسطي وهي من المقاهي المشهورة في بلدة القدس القديمة: إنّه سيشارك في المظاهرات المناهضة للتهويد والتي ستنظم في مناطق عدّة في فلسطين، " يوم الجمعة مظاهرة في القدس وبعد أسبوعين في يافا، وبعدها في حيفا، هذه وسيلتنا كي نعبّر للإنجليز عن رفضناّ لسياساتهم الخاصة بالهجرة اليهوديّة، وبالاستيلاء على أراضي فلسطين وتحويلها لليهود"[2]، ويعد التظاهر واحداً من طرق المقاومة والتعبير عن الرفض، وشارك فيها كثير من الفلسطينيين، ولكن إلى جانب التظاهر كان هناك رأي فلسطينيّ يرى أنّ المظاهرات لا تجدي

([1]) خلة، كامل: فلسطين والانتداب البريطاني 1922– 1939. ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1982م، ص 135

([2]) أبو السعود، عزام: حمام العين. ط1، الملتقى الفكري العربيّ، القدس، 2009م، ص 113

نفعاً، وعلى الفلسطينيين المقاومة بالسلاح، وكان أحد أصدقاء الدكتور فؤاد – لم تذكر الرواية اسمه ربما لأنّه واحد من بين مجموعة كبيرة تتبنى خيار المقاومة المسلحة – متبنياً لهذا الرأي إذ قال للدكتور فؤاد في أثناء حديثه عن المظاهرات: " والله أنا اللي شايفه إنه المظاهرات هي وقلتها واحد... ما بينفع إلا نقاومهم بالسلاح"[1]، والمقاومة المسلحة من أشهر الطرق التي قاوم بها الفلسطينيّ الاحتلال اليهوديّ أيضاً. يوضح الحوار بين الدكتور فؤاد وصديقه موقف الفلسطينيين من المقاومة الذي امتد من فترة الاحتلال الإنجليزيّ إلى الاحتلال اليهوديّ، إذ ينقسم الفلسطينيون في تبنيهم لفكرة المقاومة إلى قسمين: قسم يرى أنّ المقاومة المسلحة هي الطريق الأقصر والأنجع لتحرير البلاد من المحتل، بينما يرى الفريق الآخر أنّ المقاومة السلميّة هي الطريق الأنجح في تحرير البلاد من المحتل، ونرى هذا الاختلاف قد امتد وتجذر في المجتمع الفلسطينيّ حتى أدى إلى شق كبير في المجتمع الفلسطيني نفسه وفي أحزابه السياسيّة، وأدى هذا الاختلاف إلى إضعاف الموقف الفلسطينيّ من الداخل ومكّن العدو من زيادة بطشه وتوسعه في الأرض الفلسطينيّة.

وتتقارب سياسة الاحتلالين البريطانيّ واليهوديّ في مسألة تسهيل الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، فالاحتلال اليهوديّ يغري المهاجرين اليهود إلى فلسطين بتوفير حياة كريمة لهم بطرق كثيرة كما يقول الدكتور سرحان لزوجته عن سياسات السلطات اليهوديّة التي تشجّع يهود العالم على الاستيطان بفلسطين والقدس خاصة، بينما تمنع المقدسيّ من العودة إلى مدينته: "اليهوديّ القادم من بلاد الروس، مثلاً، يجد حكومة تساعده، فتقدم له سكناً ومدارس مجانيّة لأولاده، وبرنامجاً خاصاً للقادمين الجدد، وتساعده في إيجاد عمل"[2]، وتقدم الحكومة الاحتلال هذه

([1]) أبو السعود، عزام: حمام العين. ص 113

([2]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 32

التسهيلات لدفع يهود العالم لترك بلادهم الأصلية والهجرة للسكن في فلسطين، ويواجه الفلسطينيّ هذه الهجرة بهجرة مضادة، إذ يعود إلى بلاده متحملاً الأعباء التي تفرضها عليه حكومة الاحتلال، ونلمس ذلك في حديث الدكتور سرحان إلى زوجته بعد عودتهم من الولايات المتحدة للسكن في القدس، "العودة إلى الوطن الفلسطينيّ ليست مجرد قرار إداري، فهي تحتاج إلى صبر وتحمّل وإرادة قوية"[1]، إذ يرفض الاحتلال عودة الفلسطينيّ إلى القدس، ويفرض عليه شروطاً تعجيزيه إذا استطاع العودة إليها، لكن الفلسطينيّ يصبر عليها حتى يحافظ على عروبة مدينته.

وتقارب الرواية العربيّة بين عداء البريطانيين وعداء اليهود للفلسطينيين، فحين زار الحاكم البريطاني في القدس أرض أبي محمود في شمال الضفة الغربيّة وشرب معه الشاي، بدأ الشك يأكل قلب أبي محمود معللا ذلك بأن " الإنجليز أعداؤنا مثل اليهود تمام"[2]، وقول أبي محمود لم يكن اعتباطياً، بل كان استئناسًا بسياسات الإنجليز وانحيازهم لليهود ضد العرب، وكان شك أبي محمود في محله، إذ فقد أبو محمود أرضه بعد هذه الزيارة، بسبب انحياز المحاكم البريطانيّة لليهود الذين رفض أبو محمود بيع أرضه لهم، فتقدموا للمحكمة البريطانيّة بدعوة مفادها أنّ أرض أبي محمود هي من أراضي الدولة، فتماشت المحكمة مع رغبة اليهود باعتبار الأرض ملكاً للدولة رغم كل الإثباتات التي قدمها أبو محمود للقضاة[3]، وذلك لتسريبها لهم في الأيام القادمة ليبنوا عليها مستوطنة جديدة.

وتتشابه مسألة تحويل البريطانيين أملاك الفلسطينيين الخاصة إلى أملاك دولة، مع ما يفعله الاحتلال اليهوديّ بتحويل أملاك الفلسطينيين الخاصة في مدينة القدس إلى أملاك حكوميّة

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 32

([2]) أبو السعود، عزام: حمام العين. ص 50

([3]) ينظر: المصدر نفسه. ص70

بإدارة ما تسمّى دائرة أملاك الغائبين التي بدورها سربت هذه الأملاك إلى المستوطنين، ومن الدلائل على هذا التقارب قصة المهندس المقدسيّ أنضوني برامكي الذي هجر من بيته في حي المصرارة غربي القدس في عام 1948م، واستولت دائرة أملاك الغائبين على منزله وأعطته لمستوطن يهوديّ لكي يسكن فيه ومن ثم حولته لمتحف أطلقت عليه اسم متحف التعايش والسلام، وعندما قدّم البرامكي أوراق ملكية البيت للمحاكم اليهوديّة، رفضت تسليمه البيت، بذريعة أنّه يُعد بنظر قانون الاحتلال من الغائبين الذين لا يحق لهم إسترجاع أملاكهم التي سيطر عليها الاحتلال[1].

وتكشف الروايات العربيّة أساليب الاحتلالين البريطاني واليهوديّ وطرق تهويدهم للمدينة المقدسة بشكل خاص وفلسطين بشكل عام، وكشف الحقيقة يعد من أهم أساليب مواجهة التهويد إذ إن الحقيقة تعطي كل ذي حق حقه وتبعد تهمة التزوير عن التاريخ، ولكن الروايات العربيّة لا تكتفي بكشف الحقيقة بل تذهب أبعد من ذلك بتبني خيار مواجهة التهويد عن طريق وضع أبطالها في قالب المقاومة، فأبو محمود الذي استولت المحكمة البريطانية على أرضه لتعطيها لليهود لم يسكت على ذلك القرار، بل زاد تعلقه بأرضه أكثر، وأخذ يزرعها ويعتني بها ويجلس في ظلال أشجارها، وعندما أتى الجنود الإنجليز لإخراجه من أرضه لم يتوانَ هو وأبناؤه عن إطلاق النار على الجنود وقتلهم ليحافظوا على أرضهم[2]، وكذلك هدى الإمام في رواية (غولدا نامت هنا) التي بقيت مطالبة ببيتها الذي يقع في غربي القدس، واستولت عليه ما تسمّى دائرة أملاك الغائبين وأعطته لعائلة يهوديّة لتسكنه، رغم طردها منه عشرات المرات وسجنها، فالفلسطينيّ في الرواية يبقى مطالباً بأرضه وببيته وبالقدس ولا يتخلى عنها، على الرغم من

([1]) ينظر: العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 56-66

([2]) ينظر: أبو السعود، عزام: حمام العين. ص76-79

سياسات مناهضة المقاومين والرافضين للإجراءات التي انتهجها كلا الاحتلالين البريطانيّ واليهوديّ.

اتبع كل من الاحتلالين سياسة منع التظاهر واعتقال المقاومين، ويظهر ذلك في مواضع عدّة في الروايات العربيّة، فالاحتلال البريطانيّ كان يتصدى لمظاهرات الفلسطينيين المناهضة لسياسته بقوة كبيرة، ويظهر ذلك بطريقة ردهم على المظاهرة التي نظمها الفلسطينيون في بلدة القدس القديمة احتجاجاً على سياسة بريطانيا في تسهيل هجرة اليهود ووعدها لليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين، إذ أخذ الجنود الإنجليز بإطلاق النار على المتظاهرين الفلسطينيين، كما جاء الوصف على لسان السارد في رواية (صبري) " ووجد الجنود الإنجليز والجنرال ستورز أنفسهم يطلقون النار، وشاركهم بعض اليهود بإطلاق النار من بنادقهم ومسدساتهم، وبدأت الاشتباكات بين اليهود والعرب، وبين الجنود الإنجليز"[1]، وهذه ليست الواقعة الوحيدة التي ترد في الروايات العربيّة حينما يطلق الجنود الإنجليز النار على المتظاهرين الفلسطينيين، ففي رواية (حمام العين) ترد واقعة مشابهة يطلق فيها الجنود الإنجليز النار على المتظاهرين الفلسطينيين في مدينة يافا المطالبين بوقف هجرة اليهود والتراجع عن قرار منح فلسطين لهم، " عندما وصلت المظاهرة إلى ساحة السراي في يافا، بدأ الجنود الإنجليز بإطلاق النار على المتظاهرين، وكأنها ساحة معركة، سقط فيها العديد من القتلى والجرحى"[2]، فلا يعترف كلا الاحتلالين بحق الفلسطينيّ بالتظاهر لحماية حقوقه والمطالبة بتحقيق إرادته. وعندما نظم المقدسيون مظاهرة عند مدخل الجامعة العبريّة في القدس للمطالبة بوقف الحرب على قطاع غزة، كان الرد اليهوديّ حازماً كما وصفته عائشة بطلة رواية (مقدسيّة أنا) التي كانت إحدى طالبات الجامعة والمشاركات

([1]) أبو السعود، عزام: صبري. ط1، الدائرة التقافيّة للمسرح الوطني الفلسطيني، القدس، 2008م، ص 73

([2]) أبو السعود، عزام: حمام العين. ص119

في المظاهرة، بقولها: "هجمت علينا شرطة الاحتلال خلال لحظات، وكان بعضهم يوجّهون الضربات إلى الأرجل والبعض الآخر يعتقل من يشاء، مسكينة الصفوف الأوّلى، رأيتهم يأخذون إبراهيم وهو يقاوم... وضعوه بسرعة في سيارة الاعتقال"[1].

وتتفق طرق اعتقال المقاومين بين الاحتلالين البريطاني واليهودي، فكما أنّ قوات الاحتلال اعتقلت إبراهيم في رواية (مقدسيّة أنا)؛ لأنه شارك في تظاهرة تطالب بوقف الحرب على غزة، كذلك فعل جنود الإنجليز حين قبضوا على المقدسيّ عزو الذي كان يشتري سلاحاً بريطانيا من بعض مسؤولي مخازن السلاح البريطانيين، ويهربها للمقاومين الفلسطينيين، إذ " ذهب رجال المخابرات بعزو فوراً إلى سجن القشلة باب الخليل.. المدخل الغربي داخل سور مدينة القدس"[2].

ويتقارب كل من الاحتلال البريطانيّ والاحتلال اليهوديّ في الاعتداء على الأوقاف الإسلاميّة في مدينة القدس، إذ منحت السلطات البريطانية اليهود حق الصلاة عند حائط البراق " فبالرغم من أنّ منطقة حائط البراق هي منطقة إسلاميّة وملكيتها تعود للأوقاف الإسلاميّة، إلا أنّ اليهود منحوا حق الصلاة فرادى أمام حائط البراق الذي يسمونه حائط المبكى"[3]، وهذا الحائط جزء أصيل من المسجد الأقصى، فهو سوره الغربي وحدوده، بينما اعتدت سلطات الاحتلال على الأوقاف الإسلاميّة حينما سمحت للمستوطنين باقتحام المسجد الأقصى والتجوال فيه، كما تخبرنا رواية (باب العمود) عن المستوطن اليهوديّ "يهودا غليك" الذي ينظم اقتحامات شبه يومية للمسجد الأقصى " كان يقتحم المسجد بشكل يوميّ حتى يألف المسلمون هذا المشهد.. يقتحم

([1]) مهنّا، علاء: مقدسيّة أنا. ص 23

([2]) السّمان، ديمة: بنت الأصول. ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص 171

([3]) أبو السعود، عزام: صبري. ص 191

المسجد الأقصى مع عدد كبير من المتطرفين وتحت حراسات أمنيّة مشددة، حتى أنّه ارتفعت وتيرة الاقتحامات وعدد المقتحمين ليصل في شهر واحد إلى 1149 مقتحماً!"[1].

ولا تصور الروايات المقدسيين مكتوفي الأيدي حيال تهويد مقدساتهم من قبل الاحتلالين، ففي زمن الاحتلال البريطاني نظم المقدسيون مؤتمراً إسلاميّاً لمواجهة قرار بريطانيا، مما دفع البريطانيين إلى إزالة الفاصل الخشبي الذي وضعه اليهود عند حائط البراق للفصل بين النساء والرجال في أثناء الصلاة[2]، وفي زمن الاحتلال االيهوديّ قام المقدسي (معتز حجازي) بالتربص للمستوطن "يهودا غليك" واطلق عليه النار محاولا قتله[3]؛ لأنّه اعتدى على المقدسات في القدس.

وظفت الروايات العربيّة أسلوب المقاربة في بيان أمرين: الأوّل تقارب بين الجرائم اليهوديّة والجرائم النازية، وحث المجتمع الدولي على عدم الوقوف مع اليهود بل الوقوف مع الفلسطينيين؛ لأنّ وقوفهم مع اليهود هو دعم وتأييد للإرهاب الذي يدّعون بأنهم يحاربونه، أما وقوفهم مع الفلسطينيين فهو انتصار للحق والعدل، بالإضافة إلى أن اضطهاد اليهود من قبل النازيين ليس مبرراً لإقامة وطن قومي لهم على حسان شعب آخر، فاستخدمت الرواية أسلوب المقاربة لمحاججة الاحتلال والمجتمع الدولي بالمنطق والأدلة التاريخيّة لإثبات عدم أحقية اليهود في القدس وفلسطين، وهذا نوع من مواجهة التهويد المتمثل في تفنيد رواية الاحتلال، باستخدام الأدلّة والبراهين التاريخيّة.

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 201

([2]) ينظر: أبو السعود، عزام: صبري. ص 191

([3]) ينظر: أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 200

أما الأمر الثّاني، فيتمثل بإثبات انحياز بريطانيا لليهود، وأن الاحتلال اليهودي لم يبدأ عام 1948م بل بدأ قبل ذلك بدخول الإنجليز إلى فلسطين، وأن الاحتلال تعلم أساليب تهويد القدس من الاحتلال البريطاني، وعليه فإن مواجهة تهويد القدس لا يكون إلا من خلال مقاومة الاحتلال اليهوديّ كما قاوم الفلسطينيون الاحتلال البريطاني.

الفصل الرّابع: تأثير البناء اللّغوي الروائيّ في مواجهة تهويد القدس

المبحث الأوّل: الفضاء اللّغوي المقاوم

المبحث الثّاني: التصوير الفنيّ في سياق مواجهة التهويد

المبحث الأوّل: الفضاء اللّغوي المقاوم للتهويد

تنسج الروايات العربيّة سردها من كلمات وتراكيب لغوية مقاومة في سياق مواجهة تهويد القدس، ويمكن القول إنّ مواجهة الرواية العربيّة للتهويد هي مقاومة التهويد؛ لأنّ معنى الكلمتين المعجمي متقارب، فالمواجهة تعني:"المقابلة، والمواجهة: استقبالك الرجل بالكلام أو الوجه"[1]، التي تعني في السياق السابق الوقوف في وجه تهويد مدينة القدس والتصدي له، وهو المعنى ذاته الذي تدل عليه كلمة مقاومة وهي مصدر للفعل قاوم الذي يعني: نازل، ففي المعجم " ما زلت أقاوم فلاناً في هذا الأمر أي أنازله "[2]، بمعنى أحاربه وأواجهه لأوقفه عن أفعاله.

ويعد اختيار الروائي مفردات وتراكيب تدل على المقاومة جزءاً لا ينفصل عن اختيار شخصيّات الرواية التي تجسد المقاومة، وفي الوقت نفسه تكشف اللّغة المقاومة عن صفات الشخصيّة انطلاقاً من أنّ اللّغة مرآة تتجلى عليها الأبعاد الفكرية والنفسيّة للشخصيّات الروائيّة. كما أنّ اللّغة والحدث لا ينفصلان؛ لأنّ الحدث الروائيّ جسد من اللّغة، ويكمن الفرق بين الحدث في الحياة والحدث في الرواية أنّ الأوّل ليس لغوياً.

أولاً: لغة الطفل المقاوم

تتعدد أشكال الفضاء اللغوي المقاوم في الروايات العربيّة، ليشمل أبسط المحاولات التي يقوم بها الفلسطينيون لمواجهة الاحتلال، فرسمت الرواية أفعال الأطفال التي لا تشكل في منظورنا ثقلاً كبيراً في ميزان المقاومة، وأخرجتها بصورة عمل مقاوم كبير ومؤثر، والدليل على ذلك قصة طفل مقدسي لم تعطه رواية (باب العامود) اسماً لكي لا تخصص فعله وتحصره

([1]) لسان العرب مادة وجه. ص 557

([2]) لسان العرب مادة قوم. ص 504

بشخصيّة هذا الطفل الذي يشاركه كثير من الأطفال المقدسيين مقاومته. وتتمثل مقاومة هذا الطفل بلغة الحجاج والجدال لأطفال اليهود الذين سخروا منه وأمروه بأن يتوقف عن اللعب، ويرحل من أمام مدخل منزله في بلدة القدس القديمة، بعد أن استولوا على بيت مجاور في الحارة نفسها، بقولهم: "اطلع من حارتنا!"[1]، فكان رده يحمل كثيراً من الوعي والمقاومة، " الدار دار أبونا واجوا الغرب وطحونا!، هي حارتنا، هي مش أرضكم، حتى صاحبكم هرتزل كان بدو يبعثكم على قبرص أو أفريقيا أو أوغندا؛ ولأنّه ما عجبتكم فكرة الدولة السياسيّة اليهوديّة، وما تحمستوا لها فكّر هرتزل إنه يخلي القضية يهوديّة دينيّة، حتى يلمّ يهود العالم، فما لقي غير فلسطين! هاي البلاد بلادنا.. ما لكم ولا شبر يا لمم، أنا أبوي هون وجدي وجد جدي! إنت مين إلك هون؟ أغلبكم من يهود الخزر، ما إلكم صلة بفلسطين ولا ببني إسرائيل، وإذا لازم ترجعوا لمكان فلازم ترجعوا لروسيا!"[2].

تكشف لغة الطفل – باللّهجة الفلسطينيّة – عن وعي تاريخيّ سياسيّ يشكل خطاباً وطنياً شعبياً، فالطفل الفلسطينيّ يمتاز بثقافة وطنية مفعمة بالوعيّ التاريخيّ، الذي يفند ادعاءات الحركة اليهوديّة، فالطفل يعرف اسم مؤسس الحركة اليهوديّة (هرتزل)، ويدرك الخلفيّة التاريخيّة التي سبقت مجيء اليهود إلى فلسطين. و"يتصف الخطاب السياسيّ لدى الطفل الفلسطينيّ بالعفويّة والتلقائيّة، وهو مستمد من مفردات الحياة التي لا تغيب عنها المشاهد السياسيّة، والطفل ليس بحاجة إلى مشاهدة نشرات أخبار في الفضائيات، ولا قراءة الصحف والمنشورات؛

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 48

([2]) المصدر نفسه. ص 48

لأنّ السياسة جزء من كيانه العائليّ والمكانّي، ففي معظم الأسر الفلسطينيّة سيرة شهيد، وقصة أسير، وحكاية بطولة".[1]

يهدف المستوطنون إلى تهجير الفلسطينيين من القدس، ونلمس ذلك في كلام أطفال المستوطنين في النّص السابق (اطلع من حارتنا)، وهذا التركيب اللّغوي يحمل معنيين مهمين يلخصان مرحلتين من مراحل تهويد مدينة القدس أولها: تهجير المقدسيين. أما الثّانية فنسبة الأرض لهم (حارتنا)، فجاء رد الطفل بتركيب لغوي مقاوم ينفي ادعاءهم ويقاوم رغبتهم بتهجير الفلسطينيين، فهو لم يخرج من حارته وبقي متمسكاً بها، ثم أخذ يفند روايتهم، ويبين لهم أنّهم لا ينتمون إلى الأرض، إذ إنّ معظمهم من يهود الخزر، وهم يهود شرق أوروبا ثم نفى صلتهم ببني إسرائيل، إذ إن يهود الخزر ليسوا من نسل إبراهيم ولا يعقوب فهم ليسوا يهوداً أصليين بل اعتنقوا اليهوديّة بعد أن كفروا بديانتهم الأصليّة وهي الديانة الشامانيّة[2]. ونفى الطفل الفلسطينيّ المقدسيّ أن يكون لهم حق في القدس وفق الوعد الرباني– إن كان هناك وعد إلهي حقاً– فوجودهم في القدس سياسيّ، ولا علاقة له بالدين اليهوديّ، وبين أنّ الفلسطيني متجذر في القدس، وأصوله ممتدة في التاريخ بقوله: (أنا أبوي هون وجدي وجد جدي)، وبهذا يكون الطفل واجه تهجير الاحتلال له، وكذّب رواية الصهاينة، وأثبت فلسطينيّة الأرض.

([1]) عتيق، عمر: دراسات سيميائية في الفن التشكيلي. ط1، دار دجلة، عمان، الأردن، 2017م، ص110

([2]) ينظر: دنلوب، د.م: تاريخ يهود الخرز. ط2، ترجمة: زكار، سهيل، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1990م، ص 6–12

ثانياً: لغة الحث والتحريض على الصمود

تؤكد الرواية العربيّة أنّ الصمود في القدس والبقاء فيها من أعظم أنواع مقاومة تهويد المدينة، وفي بعض الأحيان تنتصر الرواية للصمود في القدس على المقاومة بالسلاح، ويدل على ذلك التركيب اللّغوي البارز الذي تضمنه رد بطل رواية (عاشق على أسوار القدس) المحامي سرحان على زوجته المستاءة من سجن الاحتلال لنجلهما حسن، الذي –برأيها– لم يقاوم الاحتلال بالحجارة كباقي الأطفال الذين سجنوا معه، فكان رد سرحان مبيناً لها معنى المقاومة، وسبب اعتقاله: " يا أم حسن.. ابنك قاوم حكومة إسرائيل. قاوم قرارها باعتباره سّائحاً. قاوم قرارها بطردها لنا. أصر على أن يعيش في وطنه. المقاومة ليست فقط إطلاق الرصاص. كثيرون أطلقوا الرصاص على الجيش وعادوا واستسلموا. المقاومة هي الصمود في أرض الوطن والإصرار على البقاء فيه"[1].

يحدد التركيب اللّغوي (المقاومة هي الصمود في أرض الوطن والإصرار على البقاء فيه) معنى المقاومة من وجهة نظر بطل الرواية، فللمقاومة وجوه متعدّدة، منها الصمود في أرض الوطن، ورفض القرارات والإجراءات التي يقوم بها الاحتلال لتفريغ البلاد من أهلها الأصليين. وقدم السارد أمثلة تعزز مفهوم المقاومة – برأيه– وتثبت مشاركة ابنهما حسن بمقاومة الاحتلال على الرغم من أنّ ابنهم لم يقاوم الاحتلال بالحجارة كما كان يفعل أقرانه، فمهد للتعريف بتراكيب لغوية ثلاث تبدأ بالفعل (قاوم)، ليرسم في مخيلة القارئ صوراً لمعنى المقاومة التي سينهي حديثه بتعريفها. ثم يعود الروائيّ ليؤكد فكرة المقاومة بالصمود وحث المقدسيين عليها حينما شجع الصحافي أمين بطل الرواية سرحان على البقاء والصمود بالقدس؛ لأنّ الصمود من أفضل

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 180

أنواع المقاومة، " في قوله: بقاؤنا في أرضنا. صمودنا على الرغم من كل محاولات تغييرها. ما تفعله أنت يا أبا حسن أفضل من كل تلك الصواريخ التي تطلق عليهم. إنّها معركة البقاء"[1] فتفضيل صمود سرحان يدل على أهميّته في معركة البقاء أي الحرب بين الاحتلال والفلسطينيين.

ويعد الصمود واحداً من أهم أسلحة المقاومة عند المقدسيين؛ لأنّ الهجرة تفرغ المكان وتتيح للاحتلال السيطرة على الأرض، ولكن بقاء الفلسطينيين في الأرض يمنع سيطرة الاحتلال عليها، إذ سهلت هجرة الفلسطينيين في عام 1948م، سيطرة الاحتلال على أراضيهم، أما بقاء الفلسطينيين في شرقي القدس والضفة الغربيّة وقطاع غزة فما يزال يمنع الاحتلال من السيطرة عليهم.

يعدّ ثبات الفلسطينيّ ورباطة جأشه عندما يحاول الاحتلال كسره وتشريده، من أعظم طرق المقاومة، فهو حين يكون قوياً يحبط تحقيق أهداف الاحتلال، وهذا النوع من المقاومة نلمسه في حديث والدة عائشة بطلة رواية (مقدسيّة أنا) لابنتها عندما أصدر الاحتلال قراراً بهدم منزلهما بذريعة البناء دون ترخيص، إذ أرادت الأم أن تجمع شتات ابنتها المنهارة لتواجه المحتل وقراره بكل قوة، فأثبتت بكلماتها أنّ الفلسطيني مقاوم، وإن لم يقدر على المواجهة المباشرة مع الاحتلال؛ لأنّ المقاومة من وجهة نظرها تبدأ من القلب، في قولها: "بيتنا في نفوسنا يستطيعون أن يهدموا الجدران، لسنا أفضل من بقية الناس، المقاومة تبدأ من القلب، إيّاك أن تدعي الاحتلال يتغّلب على نفسيتك وعلى حبك للحياة، يجب ألا يتغلبوا علينا أتسمعين؟"[2].

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 192

([2]) مهنّا، علاء: مقدسيّة أنا. ط1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م، ص 278

يدعو النّصّ الفلسطينيّ إلى التمسك بالحياة وعدم الاستسلام لليأس، وعدم ربط حياته بممتلكات مادية فقط، فنلحظ أنّ أم عائشة تحذر ابنتها من الاستسلام النفسيّ للاحتلال، فإذا امتلأ القلب بحب الحياة واليقين بالحقّ والحقيقة فلن يهزم، وسيبقى مقاوماً ولو بإيمانه وحبه للحياة، فحبّ الحياة يتطلب وجوداً على الأرض. وهذا الوجود بحد ذاته مقاومة للاحتلال الذي يرمي إلى إفراغ الأرض من الفلسطينيين، ثم تنهي حديثها بأسلوب الأمر(أتسمعين)؛ لتؤكد على ابنتها أنّها فهمت قصدها، وأنّها ستبقى صامدة ولن تستسلم للاحتلال.

وتحفل الروايات بمواقف الحثّ على الصمود في القدس، وعدم الاستسلام لرغبات العدو، ففي رواية (ضحى) يستذكر الراوي عبد الباقي وصية والده بعد أن استولى المستوطنون على بيتهم في غربي القدس في عام 1948م، عندما قرر زيارة منزلهم؛ لرؤية ما حل به من تغيرات أحدثها فيه المستوطن الذي أسكنته فيه دائرة أملاك الغائبين اليهوديّة، وتجسد لغة الوصيّة حثاً على الصمود ومقاومة التهويد في قول الابن عبد الباقي: " يحضرني التياع أبي، وهو يقول: البيت ليس ديكوراً، أو أثاثاً، أو واجهة. إنّما هو حياة حية، وواقع خصب، وتاريخ، وروح نشطة ومعاشة... ثم تابع: رغم ذلك، فلو رأيت أنّهم عاثوا في البيت خراباً. وشوهوا الديكور ومزقوا السّتّائر. أو نهبوا الأثاث وباعوه في سوق النخاسة... فلا تحزن، يا ولدي... لو رجموا البئر وخلا من الماء وردموا الساقية، حتى جفت... لو هدموا البيت وبعثروا حجارته... فلا تحزن يا ولدي... فلا يزال في العمر مدة وفي الحياة بقيّة. ما زلت قادراً على ترميم ما اندثر... سنة وأبعاضها ونبني بيتاً أجمل ونشتري أثاثاً أحلى. نبعث ما هلك، ونسترد الخسارة ونعود إلى دافئات الأماني"[1]، تهدف وصيّة الأب إلى دفع ابنه إلى الصمود في القدس وعدم التعلق بالماديّات، إذ

([1]) ياسين، حسين: ضحى ثلاث نساء في القدس. ص 177

يستطيع الإنسان تعويض الأشياء الماديّة إذا ما بقيت فيه الروح، فالمقاومة بالصمود تحقق للفلسطينيّ آماله بإعادة وطنه المحتل وتحريره.

وتكرر أسلوب النهي في الوصيّة السابقة: (لا تحزن)، ويهدف هذا التركيب اللّغوي إلى التخفيف من الهموم التي يثقل الاحتلال بها كاهل المقدسيّ، ويرفع معنوياته ويحثه إلى عدم التفكير بهمومه، والتفكير بكيفية تحرير البلاد وإعادة الوطن إلى أهله الأصليين، فالحزن لن يأتي إلا بالحزن، لكن التفكير بمقاومة الاحتلال واسترجاع الوطن هما اللذان سيحققان حلم الفلسطينيّ. وحرصاً على الالتزام بقول الأب أدرجه السارد بصيغة وصيّة، إذ تحمل الوصيّة عند العرب أبعاداً نفسيّة واجتماعيّة تدفع الإنسان إلى الالتزام بها؛ لأنّ الوصية عقد أخلاقي يرتقي إلى الواجب الدينيّ في الخطاب الثقافيّ.

ثالثاً: لغة التثوير الجماهيري

لا يقاس العمل المقاوم بحجمه، وإنما بتأثيره على نفسية فاعله أو على المجتمع، والتركيب اللّغوي الذي يترك أثراً مقاوماً في أبطال الرواية وقرائها يمكن تسميته تركيباً لغوياً مقاوماً، ففي رواية (خلود) يترك الفعل المقاوم البسيط أثراً تثويرياً لافتاً في نفوس أبطالها، إذ إنّ بطل الرواية المقدسيّ يرفع علم فلسطين في الجنازة الرمزيّة للراحل جمال عبد الناصر التي أقيمت في القدس، ورفع العلم في ذلك الموقف أدى إلى تثوير الجماهير المشاركة في تلك الجنازة، كما يتجلى في قول السارد: " أخذت ألتمس طريقي بين الزحام إلى أن وصلت أول الحشد وهناك أخرجت العلم ليعانق سماء القدس ويعيد إليها الحياة التي فقدتها منذ زمن، وعندما شاهد الناس العلم يرفرف

عالياً، علا تكبيرهم وانسكب دمعهم، فامتزج التهليل والتكبير والدعاء، واتسعت حدقات العيون وذابت مشاعر الناس حتى غدت أصواتهم تلامس السماء"[1].

إنّ رفع العلم الفلسطينيّ في القدس قد يبدوا بسيطاً أمام أشكال المقاومة الأخرى، ولكن في ذلك الوقت أي بعد احتلال اليهود لشق القدس الشرقيّ والضفة الغربيّة وقطاع غزة، كان رفع العلم الفلسطينيّ تحدياً كبيراً للفلسطينيين، إذ حظر الاحتلال رفع العلم الفلسطينيّ وأعلن عن عقوبة للمخالف[2]، فأدى الحظر إلى غياب العلم الفلسطينيّ عن الساحة النضاليّة في القدس ولم يعد يرى في الشوارع، فشكّل رفع العلم تحدياً للاحتلال ومقاومة لقراراته. وكان يعلم البطل في الرواية أنّ رفع العلم سيعيد الحياة للقدس التي يحاول الاحتلال سلب عروبتها وفلسطينيتها، وأعاد رفع العلم الحياة للقدس ولسكّانها الذين زادوا حماساً وتأثراً بالمشهد حينما ارتفع صوتهم بالهتاف حتى وصل السماء.

أفضى رفع العلم الفلسطينيّ إلى تثوير الجماهير، وتوحيد صفوفهم، وشحذ عزيمتهم، ويحيل مشهد رفع العلم إلى مشهد آخر في رواية (مقدسيّة أنا) حينما احتشد طلاب الجامعة العبريّة العرب أمام مدخل الجامعة، محتجين على الجرائم التي يرتكبها الاحتلال في غزة، وهذا الاحتجاج يعد نوعاً من أنواع المقاومة، فهرعت سلطات الاحتلال لفض الحشد الطلابي، فضربت المتظاهرين واعتقلتهم، ومن بينهم بطلة الرواية عائشة التي جسد كلامها التلاحم الشعبي بين الطلاب، وصورت الرواية المشهد التثويريّ في قولها: " قال لي شاب يجلس جنبي تعالي نشبك أيدينا فنقاوم معاً، وكذا فعل الجميع فأمسينا كتلة واحدة من عشرات الطلاب. هجمت علينا

([1]) الجندي، سمير: خلود. ط3، الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2014م، ص 74-75

([2])العقرباوي، حمزة: علم فلسطين حكاية عن الثورة والحريّة. ألترا فلسطين، https://ultrapal.ultrasawt.com/%D8%B9%D9%84%D9%85-

الشرطة خلال لحظات، كان بعضهم يوجّهون الضربات إلى الأرجل والبعض الآخر يعتقل من يشاء"[1].

تدلّ جملة (تعالي نشبك أيدينا فنقاوم معاً) على مقاومة جماعيّة، وتوحي باتحاد أطياف المجتمع كافة. ولا يعرف المشتركون في المظاهرة بعضهم بعضاً، كما يُفهم من قول عائشة (قال لي شاب يجلس جنبي) فهي لا تعرف هذا الشاب، لكن قضيّة الوطن هي التي تجمعهم، فالفضاء اللّغوي في مشهد الاحتشاد والمواجهة يجسد المقاومة بالوحدة الوطنيّة.

رابعاً: لغة المواجهة والاشتباك

يركز الفضاء اللّغوي المقاوم في الروايات العربيّة على وصف المواجهة والاشتباك مع جنود الاحتلال، ويظهر في الأحداث التي أعقبت استشهاد المقدسيّ عبد الجبار في سجون الاحتلال الذي اعتقل بتهمة تهريب السلاح للمقاومة، فخرجت مظاهرات منددة بجريمة الاحتلال لتنتقم للشهيد حينما " انطلقت المظاهرات.. وامتدت على مدى أيام.. لاقى فيها الاحتلال من جبروت وإصرار آل عبد الجبار ما لم يكن لهم في الحسبان. ركع الجندي على ركبته وقد آلمه الحجر.. صاح.. حتى أنت أيها العجور؟ وأطلق النار"[2]، يدل المشهد الروائي السابق على أن كبار السن شاركوا في المظاهرات ضد الاحتلال جنباً إلى جنب مع الشباب والنساء، فجملة (حتى أنت أيها العجوز) تظهر أنّ الاحتلال لم يتوقع أن تكون المقاومة من كبار السن، وهذا ما شكل عنصر المفاجأة للاحتلال.

([1]) مهنّا، علاء: مقدسيّة أنا. ص 22-23

([2]) السّمان، ديمة: برج اللقلق. ص 385

يحمل التركيب اللّغوي (حتى أنت أيها العجوز) دلالتين مهمتين: أولهما تحريض الكاتب فئات المجتمع كلها على مقاومة الاحتلال، وثانيهما عدم الاستخفاف بدور العجوز الذي كسر أفق التوقع لدى المتلقي حينما تغلب على أحد جنود الاحتلال بإسقاطه أرضاً، فالقدرة على مواجهة الاحتلال لا تقتصر على فئة الشباب الذين يتمتعون بالقدرة الجسميّة وحسب، فالكاتب يؤكد أنّ لكل فرد من أفراد المجتمع أهميته في المقاومة والتحرير.

وتحرض الرواية من خلال تراكيبها اللّغوية على المواجهة والاشتباك مع العدو كما في رواية (برج اللقلق) التي وصفت المعركة التي حدثت بين العصابات اليهوديّة والمقدسيين عام 1948م، حينما حاول اليهود من خلالها استعادة سيطرتهم على حارة الشرف والمغاربة، فأعد لهم المقدسيون العدة وجهزوا أسلحتهم الناريّة والبيضاء والألغام، وعندما تقدمت العصابات الصهيونية من بلدة القدس القديمة اشتبك معهم المقدسيون وواجهوهم بكل ما أوتوا من قوة حتى انتصروا بعدما فجّروا سيارة مفخخة في صفوف العدو[1]، ويظهر تشجيع الرواية على المواجهة والاشتباك مع العدو في التركيب اللّغوي في قول السارد " بينما حملت شدة الانفجار لحم قتلاهم فوق سور القدس هدية إلى المجاهدين تطمئنهم أن عدوهم أصبح أشلاء"[2].

خامساً: لغة رفض تهويد التعليم

يتجلى التركيب اللّغوي المقاوم لتهويد التعليم في رفض المحامي المقدسيّ سرحان وزوجته تعليم أبنائهما في المدارس التابعة لسلطة الاحتلال؛ لأنّ تلك المدارس تهدف إلى تهويد الطلاب عن طريق تحريف المناهج الدراسية، وإضعاف محتوى الكتب المدرسية وتغريب الطلاب عن

([1]) ينظر: السّمان، ديمة: برج اللقلق. ص 268–269

([2]) المصدر نفسه. ص 269

تاريخم وعقيدتهم، إذ إن " التعليم فيها ضعيف جداُ حسب قول الأهالي، يجبرون الطلاب على تعلم العبريّة، ولا يُدرّسون مادة التاريخ العربيّ والإسلاميّ، كما أنّ مادة الدين الإسلاميّ تُدرّس انتقائياً بما يخدم السياسيّة الإسرائيليَّة"[1].

يصف النّصّ السابق المناهج التعليميّة التي تُدرّس في المدارس العربيّة التابعة للاحتلال، التي تهدف إلى نقل الفكر التربوي اليهوديّ المعتمد في المدارس اليهوديّة إلى المناهج التعليمية في المدارس العربيّة في القدس. و" تتماهى أهداف الحركة الصهيونيّة مع أهداف المدارس الدينيَة المتطرفة، وتسعيان معاً إلى تسخير المناهج التعليميّة لتحقيق الخطاب اليهوديّ والتوراتيّ. ويعتمد الكيان اليهوديّ في فلسفته التربوية على أسانيد وأحكام موروثة من التلمود التي تتناول شؤون الحياة المختلفة.[2] "وفي كتاب " تاريخ الشعب اليهوديّ" يقول مؤلفاه "أحياه وهاربز": عرف اليهود أنّهم سيهاجرون إلى أرض فارغة وقاحلة، وأنّ السلطات تضايق اليهود وتضيق خطواتهم، وأنهم محاطون بشعب وحشيّ يعيش على النشل واللّصوصية".[3] وأسهم مدرسو الجغرافيا في المدارس اليهوديّة في أسطرة مقولة " أرض الميعاد "، وأنّ فلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا أرض. وكان هؤلاء المعلمون منتجي "واقعية الحقائق، لا مقدميها وحسب، وكانوا عنصراً فعالاً في إنتاج الموضوع الإسرائيليّ والنظام الإسرائيليّ"[4]، يشكل ما تقدم جانباً من

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 44

([2]) الخبتي، علي صالح: صورة العرب والمسلمين في مدارس اسرائيل: تحليل المناهج الدراسية في التعليم العام. ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2009م، ص 167

([3]) إسبانيولي، هالة: الايديولوجيا اليهوديّة وانعكاسها في كتب التدريس العبريّة، العدد 3، يوليو 2001م، ص 91، وينظر: عتيق، عمر: نوافذ ثقافيّة. ص155

([4]) ينظر: زئيف غور،ايلان: المدرسون وبناء الأمة في إسرائيل. مجلة قضايا إسرائيلية، العدد 19، سبتمبر 2005م، ص87

الفكر التربويّ اليهوديّ الذي تحرص المؤسسات التابعة للاحتلال على تسريبه للمدارس العربيّة في القدس.

يشكل وصف الكتب المدرسيّة تأسيسًا للفضاء اللّغوي المقاوم، وتعليلاً لرفض المقدسيين إرسال أبنائهم إلى تلك المدارس كما يبدو في قول السارد: " سرحان وإلهام لا يريدان تسجيل أبنائهما في مدارس تابعة لإسرائيل"[1] يمثل موقف سرحان وإلهام رفضاً لمخرجات التعليم في المدارس التابعة للاحتلال التي تحرص على تغريب الطالب المقدسيّ عن تاريخه العربيّ، وتسعى إلى إقصاء الخطاب العقائديّ الإسلاميّ، وتفرض نصوصاً تعليميّة تؤدي إلى طمس الهويّة الوطنيّة. ويفضي موقف الزوجين إلى رفض سياسة التطبيع التي تهدف إليها سياسة التعليم في المدارس التي تتبع لإدارة سلطة الاحتلال.

ويعدّ فرض تعلم اللّغة العبريّة في مدارس القدس من أبرز أشكال تهويد التعليم، ولهذا نرى حوريّة بطلة رواية (حرام نسبي) تعلن عن سبب عدم نجاحها هي وزميلاتها في المدرسة بتعلم اللّغة العبريّة، بقولها: " وعلى الرغم من حصص اللّغة العبريّة في مدارسنا، إلّا أنّه لم تنجح ولا واحدة من بنات صفّي في اكتساب اللّغة أو حتّى التعامل معها بالحد الأدنى. ربّما لأنّها لغة المحتل، أو لأنّ ذاكرتها تقتصر على الجيش والاقتحام والقتل؛ فلا نطرب لها ولا ترسم أي ذكرى جميلة في مخيّلتنا فيرفضها اللسان والعقل"[2].

تدل عبارة: (فيرفضها اللسان والعقل) على عدم تقبل الطالب الفلسطينيّ تعلم اللّغة العبريّة، بسبب الأبعاد النفسيّة التي تختزلها اللّغة العبريّة، فهي لغة الاحتلال، ولغة الجنود الذين يطلقون

([1]) سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ص 45

([2]) الحسيني، عارف: حرام نسبي. ص 96

الرصاص، ولغة ترتبط بمشاهد القتل والدمار التي يرتكبها الاحتلال، فرسخت هذه المشاهد مشاعر الكره والرفض للغة الاحتلال، فالطلاب المقدسيون لا يريدون سماع لغة الاحتلال، ولا تعلّمها.

سادساً: لغة الحوار الهادئ

تتجلى لغة المقاومة في الحوار بين هدى الإمام والمستوطن في رواية (غولدا نامت هنا) حينما قامت هدى برفقة صديقاتها بجولة لتشاهد منازل المقدسيين التي استولى عليها الاحتلال في حي الطالبية غربي القدس. وحينما قابلن مستوطناً يقف على شرفة أحد البيوت المستولى عليها، يستمتع بشمس الخريف الدافئة، فاجأته سعاد بسؤال استنكاري: " هل هذا بيتك؟"[1] ويرمي السؤال الاستنكاري إلى نفي ملكية المستوطن للبيت، وأرادت سعاد من السؤال اختبار المستوطن أخلاقياً وسياسيّاً فأجاب عن السؤال بقوله:" نعم... والحيرة بادية على ملامحه"[2]، وتابعت سعاد أسئلتها التي ترمي من خلالها سحب اعتراف من المستوطن بأنّ البيت الذي استولى عليه هو بيت فلسطيني: " أليس هذا بيت عادل جابر؟ "[3] فرد عليها بهدوء: "لا أعلم"[4]، فتعجبت من جوابه بقولها "لا تعلم!"، وبسبب تعجبها الذي رافقته علامات غضب في نبرة صوتها اضطر المستوطن للاعتراف أنّ البيت ملك لفلسطينيين كانوا يعيشون فيه قبل

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 112

([2]) المصدر نفسه. ص 112

([3]) المصدر نفسه. ص 112

([4]) المصدر نفسه. ص 112

تهجيرهم بقوله: " حضر أشخاص قبل بضع سنوات، وأرادوا رؤية البيت الذي كانوا يعيشون فيه قبل حرب الاستقلال. وأدخلتهم فقاموا بالتقاط بعض الصور، ثم غادروا"[1].

برز أسلوبان لغويان في الحوار السابق بين هدى والمستوطن، وهما أسلوب التعجّب والاستفهام، فالأخير شكك في رواية المستوطن وجعله ينفي بطريقة غير مباشرة ملكيته للبيت، إذ كان في بداية حواره مع هدى متأكداً من ملكيته للبيت، ولكن عندما سألته (أليس هذا منزل عادل جابر)، لم يستطع أن يؤكد أنّه مالك البيت واكتفى بقوله (لا أعلم)، فلو كان واثقاً بأن البيت ملكه لقال: لا إنه بيتي، وبعد تعجبها بقولها (لا تعلم!)، تعقيباً على جوابه، اعترف أنّ أصحاب البيت الأصليين الذين كانوا يسكنوه قبل تهجيرهم عام 1948م جاءوا لزيارة منزلهم، وهذا اعتراف من مستوطن يهوديّ جاء إلى هذه البلاد رافعاً شعار (أرض بلا شعب).

ويأتي الاعتراف اليهودي ضمنياً بملكية الفلسطينيّ للمكان، كما في (رواية ضحى) حينما زار عبد الباقي منزله الذي استولى عليه مستوطن في غربي القدس، وعندما دق الباب وفتحه المستوطن العجوز، سائلاً: "هل أخطأت العنوان الصحيح؟ لم يتلق مني جواباً. فأضاف. ألك حاجة عندي؟... قلت: أبحث في بيتي عما انقطع مني. شدني الحنين إلى أصولي... وما لي حاجة فيك"[2]، فرد عليه المستوطن: " أنت!!!! أنت إذن،،، منهم!!!! لا بأس..... ادخل"[3].

يحمل النّصّ تراكيب لغوية عدّة تشير إلى مقاومة الفلسطينيّ للمزاعم اليهوديّة، فيدل رد عبد الباقي على سؤال المستوطن (هل أخطأت العنوان الصحيح) أنّ المستوطن ينكر حق للفلسطينيّ في هذا المكان، وأنّه لا ينتمي له، ويدل قول عبد الباقي: (أبحث في بيتي عما انقطع

([1]) العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ص 113

([2]) ياسين، حسين: ضحى. ص 168

([3]) المصدر نفسه. ص 168

مني) على أنّ وجود الفلسطيني في ذلك البيت يسبق الوجود الطارئ للمستوطن، وينتهي الحوار بين عبد الباقي والمستوطن باعتراف الأخير بحق الفلسطينيّ بملكية البيت بقوله: (اه أنت إذن منهم! لا بأس ادخل) .

المبحث الثّاني: التصوير الفنيّ في سياق مواجهة تهويد القدس

يساعد التصوير الفنيّ كاتب الرواية على إيصال فكرته إلى ذهن القارئ ومشاعره ويحقق تأثيراً وإثارة أكثر من الأسلوب المباشر في الطرح، فالتصوير الفني مرتبط بالتصوّر وهو "مرور الفكر بالصورة الطبيعية التي سبق أنّ شاهدها الإنسان وانفعل بها ثم اختزنها في مخيلته"[(1)]، فعندما يرى أو يشاهد الإنسان شيئاً أو حدثا ما فإنه يُخَزَنُ في ذاكرته بصورة مرتبطة بمشاعر تملكته عندما تعرض للحدث، وكلما استحضر ذلك الحدث أو الشيء في مخيلته تستفز على الفور الصورة التي تخزنت معه، فتظهر مصحوبة بالمشاعر التي صاحبتها في لحظة تخزينها، وهو قريب ممّا تحدثه الصورة الفنيّة من استنفار للصور الداخليّة في مخيلة الإنسان عند قراءتها، فيربط الكاتب أحداث روايته بصور مخزّنة في ذاكرة الإنسان، فيرتبط معها ارتباطاً شعورياً.

وتختلف الصورة الفنيّة عن اللّغة المباشرة في أنّها تحمل " دلالات تعجز اللّغة العادية عن حملها، وتملك طاقة سحريّة تؤثر في ذهن المتلقي ووجدانه، وتمنح المعنى قدرة على البقاء لدى المتلقي"[(2)]، " ومن الجليّ أنّ الرواية التي تخلو من لوحات فنيّة، أو وصفيّة لا تحظى بالقبول الدائم؛ لأنّها تستحيل إلى أداة تسلية وترفيه، بينما يستدعي التصوير المكانيّ بالضرورة

([1]) الخالدي، صالح: نظريّة التصوير الفني عند سيد قطب. الفنون المطبعية، الجزائر، 1988م، ص74

([2]) عتيق، عمر: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة. ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م، ص 156

إمتاع القارئ عن طريق تذوقه لبلاغة النّصّ"[1]. وخاصة عندما تستثير الصور الفنيّة مخيلته ووجدانه لتحليلها والكشف عن معانيها ومقاصد الكاتب من توظيفها في النّصّ، إذ " لم يعد المتلقي مستهلكاً للنّصّ، بل أصبح مشاركاً للمبدع في إنتاج النّصّ، فالصورة التي يشكلها المبدع تقتضي متلقياً يتجاوز حدود الدلالة الأوّليّة التي تطفو على سطح الصورة الفنيّة، فالمبدع حينما يشكل الصورة فإنّه يقدم للمتلقي إطاراً دلالياً وفضاء تحليلياً، وعلى المتلقي أنّ يملأ الإطار الدلاليّ إلى حد الإشباع وأن يحلق في الفضاء الخيالي إلى أبعد حد"[2] .

وتعلي الصورة الفنيّة من جماليّة النّصّ؛ لأنّها تثير خيال المتلقي إذ " تزيل الحواجز بين الماديّ والمعنويّ، فيصبح المستحيل ممكنًا، والبعيد قريباً، والجماد حياً"[3]، مما يضفي حياة جديدة غير مألوفة للنّصّ، وتؤدي هذه الإثارة النّصيّة إلى استنهاض مخيلة المتلقي والالتصاق بها.

ويبعد استخدام الصور الفنيّة الكاتب عن المباشرة في طرحه، فيزيد سرد روايته جمالاً، ويعطيها أبعاداً أخرى تزيد من قيمتها الدلاليّة. وأدرك الأدباء العرب أهميّة التصوير الفنيّ فوظفوه في مواجهة التهويد، ويتطرق هذا المبحث إلى ثلاثة عناوين وظّفت فيها الروايات العربيّة التصوير الفنيّ في مواجهة تهويد القدس، وهي: التحريض على المقاومة والالتفاف حولها، والدعوة إلى الثبات في الوطن، والتأكيد على عروبة القدس.

([1]) قاسم، نادر: القدس في روايات جبرا إبراهيم جبرا. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانيّة. م 10، عدد 2، 2008م، ص132

([2]) عتيق، عمر: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة. ص 155-156

([3]) المرجع نفسه. ص 154

التحريض على المقاومة والالتفاف حولها

شجّعت الروايات العربيّة مقاومة الاحتلال بأشكالها كافة وخاصة المقاومة المسلّحة، ويظهر ذلك بتمجيد بطولة المقاومين، والثناء على مواقفهم، والتغني بمبادئهم، وأكدت أنّ المقاومة هي الطريق الأقصر لتحرير القدس. ولترسيخ ذلك في وجدان القراء ضمّنت سردها الروائيّ تصويراً فنياً داعماً للمقاومة.

وكانت دعوة الروايات العربيّة للحث على المقاومة، منطلقة من أحقيّة الشعب الفلسطينيّ بأنّ يعيش في بلده مُحَرَّراً خالياً من الاحتلال، فارتكز بناء التصوير الفنيّ في الرواية على تحديد بوصلة المقاومة، إذ دعت الروايات العربيّة إلى المقاومة المسلحة من خلال توظيف التصوير الفنيّ؛ لبيان أهميّة المقاومة واعتزاز المقاوم بأفعاله المناهضة للاحتلال، ففي رواية (باب العمود) تخاطب بطلة الرواية بهية حبيبها ماهر الذي ألقت قوات الاحتلال القبض عليه بعد تنفيذه عمليّة دعس وطعن لمستوطنين في القدس، " أسمع وقع أنفاسك.. تكاد تقول لي إنها أجمل دقيقة في عمرك.. وقد تصبح الدقيقة عمراً بأكمله.. وقد يصبح العمر كهشيم المحتضر إلا دقيقة!"[1] فيعلي التصوير الفنيّ في النّصّ من الوقت الذي يقضيه المقاوم في تنفيذ عمليّته، ففي حالة ماهر لم يستغرق دعس المستوطنين أكثر من دقيقة لكن هذه الدقيقة بالنسبة له كانت أسعد لحظة في حياته، ولهذا فإنه يختصر عمره كله فيها، فنرى الرواية تُشبّه قوة أنفاس حبيبها بوقع الأقدام التي تدب على الأرض، ويدل هذا التشبيه على سرعة ماهر في تنفيذ العملية، إذ إنّ أنفاسه تعالت تماشياً مع سرعته الفائقة في التنفيذ، وهو ما يتطلبه تحرير القدس ومواجهة التهويد، إذ إنّ المماطلة تمنح الاحتلال فرصاً أكثر للتمادي في سرقة المزيد من

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 106

الأراضي، وتُشبّه عمر ماهر قبل تنفيذه عملية الدعس بالهشيم المحتضر أي كالنبات الناشف الذي لا حياة فيه، بينما حصرت العمر في دقيقة المقاومة إعلاء لقيمة المقاومة وإبرازاً لضرورتها في مشروع تحرير البلاد.

تورد رواية (ميرال) تصويراً فنياً يوضح علاقة الأطفال الفلسطينيين بالمقاومة، وذلك برسالة كتبها الفتى خلدون الذي يعيش في مخيم قلنديا للّاجئين شمال القدس لبطلة الرواية ميرال، " الحياة في مخيّم اللّاجئين ليست طبيعيّة، كما تعلمين. هنا نكبر ونحن نقذف الحجارة"[1]، فالتصوير الفنيّ في قوله نكبر ونحن نقذف الحجارة، يستدعي بطولة أطفال المخيم الذين امتشقوا الحجر سلاحاً بدلاً من ألعاب الطفولة، فطفل المخيم الذي حرمه الاحتلال من بيته ومدينته يتربى بطلاً يتطلع إلى تحرير وطنه والعودة إلى مدينته أو قريته، فيتنازل عن طفولته التي حرم منها بسبب احتلال بلاده، ويبدأ بمقاومة الاحتلال منذ صغره ويستمر في ذلك إلى أن يحرر بلاده، وكأن المقاومة تنتقل معهم بالجينات، حتى إنّهم لا يموتون كما يقول ماهر لحبيبته بهية بطلة رواية (باب العمود) حين تحدث عن أبناء القدس المقاومين مادحاً: " أبناء القدس لا يموتون يا بهية!... لكنهم يزهرون من جديد، فما غُرس بالدم يزهر كل حين"[2]، وظّف ماهر أسطورة طائر الفينيق المقدس الذي " يعيد إنتاج نفسه بنفسه"[3]، للدلالة على تجدد المقاومة، فالمقاومين كلما ذبلوا أعادوا إنتاج أنفسهم وأزهروا من جديد، وذلك لأنّهم غُرسوا بالدم، فأعاد تشبيههم هنا بالنبات وشبه الدم بالأرض، فالمقاوم من وجهة نظر ماهر إنسان خارق لا يخاف على حياته، بل يواجه عدوه بكل جرأة وقوة، فهمّه ليس الحفاظ على حياته، بل يتمثل همّه الوحيد بتحرير

([1]) جبريل، رلى: ميرال. ص 229

([2]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 199

([3]) فولر، ادموند: موسوعة الأساطير (الميثلوجيا اليونانية – الرومانيّة – الإسكندنافية). ط1، ترجمة حنّا عبود، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، 1997م، ص 178

وطنه والحفاظ على أهل بلاده من بطش المحتلين، وعدم خوف المقاوم على حياته نابع من إيمانه بأنّ موته لا يُنهي مسيرته النضاليّة إذ يستكملها مناضل آخر، فدفن الشهيد في الأرض التي روى ترابها بدمائه يسفر عن إنجاب مقاومين جدد يثأرون لشهيدهم ووطنهم.

وتمنح المقاومة المسلحة المقاومين الصفات العليا، والأخلاق المثلى التي يصعب على المرء اكتسابها إلا إذا ما حمل سلاحه وواجه عدوه، ولم يتركه يرتع في بلاده، ووظفت رواية (باب العمود) تصويراً فنياً حمل هذا المعنى في قول بهية مخاطبة حبيبها ماهر المسجون في معتقلات الاحتلال " ستعود يا ماهر؛ لأنّ هناك من يحمل سكيناً تمنحه الكرامة والرجولة وتضيء له الطريق"[1]، فشبهت الرواية السكينة التي يحملها المقاوم ليدافع فيها عن القدس وأهلها بالإنسان الذي يتوج الرابحين بتاج الكرامة وتاج الرجولة، فالسكينة –وعلى الرغم من بساطتها وضعفها مقارنة بما يحمله المحتلون من أسلحة– ترفع من شأن حامليها؛ لأنّها تثبت للاحتلال ثبات الفلسطينيين بأرضهم، وعدم رضاهم عن التنازل عن أرضهم، كما شبهتها الرواية بالقنديل الذي يضيء الطريق للمقاومين، فالسكين هنا كناية عن المقاومة، والمقاومة هي كالقنديل الذي يضيء للفلسطينيّ طريق تحرير بلاده والعودة إليها.

وتدعو الرواية الفلسطينيين إلى الصبر وتحمّل أذى الاحتلال وظلمه ومجازره، فهي ترى أنَ المقاومة والصبر يؤديان إلى تحرير البلاد، ويتجلى ذلك في التصوير الفني الذي وظفته رواية (باب العمود) لإيصال هذه الفكرة عندما تساءلت بهية " لماذا عليّ أنّ أحتمل اغتسال الورد بالدم يوماً بعد يوم؟ لماذا علي أن ألتحف الصبر...؟ لكنني أجيب نفسي.. وأقول: هذا ما يقصر الطريق ويعين على الاحتمال. هذا ما يجعلني أنتظر وأنا على يقين بأنّ الأسرى سيخرجون"[2]،

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 209

([2]) المصدر نفسه. ص 209

فشبهت الرواية الشهداء الذين يموتون على يد الاحتلال بالورود دلالة على رقتهم وجمال صنيعهم، فهم من يزينون الوطن بأفعالهم كما يزين الورد الحديقة، وتعبير (اغتسال الورد بالدم) كناية عن كثرة الدماء التي تسيل من الشهداء، فالاحتلال لا يكتفي بإطلاق رصاصة واحدة على الفلسطينيين بل يمطرهم بالرصاص مما يؤدي إلى تدفق دمائهم من أجسادهم فتغطي جلودهم وكأنهم اغتسلوا بها، والاغتسال بالدماء يحمل دلالة على نقاء دم الشهداء وطهره؛ لأنّ الإنسان لا يغتسل إلا بماء نقيّ. وفي هذه الحالة يغسل الشهيد بدنه بدمائه؛ لأنّها أنقى من الماء وأطهر.

وتشبّه الرواية الصبر بالغطاء الذي يلتحف به الإنسان ليحميه من البرد بقول بهية: (لماذا عليّ أن ألتحف الصبر) فإن الصبر هو الدرع الواقع للفلسطيني يساعده على تحمل الضربات التي يوجهها له الاحتلال، فالصبر والمقاومة هما المنقذ للفلسطينيين. ونستنتج هذا المعنى من قول بهية (هذا ما يقصر الطريق ويعين على الاحتمال).

وتدعو الرواية العربيّة من خلال التصوير الفنيّ إلى الالتفاف حول المقاومة، ونلمس ذلك في رواية (باب العمود) تصف فيها بطلة الرواية بهية شعور حبيبها ماهر حين تصله رسائلها وهو معتقل في سجون الاحتلال، فتقول: " تهبُّ تلك الرسائل فتلقح الحب وتطفئ الشّوق وتسدّ مسامات القهر والوحدة والعزلة.. فلا يأتي الفجر إلا وقد بزغ معه فجر الرّوح"[1]، فالرسائل في النّص تصف وقوف بهية إلى جانب حبيبها المقاوم وتشجيعه على الصبر في سجن المحتل وظلمه، فهي ترى فيه أمل الوطن ومستقبله، وتشبه التضامن مع المقاومين النسائم العليلة التي تداعب النباتات وتلقحها وتبعث فيها الحياة من جديد، فالتضامن مع المقاومين يبعد عنهم اليأس والحزن، ويثبتهم في معركتهم مع المحتل، إذ يعمد المحتل على عزل المقاومين عن بيئتهم

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 10

الحاضنة، لكن الالتفاف حول المقاومة المتمثل بالرسائل للمقاومين يهدئ من نفسيتهم ويشعرهم بالطمأنينة ونستنتج ذلك من خلال تشبيه الرواية للشوق بالنار ذات اللّهيب التي تأكل القلب، وتشبيهه للرسائل بماء أو شيء يطفئ هذه النار فيعود القلب إلى حالة السعادة والراحة؛ لأنّ للالتفات حول المقاومة تأثيراً نفسياً على المقاوم يشعره بأهميته وفاعلية دوره وحب الناس له فتهدأ نفسه ويرتاح.

وتدعو الروايات من خلال تصويرها الفنيّ إلى احتقار المتعاونين مع الاحتلال الذين يعيقون عمل المقاومة، ونرى ذلك في رواية (برج اللقلق) عندما نظر الجاسوس ليث إلى أمه بعد أنّ أخبرها بأنّه يبيع بيوت المقدسيين إلى اليهود فرأى " تعابير احتقار تقطر من تجاعيد وجهها"[1]، فشبهت الرواية تعابير الاحتقار بالعرق الذي يقطر من وجه الإنسان عندما يقوم بجهد عظيم، كما أنّ سماع الإنسان أنّ نجله متعاون مع الاحتلال ليس بالأمر الهين إذ يحتاج إلى جهد نفسيّ عظيم لكي يتحمل ذلك، وتقاطر العرق من وجه الإنسان يدل على كثرته، وبسبب احتقار والدة ليث لابنها فاضت هذه المشاعر وتكاثفت على وجهها.

ثانياّ: الدعوة إلى الثبات في الوطن

وظفت الروايات الفلسطينيّة التصوير الفنيّ في الدعوة إلى الثبات في أرض الوطن، وذلك من خلال طريقتين: الأوّلى أنّ الفلسطينيّ يتحمل الصعاب كافة من أجل البقاء في وطنه، ويعشق مقدساته ويتمسك بها، أمّا الطريقة الثّانيّة فهي الضنك الذي يعيشه الفلسطينيّ متحسراً على وطنه الذي هاجر منه، وتأثير شوقه إلى بلده على حالته النفسيّة.

([1]) السّمان، ديمة: برج اللقلق. ص 408–409

وتتجلى الطريقة الأوّلى في رواية (باب العمود) حينما اختارت بطلة الرواية بهية أن تبقى في القدس وتتزوج مقاوماً، على الرغم من علمها المسبق بصعوبة العيش في القدس وخاصة إذا كانت متزوجة من مناضل فتقول: " واعترفت في هذه اللحظة بأنّ الثمن قد يكون الوحدة والألم.. لكن ذلك لن يثني صقراً يحمل روحاً وثّابة عن التحليق عالياً ليصنع حريته.. حتى لو كان الثمن نتف الريش!"[1].

يحمل التصوير الفنيّ في النّصّ معان عدّة، أولها شبهت نفسها بالصقر المعروف بحدة وقوة بصره وتحديده الدقيق لهدفه والمتمثل هنا بالثبات في الأرض ومقاومة الاحتلال، والمعنى الثّاني متمثل في تصويرها لنفسها وهي ثابتة في القدس على الرغم من إجراءات الاحتلال القمعيّة المشابهة لنتف ريش الطيور، فالتصوير هنا يدل على أنّ المقدسيّ ثابت في أرضه رغم التحديات والصعاب التي يضعها الاحتلال في سبيل تهجيره من القدس.

وتحبب الروايات المقدسيين من خلال أسلوب التصوير الفنيّ بالسكن بجوار المسجد الأقصى أي في البلدة القديمة المعرضة للتهويد، كما ورد في رواية (باب العمود) التي تقول فيها بهية التي سكنت في غرفة قديمة قريبة من المسجد الأقصى " في هذه الغرفة لن أمشي على الأعراف.. سأدخل جنة الأقصى بلا سؤال ولا سابق حساب"[2]، تحفل الصورة الفنيّة في النّصّ بظلال دينيّة تنسجم مع الحدث الروائيّ إذ تشبه بهية غرفتها المطلة على المسجد الأقصى بالأعراف المطلة على الجنّة، فهي تقول إنّ غرفتها هي الفاصل بين الجنّة وهي المسجد الأقصى والنار وهي الحياة تحت حكم الاحتلال، ووصفت المسجد الأقصى بالجنّة، التي تمنح من يسكن بجوارها حريّة دخولها دون سؤال ولا حساب، والجنّة هي أسمى ما يطمح إليه كل مؤمن، فتصور الحياة في

([1]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 19

([2]) المصدر نفسه. ص 28

القدس بالجائزة الكبرى التي ينولها ويفرح بها كل من يثبت في القدس، فالغياب عن الوطن قد يحول حياة المرء إلى جحيم تحرق قلبه وهو ما تبينه الطريقة الثّانية للتصوير الفنيّ الداعي إلى الثبات في الوطن.

وتجمع بهية في النّصّ السابق بين المسجد الأقصى الموجود على الأرض مع الجنّة الموجودة في السماء، وهي بهذا تؤكد أنّ القدس هي بوابة السماء، وتبين " أنّ المكانين السماء والقدس توأمان، ورثهما السارد عن تراثه، التراث هو قوة (الأنا) في الدفاع عن نفسها في وجه المغتصب، وفي وجه التفكيك والتقويض الذي ما فتئ يحاول هدمها، ومن هنا يمكننا القول إنّ الأمكنة الدينيّة المتخيّلة والواقعيّة هي أمكنة حنينيّة مألوفة للواصف أو السارد يرقد في أحضانها كلما واجهته عقبة كأداء، فهذه الأمكنة توازي البيت الدافئ أو العش الناعم، واختلاف أمرها في أنّها ملك للجماعة الأم، وليست ملكاً لذات وحدها، وتتميز عن الأمكنة الضيقة كالبيت في أنّ كلاً من الفرد والجماعة يسكنها، وتستوعب خصوصيّة أيّ منهما على حدة، فيفر الفرد إلى إنسانها ويفر من إنسانها إلى خلوته فالذي لا يملك مثل هذه الأمكنة يعيش في قلق وجوديّ"[1].

تدعو الروايات العربيّة المقدسيّ إلى الثبات في القدس بتصوير فنيّ يظهر مأساة العيش خارج الوطن، فتصور الحنين إلى الوطن بأنّه نار تأكل من نفس الإنسان، فتشبه رواية (ليس وداعاً يا قدس) الحنين إلى الوطن بالمرجل حينما يصف السارد حالة شوق سليم – اختار العيش في الأردن بعد احتلال قوات الاحتلال لقريته بيت حنينا – بقوله: " وعندما غلى مرجل الحنين للوطن في نفس سليم، وفاض الكيل بهذه المشاعر لم يتمالك نفسه من السير على قدميه في شارع رأس العين غرباً. نفس الشارع الذي تعبره الحافلات في طريقها من عمّان إلى

([1]) عدوان، نمر عدوان: المكان في الرواية الفلسطينيّة بعد أوسلو 1993. (رسالة دكتوراه)، إشراف : أ.د محمود السمرة، الجامعة الأردنية، 2005م، ص 63

القدس"[1] فشبه النّصّ الحنين إلى الوطن بالإناء الذي يغلي فيه الماء من شدة شوقه إلى وطنه الذي لم يعد باستطاعته العودة إليه بسبب سياسات الاحتلال، ووظف الكاتب الاستعارة التمثيليّة لبيان شدة شوق المقدسيّ للعودة إلى وطنه بقوله (فاض الكيل بهذه المشاعر) إذ شبه ما يحمله المقدسيّ من مشاعر جياشة في قلبه حنيناً للوطن، بفيضان الكيل المملوء بأكثر من سعته، وهذا دلالة على شدت تعلق المقدسيّ بأرضه وعذابه في البعد عنها، فمن خلال هذا التصوير الفنيّ يريد الكاتب إيصال رسالة إلى كل مقدسيّ يفكر بالهجرة من القدس أنّ الندم سيلاحقك وستتمنى العودة إلى وطنك، فيدفعهم للثبات في أرضهم والحفاظ على وجودهم فيها.

ويشعر المقدسيّ الذي هاجر من وطنه بأنّ حياته توقفت، وأصبح ينظر إلى الحياة وكأنها شريط صور يمر أمام عينيه دون أن يشارك فيه، فالحياة خارج الوطن ليست حياة، وهذا ما يقوله الراوي في رواية (ليس وداعاً يا قدس) عن بطل الرواية سليم الذي كان دائماً يصد جاره الذي يلمح له بأنّه يريد تزويج ابنته له، " فما كان الزواج وارداً على أجندته. فهو يعيش على أمل الرجوع إلى الوطن. وما يمر به هو أشبه بشريط غير واقعيّ، فيلم سينمائيّ ميلودراميّ يتمنى لو انقضى مشهده الأخير بكلمة " النهايّة"، ليخرج من صالة النزوح إلى فضاء الوطن المشرق بوهج الشمس المتألّقة"[2].

يحثّ التصوير الفنيّ في النّصّ على الثبات في أرض الوطن من خلال توضيح حالة الفلسطينيّ المهاجر الذي فقد أسباب الحياة إلا من أمل الرجوع إلى وطنه، وكأن أمل الرجوع إلى الوطن أصبح هو مأكله ومشربه وهدفه الذي يعيش لتحقيقه، وأنّ حياة الفلسطينيّ خارج وطنه بلا طعم ولا رائحة. ويكون الفلسطينيّ فيها متفرجاّ وليس مشاركاّ، وهذا ما يبينه التصوير الفنيّ

([1]) عبد الله، محمد: ليس وداعاً يا قدس. ص 54

([2]) المصدر نفسه. ص 132

في جملة (ما يمر به الفلسطيني أشبه بشريط غير واقعيّ)، فحياة المقدسيّ خارج وطنه تبتعد كثيراً عن الواقع، وكأن حياته تنبض في القدس فقط، ويدل تشبيه النزوح بالصالة على أنّ المقدسيّ لا يشعر بالارتياح فيها، فللصالات قوانينها التي تقيد الإنسان على اختلاف أنواعها؛ لأنّها محصورة ومحددة، ولها وقت محدد للبقاء فيها، أمّا الوطن فهو ممتد وواسع يشعر الإنسان فيه بالراحة والطمأنينة ولهذا شُبّه بالفضاء، الذي يضفي على الإنسان الشعور بالحريّة.

ثالثاً: تأكيد عروبة القدس

سعى الاحتلال اليهوديّ إلى تهويد مدينة القدس، وذلك بطرق عدة كتغيير معالمها وتشجيع هجرة اليهود إليها وشراء عقاراتها، وحاربت الروايات العربيّة كل ذلك مؤكدة على عروبة مدينة القدس عن طريق توظيف التصوير الفنيّ في سردها.

صورت الروايات العربيّة المستوطنات الجديدة التي أحاطت بمدينة القدس أجساماً غريبة عنها، ويظهر ذلك في رواية (ميرال) في وصف مدينة القدس حينما كان يمشي جمال والد بطلة الرواية ميرال في حاراتها متجها إلى مركز التحقيق الذي اعتقلت فيه ابنته في غربيّ القدس، فوصفت المباني التي بناها الاحتلال حول مدينة القدس القديمة قائلة " كانت المدينة الحديثة بأبنيتها العالية، تبدو وكأنّها تحاصر البلدة القديمة العتيقة المعذّبة"[1]، فوصف التصوير الفنيّ الأبنيّة التي بناها الاحتلال حول مدينة القدس بأنّها قيد يطوّق المدينة ويحاصرها، والقيد دائماً يكون شيئاً غريباً عن الجسد يؤلمه ويقيد من حركته وحريته، وكأن هذا التصوير الفنيّ يقول بأنّ أبنية الاحتلال ليست جزءاً من المدينة، ولن تكون من نسيجها العمرانيّ والثقافيّ، فمدينة القدس تعرف هويتها العربيّة وتأبى تحريفها. وتتجلى في النسيج اللغويّ للتصوير علاقة الإنسان

([1]) جبريل، رلى: ميرال. ص 269

بالمكان، فالذاكرة تنتمي إلى الأماكن العتيقة التي تجسد تاريخاً وحضارة ووجوداً ممتداً عبر الزمن في حين أنّ البنايات الجديدة أجسام غريبة طارئة ليست لها أي علاقة بتاريخ المكان ولا تعد تطوراً لحضارته العمرانيّة.

وتشبه رواية (صورة وأيقونة وعهد قديم) المستوطنات التي أقامها الاحتلال في مدينة القدس بالوباء إذ يصف شكل المستوطنات اليهوديّة المنتشرة في الجبال المحيطة بإحدى قرى القدس – لم يُذكر اسمها– في إحدى الصباحات الباكرة عندما كان يتجول في القرية، " وتلك المستوطنة المنتشرة كوباء الجدريّ في بطن الجبل"[1]، فتنظر الرواية للمستوطنات على أنّها وباء غريب عن جسد المدينة إذ تصيب المدينة بالإعياء إذا ما بنيت فيها، ففي الصورة السابقة شبهت الرواية المستوطنة بوباء الجدري، وذلك كناية عن سرعة انتشار بيوت هذه المستوطنة، فمن المعلوم أن مرض الجدريّ إذا أصاب الجسم يملأه طفحاً، ويعدي كل من يحيط بالمريض، وكذلك حينما يبدأ المستوطنون بالبناء في منطقة فإنّهم ينتشرون دون حدود، ولا تعد الرواية هذا التوسع والانتشار أمراً عادياً بل ترى فيه وباء قد يكون قاتلاً إذا لم يحارب أو يعالج.

لا تقبل مدينة القدس أن يكون المحتل جزءاً منها، فهي تعرف سكّانها وأهلها جيداً، وهو ما يبينه التصوير الفنيّ الذي عبرت عنه الحاجة أم مروان في رواية (باب العمود) التي استولى المستوطنون على نصف بيتها، ولم ينصفها القضاء اليهوديّ فقالت للقاضي " أنتم غرباء وعابرون وهذه الأرض تعرف ذلك جيداً، هذه الأرض تملك ذاكرة وتعرف أبناءها، ليس لكم إلا آثار أحذيتكم"[2]، فشبهت الأرض بالإنسان الذي يحمل ذاكرة قويّة، ويلد كثيراً من الأبناء ويحفظهم جيداً، وبالوقت نفسه يستطيع التمييز بين أبنائه والمنتسبين إليه عنوة، فذاكرة القدس تدافع عن

([1]) خليفة، سحر: صورة وأيقونة وعهد قديم. ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2006م، ص 143

([2]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 153

المدينة حالها حال أبنائها المقاومين الذين حفروا اسمهم في تاريخ مدينة القدس المكانيّ والزمانيّ، ولن يستطيع أي أحد انتزاع تاريخهم العريق، إذ إن ذاكرة المكان ستبقى حيّة تدافع عن حقهم في المدينة التي كبروا فيها وكبرت بهم.

وتحرص الرواية على أنسنة المكان في التصوير الفنيّ السابق، فتضفي عليه الصفات الإنسانيّة؛ لأنّ المكان يسهم في " بلورة المعنى وخلقه من جديد، في صورة تتفق مع المعنى المقصود ولا يبقى محايداً بل يساهم في الإلمام بجميع الجوانب المحيطة بفضائه"[1]، ويعني هذا أنّ المكان في حد ذاته يسهم في تكون المعنى المراد، فذاكرة المكان لا تبقي إلّا على أهلها، وتحافظ على " العلاقة الجذريّة التي تربط المكان بالشخصيّة، وجعل هذا المكوّن الروائيّ (المكان) يبدو كما لو كان خزّانا حقيقياً للأفكار والمشاعر، والحدوس، حيث تنشأ بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على اللآخر"[2].

فالقدس بحجارتها ومبانيها لها ذاكرة قويّة تعرف من بناها ومن هم أهلها، وهذا ما تؤكده بهية في رواية (باب العمود)، حين تصف حزن حبيبها ماهر الذي يمر من أمام البيوت العربيّة التي استولى عليها اليهود، ويقرأ الكتابة المنقوشة على حجارتها (الملك لله الواحد القهار)، فهي تؤمن بأنّ " هذه الحجارة هي صبر من رحلوا وهم ينزفون قهراً، هذه الحجارة تعرف من بناها ومن كحّلها، تملك قلباً خاشعاً للترتيل، هذه الحجارة لها ذاكرة وهي بانتظار من يغزل خيوط العودة"[3].

([1]) بن السّائح، الأخضر: جماليات المكان القسنطيني (قراءة في ذاكرة الجسد) دراسة نقديّة تحليلية. دار الأديب، الجزائر، 2007م، ص 98

([2]) بحراوي، حسن: بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصيّة. ط2، المركز الثقافي العربيّ، بيروت، 2009، ص 31

([3]) أبو نبعة، نردين: باب العمود. ص 64

ويحمل التصوير الفنيّ في النّصّ دلالات عدّة تجسد عروبة القدس، إذ تشبّه الحجارة بالصبر المعنويّ إذ إنّ الفلسطينيّ تكبد كثيرً من المال والوقت والعمل في سبيل بناء بيته الذي استولى عليه المستوطنون بعد أن هجّروه منه، كما أنّها شبهت القهر بالدم الذي ينزف من الجسد دون توقف للدلالة على شدّة الحزن والظلم الذي تعرض له الفلسطينيّ، ولكنها تؤكد على أنّ البيوت لن تنسى أصحابها الحقيقيين، وشبهتها بإنسان يملك ذاكرة قويّة تعرف من بناها، وتنتظر عودته التي شبهتها بالنسيج الذي وإن طال صنعه إلا أنّه سيكتمل وسيعود أهل الدار إلى دارهم، وهذا التصوير الفني ينفي نسبة البيوت إلى المستوطنين المحتلين، ويؤكد على عروبة مدينة القدس التي لن يستطيع المحتل انتزاعها منها ولو غاب غالبيّة أهلها عنها بسبب تهجيرهم.

يصر المقدسيون على عروبة القدس على الرغم من محاولة الاحتلال طمس العروبة، ويظهر ذلك بالتصوير الفني الذي استخدمه الكاتب في رواية (أشباح القدس) وتحديداً في قصة حارس مقبرة إسلاميّة جرف الاحتلال أراضيها وقبورها ولم يتبق إلا بعض الشواهد، حيث يقوم بإعادة كتابة أسماء الموتى على القبور بالطباشير كي يحافظ على عروبة المكان تقول الرواية " وأعاد تخطيط أسماء القبور التي بلا شواهد جديدة، لكي لا تموت أبداً"[1].

فشبه شواهد القبور بالإنسان الذي لا يموت أبداً، للدلالة على عدم قدرة الاحتلال على انتزاع عروبة القدس ما دام الفلسطينيون فيها، فوجود الفلسطينيّ في القدس يُبطل كل ما تحاول رواية الاحتلال نشره بأنّ القدس يهوديّة، فأهل القدس هم الدليل على عروبتها ولو حاول الاحتلال إخفاء وتدمير كل ما يثبت أنّها عربيّة.

([1]) الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ص 12

خاتمة

سعى الاحتلال اليهوديّ إلى تهويد مدينة القدس منذ سيطرته على المدينة عام 1948م، بخمسة إجراءات كما وردت في الروايات العربيّة وهي: المجازر الجماعيّة والقتل الفردي، هدم حارة المغاربة، بناء المستوطنات، الأبعاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن القدس، السياحة في القدس بين التهويد والتسييس، بناء البيت المقدسي بين المنع والهدم، وبهذه الإجراءات، استطاع الاحتلال تهجير عدد من الفلسطينيين والسيطرة على القدس سياسيّاً وأمنياً، وأخذ بفرض هوية يهوديّة عليها بخمس طرق كما تطرقت لها الروايات ضمن عينة الدراسة: الأوّلى تهويد أملاك المقدسيين بهدف نزع الهويّة الفلسطينيّة عنها، وتوطين مستوطنين يهود مكان أصحاب هذه الأملاك الأصليين، الثّانية تهويد أسماء القرى الشوارع لكي تتناسب هويّة هذه القرى والشوارع مع هويّة الكيان اليهوديّ وإلغاء أي رابط للفلسطينيين بها، وإلغاء التاريخ الفلسطينيّ وهويّة المكان العربيّة، والثّالثة تهويد المقدسات الإسلاميّة، عن طريق تهويد المسجد الأقصى ومقبرة ماميلا الإسلاميّة، والرّابعة نزع الهويّة الفلسطينيّة من المقدسي، والخامسة محاولة تهويد الإنسان عن طريق تجنيده لخدمة الاحتلال وتحقيق أهدافه في تهويد المدينة.

وواجهت الروايات العربيّة تهويد مدينة القدس بستة أساليب كما جاءت في الروايات العربيّة وهي: الدعوة إلى الثبات في القدس، والدعوة إلى مقاومة الاحتلال وتفنيد رواية الاحتلال، وربط المكان بالذاكرة والهويّة العربيّة، ورفض تهويد الإنسان الفلسطيني، وحرصت الروايات العربيّة على تأصيل هوية القرى والشوارع العربيّة بذكر أسمائها الأصلية، ووظّفت الروايات العربيّة أسلوب المقاربة بين المجازر اليهوديّة والهولوكوست للرد على ادعاءات الاحتلال بحقّ اليهود

في إقامة وطن قوميّ لهم عاصمته القدس، ولإحراج المجتمع الدوليّ الذي يعطي الاحتلال الحقّ بإقامة وطن لهم على أرض فلسطين هرباً من النازيّة، بينما يقوم هو نفسه بارتكاب المجازر بحق الفلسطينيين أصحاب الأرض الأصليين، ووظفت الروايات العربيّة أسلوب المقاربة بين الاحتلال البريطانيّ والاحتلال اليهوديّ، للتأكيد على أن الاحتلال البريطاني كان بداية للاحتلال اليهوديّ وأن المقاومة هي الطريقة المثلى للتخلص من الاحتلال وهي الطريقة التي اتبعها الفلسطينيون في الرد على سياسات الاحتلال البريطاني ودحره.

وخلقت الروايات العربيّة بناء لغوياً مواجهاً لتهويد مدينة القدس، لدعم فكرتها ورسالتها، إذ إنّ الرواية ليست مجرد سرد لأحداث بل إنّها بناء لغوي كامل، فوظفت الروايات العربيّة فضاء لغوياّ مقاوماّ للتهويد، فوظفت لغة الطفل المقاوم، ولغة الحث والتحريض على الصمود، ولغة التثوير الجماهيري، ولغة المواجهة والاشتباك، ولغة رفض تهويد التعليم، ولغة الحوار الهادئ.

ويمكن إجمال نتائج الدراسة على النحو الآتي:

1- رصدت الروايات مخططات الاحتلال اليهوديّ في تنفيذ المجازر الجماعيّة، وطرق القتل الفردي.

2- وثّقت الروايات مشاهد هدم حارة المغاربة.

3- كشفت الروايات عن بنية العقل اليهوديّ في بناء الحصون والأسوار من خلال المستوطنات في القدس كي تكون حصناً يحميهم من الآخر.

4- صوّرت الروايات الأبعاد الإنسانيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن القدس.

5- أشارت الروايات إلى تهويد السياحة وتسييسها في القدس.

6- وقفت الروايات على الأساليب التي يتبعها الاحتلال لتهويد بيوت المقدسيين وعقاراتهم.

7- نبهت الروايات إلى خطورة التزوير اللّغوي التوراتيّ لأسماء القرى والشوارع.

8- تابعت الروايات مشاهد تهويد المقدسات الدينيّة.

9- أكّدت الروايات فشل الاحتلال في استقطاب المقدسيين.

10- عززت الروايات الثبات والرباط، والتحريض على المقاومة بأشكالها كافة.

11- حرصت الروايات على تفنيد الرواية التاريخيّة للاحتلال تجاه القدس.

12- أسهبت الروايات في تصوير ذاكرة المكان الذي استولى عليه المستوطنون.

13- وظّفت الروايات فضاء لغوياً وفنياً في سياق مواجهة التهويد.

14- قاربت الروايات بين جرائم الاحتلال البريطاني وجرائم الاحتلال اليهوديّ. وبين سياسة النازيّة في أوروبا وهمجية الاحتلال في القدس لتأكيد التناقض والانفصام في الفكر اليهوديّ.

وعطفاً على ما تقدم يوصي الباحث بما يلي:

1- اهتمام الروائيين بالتاريخ الكنعانيّ لمواجهة الافتراءات اليهوديّة في القدس.

2- مواكبة الرواية العربيّة للمستجدات السياسيّة في القدس.

3- عناية الروائيين بتهويد المقدسات المسيحيّة إلى جانب عنايتهم بتصوير تهويد المقدسات الإسلاميّة.

4- تطوير المقررات المدرسية والجامعية بما ينسجم مع التحديات الجديدة التي تتعرض لها القدس.

5- دعوة النقاد لمعاينة النّصّ الروائيّ الخاص بالقدس.

6- توجيه طلاب الدراسات العليا والباحثين للكتابة في المشهد المقدسيّ.

7- دعوة جامعة القدس المفتوحة إلى مبادرة تأسيس مركز أبحاث القدس.

8- دعوة الإعلام الرقميّ لمضاعفة اهتمامه بالقدس.

المصادر والمراجع

1- إسبانيولي، هالة: الايديولوجيا اليهوديّة وانعكاسها في كتب التدريس العبريّة، العدد 3، يوليو 2001م.

2- الأعرج، واسيني: أشباح القدس. ط2، دار الآداب للنشر والتوزيع. بيروت، 2012م.

3- الأنصاري، فهمي: مقبرة مأمن الله. ط1، وزارة الإعلام (فلسطين)بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (مؤسسة إحياء التراث) والبحوث الإسلاميّة – بيت المقدس، 2010م.

4- أنيس، الصايغ: الفكرة اليهوديّة والنّصوص الأساسيّة. ترجمة العابد، لطفي و عز، موسى، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينيّة، بيروت، 1970م.

5- بابه، إيلان: التطهير العرقي في فلسطين. ط1، مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة، بيروت، 2007م.

6- بدر، علي: مصابيح أورشاليم. ط2، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، 2009م.

7- التكروري، باسمة: عبور شائك. ط1، دار البيرق العربيّ للنشر والتوزيع، رام الله، 2009م.

8- تماري، سليم،: القدس 1948 الأحياء العربيّة ومصيرها في حرب 1948. ط2، ترجمة أحمد خليفة وزملائه، مؤسسة الدراسات الفلسطينيّة وبديل المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، القدس، 2003م.

9- جبريل، رلى: ميرال. ط2، ترجمة سعاد قرمّان، دار الوسط للنشر والإعلام، رام الله، 2019م.

10- جمعة، ميرفت: ماميلا. ط1، دار الرعاة للنشر والتوزيع. رام الله، 2016م.

11- الجندي، سمير: خلود. ط3، الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2014م.

12- الحسيني، عارف: حرام نسبي. ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2017م.

13- الحسيني، عارف: كافر سبت.ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2012م.

14- الخالدي، صالح: نظريّة التصوير الفني عند سيد قطب. الفنون المطبعية، الجزائر، 1988م.

15- الخبتي، علي صالح: صورة العرب والمسلمين في مدارس اسرائيل: تحليل المناهج الدراسية في التعليم العام. ط1، مكتبة العبيكان، السعودية، 2009م.
16- خلة، كامل: فلسطين والانتداب البريطاني 1922- 1939. ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1982م.
17- خليفة، سحر: صورة وأيقونة وعهد قديم. ط1، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، 2006م.
18- خليل، علي: اليهوديّة بين النظريّة والتطبيق (مقطتفات من التلمود والتوراة). منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق،1997م.
19- دحماني، عبد الوهاب: السيادة الشعبية في النظام الدستوري الجزائري.(رسالة ماجستير) إشراف: د. لخضر، وحياني، جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر، 2016م.
20- دنلوب، د.م: تاريخ يهود الخرز. ط2، ترجمة: زكار، سهيل، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، 1990م.
21- رياح، صباح كريم: بنيامين دزرائيلي ودوره في السياسة البريطانية. مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 38، 2015م.
22- زعرب، صبيحة و كتافي، غسان: جماليات السرد في الخطاب الروائي، ط1، دار مجدلاوي، عمان، 2006م.
23- الزين ، حسن محمد : نحو استراتيجية إسلاميّة لمواجهة الحرب الناعمة. (من كتاب الحرب الناعمة، المفهوم- النشأة- وسبل المواجهة .منشورات مركز قيم للدراسات. بيروت) د، ت.
24- زئيف غور،ايلان: المدرسون وبناء الأمة في إسرائيل. مجلة قضايا إسرائيلية العدد 19، سبتمبر 2005م.
25- سالم، عادل: عاشق على أسوار القدس. ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2012م.
26- أبو سعد، إسماعيل: التّعليم العربيّ في إسرائيل وسياسة السيطرة: واقع التّعليم في النّقب. ط1، منشورات جامعة بن غريون في النقب، 2011م.
27- أبو السعود، عزام: حمام العين. ط1، الملتقى الفكري العربيّ، القدس، 2009م.
28- أبو السعود، عزام: سبيريتزما. ط1، عزام أبو السعود، القدس، 2016م.

29- أبو السعود، عزام: سوق العطارين. ط1، عزام أبو السعود، القدس، 2009م.
30- أبو السعود، عزام: صبري. ط1، الدائرة التقافيّة للمسرح الوطني الفلسطيني، القدس، 2008م.
31- سعيد، إدوارد: صور المثقف: ترجمة غسان غصن، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، 1996م.
32- سفر التكوين.
33- السلحوت، جميل: برد الصيف. ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2013م.
34- السلحوت، جميل: جنة الجحيم. ط1، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، 2011م.
35- السّمان، ديمة: برج اللقلق. ط1، مكتبة كل شيء، حيفا، 2016م.
36- السّمان، ديمة: بنت الأصول. ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م.
37- شلحت، أنطوان: منهاج التعليم الإسرائيلي: ما زال " السلام" خارج المدرسة. مجلة قضايا إسرائيلية، العدد 3، يوليو 2001م.
38- العارف ، عارف باشا : تاريخ القدس. ط2، دار المعارف، القاهرة، 1994م.
39- عامر، عبد المنعم: تاريخ الاستعمار الاستيطاني اليهوديّ في فلسطين. ط1، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 2002م.
40- العامري، سعاد: غولدا نامت هنا. ط1، ترجمة أيمن حداد .مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، 2015م.
41- عبد الله، محمد شاكر: ليس وداعاً يا قدس. ط1، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، 2015م.
42- عتيق، عمر: دراسات سيميائية في الفن التشكيلي. ط1، دار دجلة، عمان، الأردن، 2017م.
43- عتيق، عمر: علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة. ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م.
44- عتيق، عمر: في قضايا المصطلح النقدي والبلاغي والعروضي والإعلامي. ط1، دار جرير، عمّان، 2015م.

45- عتيق، عمر: مقبرة مأمن الله بين التقديس والتدنيس. كتاب مؤتمر الأوقاف الإسلاميّة والمسيحية في القدس تحت الاحتلال الإسرائيلي، 5-2013/6/6م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، رام الله، 2013م.
46- عتيق، عمر: نوافذ ثقافيّة. ط1، دار دجلة، عمان، الأردن، 2019م.
47- عدوان، نمر عدوان: المكان في الرواية الفلسطينيّة بعد أوسلو 1993. (رسالة دكتوراه)، إشراف : أ.د محمود السمرة، الجامعة الأردنية، 2005م.
48- عزيزة، كنزي: بنية الحوار في رواية كبرياء وهوى لـ جين أوستين. (رسالة ماجستير) إشراف: د. أنيسة، بن جاب الله، جامعة العربيّ بن مهيدي أم البواقي، 2016م.
49- العسلي، كامل: أجدادنا في ثرى بيت المقدس. مؤسسة آل البيت (المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلاميّة)، الأردن، ب، ت.
50- عليّان، حسن: القدس الواقع والتاريخ في الرواية العربيّة. ط1، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن، 2012م.
51- فرانكل، فيكتور: الإنسان والبحث عن المعنى. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2018م
52- فولر، ادموند: موسوعة الأساطير (الميثلوجيا اليونانية – الرومانيّة – الإسكندنافية). ترجمة حنّا عبود، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1997م.
53- قاسم ، نادر: القدس في روايات جبرا إبراهيم جبرا. مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانيّة. م 10، ع 2، 2008م.
54- كاظم، نجم: مشكلة الحوار في الرواية العربيّة. عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2007م
55- ماجواير، كيت: تهويد القدس الخطوات الإسرائيلية للاستيلاء على القدس. دار الافاق الجيدة بالاشتراك مع مركز الدراسات العربيّة.ط1، بيروت، 1981م.
56- مجير الدين، عبد الرحمن الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد. مكتبة دنديس، عمان، ج 2.
57- المسيري، عبد الوهاب: اليهوديّة والنازية ونهاية التاريخ. دار الشروق، القاهرة، ط3، 2001م.
58- المسيري، عبد الوهاب: اليهوديّة والنازية ونهاية التاريخ. ط3، دار الشروق، القاهرة، 2001م.

59- منصور، جوني: التخصصية الاحتكارية والفوقية في كتب تدريس التاريخ في المدارس العبريّة الاسرائيلية، مجلة قضايا إسرائيلية ، العدد4، أكتوبر 2001م.
60- ابن منظور، محمد: معجم لسان العرب. دار صادر للنشر، بيروت، د.ت.
61- منيف، عبد الرحمن: بين الثقافة والسياسة. المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر والمركز الثقافي العربيّ للنششر والتوزيع، لبنان، د.ت.
62- مهنّا، علاء: مقدسيّة أنا. ط1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2011م.
63- أبو نبعة، نردين: باب العمود. ط1، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، 2017م.
64- ياسين، حسين: ضحى ثلاث نساء في القدس. ط1، دار فضاءات، عمّان، 2018م.

مراجع إلكترونيّة

1- أحاد هعام، مركز مدار
https://www.madarcenter.org/%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9

2- حسن، عمار: الأدب والسياسة علاقة خاصة جدا. موقع صحيفة الاتحاد، 2014/1/3م
https://www.alittihad.ae/wejhatarticle/76684/%D8%A7-%D9%84%D8%A3%D8%AF%D8%A8

3- أرقام وحقائق عن البلدة القديمة بالقدس، موقع الجزيرة نت، 2017/3/11م،
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions

4- باقون نكبة حارة المغاربة في صور.. أربعون عاماً تحت الاحتلال اليهوديّ. مؤسسة الأقصى، أم الفحم، 2007م، ص 13
https://dspace.qou.edu/contents/0104/unit6/resources/pdf.pdf

5- عبد الكريم، إبراهيم: تهويد أسماء المعالم الفلسطينيّة (الإيديولوجيا – التطبيقات – المواجهة). مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، 2008/3/13
http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=580

6- جماعة أمناء الهيكل. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة وفا،
http://www.wafainfo.ps/ar_page.aspx?id=F2KFk8a479017284F2KFk8

7- حارة المغاربة في القدس. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة،
http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=9592

8- الحفريات الإسرائيلية أسفل القدس والأقصى. موقع الجزيرة دوت نت. اخر زيارة 2016/8/13م،
https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/8/13/الحفريات-الإسرائيلية-أسفل-القدس-والأقصى

9- محسن، وتد: حفريات الأنفاق أسفل المسجد الأقصى: محاولات فرض التهويد مستمرة، موقع العربيّ الجديد تاريخ القراءة 2018/11/11م
https://www.alaraby.co.uk/politics/2018/11/11/%D8%AD%D9%81%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D8%AA-

10- حواجز الاحتلال تطوّق القدس. موقع الجزيرة نت، تاريخ النشر 2017/10/19م/https://www.aljazeera.net/news/alquds/2017/10/19/%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%

11- جبارة، بليغ: دير ياسين جريمة النسيان والعدالة المعلقة. موقع العربيّ الجديد.2017/4/24م.
https://www.alaraby.co.uk/specialpages/2017/4/24/%D8%AF%D9%8A%D8%B1

12- ذكرى النكبة الـ67... الكبار يموتون والصغار لا ينسون. تاريخ القراءة 2015/5/14م
https://www.palinfo.com/news/2015/5/14/%d8%b0%d9%83%d8%b1%d9%89-

13- سحب هويات المقدسيين. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة وفا.
http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=cVvzZia27437135484acVvzZi

14- سحب هويات المقدسيين. وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينيّة وفا.
http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=cVvzZia27437135484acVvzZi

15- أبو سبيتان، فاطمة: الشهيد بهاء عليّان وقصة العشاء الأخير. موقع الجزيرة نت، 2016/4/12م/https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/4/12/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8

16- العقرباوي، حمزة: علم فلسطين حكاية عن الثورة والحريّة. ألترا فلسطين، https://ultrapal.ultrasawt.com/%D8%B9%D9%84%D9%85-

17- مراد، كمال: في ذكرى "العدوان الثلاثي".. "بورسعيد" قصة مدينة هزمت جيوش الاستعمار وقلمت أظافر الأسد العجوز. بوابة الأهرام2017/10/29م
http://gate.ahram.org.eg/News/1634242.aspx

18- أبو الفيلات، محمد: القدس.. مساجد حارة الشرف بلا أذآن. موقع الجزيرة نت، 2016/9/29م https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/9/29/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-

19- أبو عرفة، جمان: ماذا تعرف عن اقتحامات الأقصى. موقع متراس، 2019/4/24م https://metras.co/%D9%85%D8%A7%D8%B0%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-

20- ماذا تعرف عن المسجد الأقصى؟، موقع الجزيرة نت،2014/11/8م https://www.aljazeera.net/encyclopedia/citiesandregions/2014/11/8/المسجد-الأقصى

21- مستشفى المطلع القدس. http://www.avh.org/arabic/date/date.html

22- هلال، إبراهيم: معمار القدس.. تاريخ يربك التهويد ويغضبه. موقع ميدان، 2017/2/3م https://midan.aljazeera.net/intellect/sociology/2017/2/3/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D

23- مقبرة مأمن الله في القدس: تاريخ عريق واعتداء اسرائيلي متواصل.2017/10/24م http://www.alquds-online.org/index.php?s=37&id=149

24- محمود، أحمد: مقبرة مأمن الله محو تاريخ القدس. موقع عرب 48 http://www.alquds-online.org/index.php?s=37&id=149

25- نص قانون العودة الإسرائيلي https://www.adalah.org/uploads/oldfiles/Public/files/Discriminatory-Laws-Database/Hebrew/36-Law-of-Return-1950.pdf

26- نص قانون أملاك الغائبين. موقع عدالة، https://www.adalah.org/uploads/oldfiles/Public/files/Discriminatory-Laws-Database/Hebrew/04-Absentees-Property-Law-1950.pdf

27- هدم منازل في شرقي القدس منذ عام 2004 ولغاية 2019/7/31 وفق معطيات بتسلم https://www.btselem.org/arabic/planning_and_building/east_jerusalem_statistics

28- خضر، أحمد: اليهود يعيشون عقلية الغيتو وينظرون للعرب على أنهم غوييم. موقع الاتحاد
https://www.alittihad.ae/article/1250/2005/%D8%A7%2005/3/4م
D9%84%D9%8A%D9%87%D9%88%D8%AF-
29- 25% من محلات القدس القديمة أغلقت أبوابها. موقع الجزيرة نت،
lhhttps://www.aljazeera.net/news/alquds/2017/9/23/2017/9/23م2
-5من-محلات-القدس-القديمة-أغلقت-أبوابها
30- 26 عاما على مجزرة الأقصى والاعتداءات مستمرة. الجزيرة دوت نت.
https://www.aljazeera.net/news/alquds/2016/10/8/2016/10/8م26
-عاما-على-مجزرة-الأقصى-والاعتداءات-مستمرة

ملحق لقائمة الروايات مرتّبة زمنياً وفق زمن الإصدار من إعداد الباحث

الرقم	الرواية	الكاتب	الطبعة	دار النشر	تاريخ النشر
1	صورة وأيقونة وعهد قديم	سحر خليفة	ط1	دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت	2006م
2	صبري	عزام أبو السعود	ط1	المسرح الحكواتي، القدس	2008م
3	مصابيح أورشاليم	علي بدر	ط2	المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت	2009م
4	عبور شائك	باسمة التكروري	ط1	دار البيرق العربيّ للنشر والتوزيع، رام الله	2009م
5	حمام العين	عزام أبو السعود	ط1	الملتقى الفكري العربيّ، القدس	2009م
6	سوق العطارين	عزام أبو السعود	ط1	عزام أبو السعود، القدس	2009م
7	بنت الأصول	ديمة السمان	ط1	الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة	2009م

8	جنة الجحيم	جميل السلحوت	ط1	دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس	2011م
9	مقدسيّة أنا	علاء مهنّا	ط1	دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن	2011م
10	أشباح القدس	واسيني الأعرج	ط2	دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت	2012م
11	كافر سبت	عارف الحسيني	ط1	دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله	2012م
12	عاشق على أسوار القدس	عادل سالم	ط1	دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس	2012م
13	برد الصيف	جميل السلحوت	ط1	دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس	2013م
14	خلود	سمير الجندي	ط3	دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس	2014م
15	غولدا نامت هنا	سعاد العامري	ط1	مؤسسة قطر للنشر، الدوحة	2015م

16	ليس وداعاً يا قدس	محمد شاكر عبد الله	ط1	دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان	2015م
17	ماميلا	ميرفت جمعة	ط1	دار الرعاة للنشر والتوزيع، رام الله	2016م
18	سبيريتزما	عزام أبو السعود	ط1	عزام أبو السعود، القدس	2016م
19	برج اللقلق	ديمة السّمان	ط1	مكتبة كل شيء، حيفا	2016م
20	باب العمود	نردين أبو نبعة	ط1	المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت	2017م
21	حرام نسبي	عارف الحسيني	ط1	دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله	2017م
22	ضحى ثلاث نساء في القدس	حسين ياسين	ط1	دار فضاءات للنشر والتوزيع	2018م
23	ميرال	رلى جبريل	ط1	دار الوسط للنشر والإعلام	2019م

قائمة المحتويات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	إقرار	أ
2	قرار لجنة المناقشة	ب
3	تفويض	ت
4	الإهداء	ث
5	الشكر والتقدير	ج
6	الملخص	خ
7	المقدمة	1
8	التمهيد	7
9	الفصل الأوّل: إجراءات تهويد مدينة القدس	16
10	المبحث الأوّل: المجازي الجماعيّة والقتل الفردي	17
11	المبحث الثّاني: هدم حارة المغاربة	20
12	المبحث الثّالث: بناء المستوطنات	22
13	المبحث الرّابع: الأبعاد الاقتصاديّة والاجتماعيّة للحواجز وفصل القرى المقدسيّة عن القدس	27
14	المبحث الخامس: السياحة في القدس بين التهويد والتسييس	39
15	المبحث السادس: بناء البيت المقدسي بين المنع والهدم	45
16	الفصل الثّاني: هوية المكان والإنسان في القدس	50
17	المبحث الأوّل: تهويد أملاك المقدسيين	51
18	أوّلاً: سرقة البيوت ونزع ملكية الفلسطينيين عنها	52
19	ثانياً: تزوير وثائق الملكية	58
20	ثالثاً: إغراء المقدسيين بالأموال الطائلة لبيع بيوتهم	61
21	رابعاً: إزعاج المقدسيين ليطروا للهجرة من بيوتهم	62
22	خامساً: الاستيلاء على موارد الحياة الأساسية	64
23	المبحث الثّاني: تهويد أسماء القرى والشوارع	66
24	المبحث الثّالث: تهويد المقدسات الإسلاميّة	73

25	أوّلاً: تهويد الأقصى	74
26	ثانياً: حفر الأنفاق تحت الأقصى	75
27	ثالثاً: اقتحام الأقصى	78
28	رابعاً: تهويد مقبرة ماميلا	82
29	المبحث الرّابع: نزع الهويّة الفلسطينيّة من المقدسي	88
30	المبحث الخامس: محاولة تهويد الإنسان الفلسطيني	92
31	الفصل الثّالث: أساليب الرواية العربيّة في مواجهة تهويد القدس	95
32	المبحث الأوّل: الدعوة إلى الثبات في القدس	97
33	المبحث الثّاني: الدعوة إلى مقاومة الاحتلال	106
34	المبحث الثّالث: تفنيد رواية الاحتلال	116
35	المبحث الرّابع: تأصيل ذاكرة المكان وهويته العربيّة	128
36	المبحث الخامس: رفض تهويد الإنسان الفلسطيني	136
37	المبحث السادس: أسلوب المقاربة	143
38	أوّلاً: المقاربة بين المجازر اليهوديّة والهولوكوست	144
39	ثانياً: المقاربة بين الاحتلال البريطانيّ والاحتلال اليهوديّ	150
40	الفصل الرّابع: تأثير البناء اللّغويّ الروائيّ في مواجهة تهويد القدس	158
41	المبحث الأوّل: الفضاء اللغوي المقاوم للتهويد	159
42	لغة الطفل المقاوم	159
43	لغة الحث والتحريض على الصمود	162
44	لغة التثوير الجماهيري	165
45	لغة المواجهة والاشتباك	167
46	لغة رفض تهويد التعليم	168
47	لغة الحوار الهادئ	171
48	المبحث الثاني: التصوير الفني في سياق مواجهة القدس	173
49	التحريض على المقاومة والالتفاف حولها	175
50	الدعوة إلى الثبات في الوطن	179
51	التأكيد على عروبة القدس	183

52	الخاتمة	187
53	قائمة المصادر والمراجع	191
54	مراجع إلكترونية	196
55	ملحق لقائمة الروايات	200
56	قائمة المحتويات	203